

# المختار للشعراء

في أدب الكاتبة والشاعر

لضياء الدين بن الأشير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد السحوفي و دكتور بدوي طيسانه

المجلد الثالث









# المثلث السبائي

في أدب الكاتب والشاعر  
لضياء الدين بن الأشير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد السجواني و دكتور بدوي طبانة

القسم الثالث

دار نهضة مصر للطبع والنشر  
القاهرة - القاهرة



## النوع السابع عشر

### في التكرار

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ،  
سواء [ أشبه ] ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو « تكرير المعاني  
والألفاظ » .

واعلم أن هذا النوع من تتأثر على علم البيان ، وهو دقيق المأخذ .

وحده هو : دالة اللفظ على المعنى مرددا ، وربما اشتبه على أكثر الناس  
بالإغطاب مرة وبالتطويل أخرى . وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه  
الأنواع الثلاثة في باب الإغطاب<sup>(١)</sup> فلا حاجة إلى إعادته ها هنا .

وأما التكرير فقد عرفت كنهه ، وهو ينقسم قسمين :

أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى

والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ . فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى  
فكقولك لمن تستدعيه « أنيرع أنيرع » ومنه قول أبي الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup> :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِبْرَائِيلَ وَمِثْلَ لَيْلَى عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامُ

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك : « أظنني ولا تصعني » .  
فلان الأمر بالطاعة نهي عن التمتع .

---

(١) انظر صفحة ٣٥٧ من القسم الثاني من هذه الطبعة .

(٢) ديوان المتنبي ٧٩/٤ من تصديده في مدح الميث بن علي البجلي ، ومطالعها :

نؤاد ما تسليه اللام وعمر مثل ما تهب اللثام

وكل من هذين التسمين ينقسم إلى مفيد ، وغير مفيد :

ولا أغنى التفيد هاهنا ما يمتيه النحاة ، فإنه عندهم عبارة عن النظر للركب ، إيمان الاسم مع الاسم ، بشرط أن يكون للأول بالتالي علاقة متقن يسمع مكلفاً جهله ، وإيمان الاسم مع الفعل القائم للتصرف على الشرط أيضاً ، وإيمان حرف الفداء مع الاسم ، فهذا هو المفيد عند النحاة .

وأما لم أقصد ذلك هاهنا ، بل مقصودي من التفيد أن يأتي لعنى ، وغير المفيد أن يأتي كنير معنى .

واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيذاً له وتشييداً من أمره . وإنما يتمثل ذلك للدلالة على العتابة بالشئ الذى كررت فيه كلاتك . إما مبالغة في مدحه ، أو في ذمه أو غير ذلك ، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشئ المقصود الذكر ، والوسط هارينه ، لأن أحد الطرفين هو للتشؤد بالمبالغة ، إما بمدح أو ذم أو غيرها ، والوسط ليس من شرط المبالغة ، وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عيباً وخطلاً من غير حاجة إليه .

[ التكرير في اللفظ والمعنى ]

أما الأول ، وهو الذى يوجد في اللفظ والمعنى ، فإنه ينقسم إلى ضربين : مفيد ، وغير مفيد .

والأول المفيد ، وهو فرعان :



المؤول : إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به

عرضه مختلفه :

كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَسْأَلُكُمُ اللَّهُ إِخْوَى الْعَارِفِينَ أَنَّهَا أَنْتُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ تَكُونَ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِهَآئِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ، إِنْهُ الْحَقُّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾

هذا تكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله « يحق الحق » و« يبطل الباطل » .  
ولما جرى به ههنا لاختلاف الراد ، وذلك أن الأول يميز بين الإرادتين ،  
والثاني بيان لقرينه فيما قل من اختيار ذات الشوك على غيرها ، وأنه ما نصرتم  
وخذل أولئك إلا لهذا الغرض .

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأَمِرتُ لِأَنْ أَكُونَ  
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ حَصْنَتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ  
اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي . فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

فكرر قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ »  
وقوله « قل الله أعبدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي » والمراد به عرضان مختلفان ، وذلك أن

(١) سورة الأنفال : الآيات ٨ و ٧ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

الأول إخباراً بأنه مأثور من جهة الله بالعبادة لله والإخلاص في دينه ، وسأله  
إخباراً بأنه مأثور من جهة الله وحده دون غيره بعبادته ، غلصاً له دينه ، ولعلّ آيته  
على ذلك قد تمّ للمعبود على فعل العبادة في الثاني ، وأخره في الأول ، لأنّ الكلام  
أولاً وأرفع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانياً فيمن يفعل الفعل من أجله ، ولذلك  
رتب عليه « فأعبدوا ما شئتم » من دونه .  
وعليه ورد قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ  
جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

وظاهر الأول والثاني أنهما سواء في المعنى ، وليس كذلك ، لأنّ الثاني  
فيه تخصيص غير موجود في الأول ، ألا ترى أنا إذا قلنا « زيدٌ الأفضل »  
وقلنا « الأفضل زيدٌ » كان في الثاني تخصيص له بالفعل ، وهذا التخصيص  
لا يوجد في القول الأول الذي هو « زيدٌ الأفضل » ويجوز أن تبدل صفة  
الأفضل فيه بغيرها أو بضدها ، فيقال « زيدٌ الأجل » أو « زيدٌ الأنقص »  
وإذا قلنا « الأفضل زيدٌ » وجب تخصيصه بالنفس ، ولم يكن تغيير عنه .

وكذلك يجرى الحكم في هذه الآيات ، فإنّ الله تعالى قال : « إِنَّمَا  
لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ثم قال : « لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ »  
« فوصفهم بالامتناع عن الذهاب إلا بإذنه ، وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها

مِنْ الصَّالِحِينَ . فَأَقَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ﴿ إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ غَيْرُكُمْ لَمَّا يَرْتَابُوا ﴾ (١) .

فَبَاءَ بِصِفَةٍ غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ . وَلَمَّا قَالَ : « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » وَجِبَ تَخْصِيصُهُمْ بِذَلِكَ الْوَصْفِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَهَذَا مَوْضِعٌ حَسَنٌ فِي تَكْرِيرِ الْعَالِي .

وَمِمَّا يَسْتَدِينُ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ • لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢) .

فَإِذَا ظَنَّنَا قَوْلَهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَكْرِيرٌ لَفَائِدَةٍ فِيهِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ « لَا أَعْبُدُ » يَتَنَبَّهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَيْنَ عِبَادَةِ الْخَلْقِ كُمْ ، أَلَمْ تَعْبُدُوا مَا أَعْبُدُ مَا أَعْبُدُ مِنْ عِبَادَةِ الْإِلَهِ ، « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » . أَيْ : وَمَا كُنْتُ عَابِدًا قَدَّمَ فِيمَا سَلَفَ مَا عَبَدْتُمْ ، يَتَنَبَّهُ أَنَّهُ لَمْ يُعْبَدَ مِنِّي عِبَادَةٌ صَنَعْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي وَقْتٍ مَا ، فَكَيْفَ يُزْجَى ذَلِكَ مَعْنَى فِي الْإِسْلَامِ ؟ « وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ » فِي الْوَاقِعِ فِي وَقْتٍ مَا مَا أَنَا عَلَى عِبَادَتِهِ الْآنَ .

وَيَسْتَدِينُ هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَسُبُّوا اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ • اتَّخَذُوا رِجْلاً رَبًّا الْمَلَائِكَةَ • الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ • مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٣) .

(١) سورة المائدة : الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٠ .

(٣) سورة النمل : الآية ٢٥ .

فَكَرَّرَ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» تَرْجِمِينَ ، وَالْقَائِدُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَى يَعْنِي بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، وَالثَّانِي بِأَمْرِ الْآخِرَةِ .

فَمَا يَخْلُقُ بَأْمِرِ اللَّهِ يَا يَرْجُ إِلَى خَلْقِ السَّائِكِينَ فِي كَوْنِهِ خَلَقَ كُلًّا مِنْهُمْ.  
عَلَى أَكْمَلِ صِفَةٍ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ شَيْءٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَقَّ الْبَقَاءِ وَالذَّاهِبِ. وَقَدْ يَرْجِعُ  
إِلَى غَيْرِ الْخَلْقِ كَمَا ذَكَرَ الْأَوَّلَ فِي غَيْرِهَا.

وَأَمَّا مَا جَعَلْنَا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ فَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى الرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ .  
نَدَى يَوْمَ الدِّينِ .

وَالْبَصِيرَ فَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَكْرُورًا لَا فَائِدَةً فِي تَكْرِيرِهِ ،  
فَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا مَن تَكْرُرُ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ فَأَنْتُمْ تَنْظُرُ فِيهِ فَأَنْظُرْ إِلَى سَوَائِهِ  
وَوَاجِهِهِ ، لَتَكْشِفَ لَكَ الْفَائِدَةُ مِنْهُ .

وَمَا وَدَّ الْفِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ  
الْمُتْرَفِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ  
أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَنَا لَكُمْ بِحَلِيمٍ • هَلْ يَرَىٰ إِنْ أَجَرْتِ  
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَالِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥﴾ •

فَكَرَرُوهُ : « فَاتُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا » ، لِيُؤْثِدَ عِندَهُ ، وَيَقَرَّهُ  
 فِي ذَوْبِهِمْ ، مَعَ تَطْلِقُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَيْلَهُ ، لِجَلِّ عِلَّةَ الْأَوَّلِ كَوْنَهُ أَمِينًا  
 فِيمَا يَنْفَعُهُمْ ، وَجَلِّ عِلَّةَ الثَّانِي حَسَمَ قَسَمِهِ فِيهِمْ ، وَخَلَّوْهُ مِنَ الْأَغْرَاضِ  
 فِيمَا يَحْتُمُونَ إِلَيْهِ .

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٠٥ - ١١٠ .

(٧) زيادة عن الأصل يقتضيها السياق .

ومن هذا النحو قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ ۖ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۚ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ أَحقَّ عَذَابٍ ﴾ (١)

ولما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة ، فذكره أولاً في الجملة الخيرية على وجه الإبهام ، ثم جاء بالجملة الاستثنائية ، فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ، لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم قد كذبوا جميعهم . وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة الخيرية أولاً ، وبالاستثنائية ثانياً ، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة للسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن فاضن ، وبه تعرف مواقع التكرير ، والفرق بينه وبين غيره ، فافهمه إن شاء الله تعالى .

#### الفرع الثاني من الضرب الأول (٢) :

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد ، والراد به غرض واحد ، كقوله تعالى : ﴿ قَتِلَ كَيْفَ قَدَر ۚ ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَر ﴾ (٣) .

والتكرير دلالة الصخب من تقديره ، وإصابته الترض ، وهذا كما يقال : **« قَتَلَهُ اللهُ مَا أَصْبَحَ »** أو ما أشبهه . ١ .

(١) سورة ص : الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ .

(٢) أي التكرير اللغوي .

(٣) سورة المدثر : الآيات ١٩ و ٢٠ .

وعليه وَرَدَ قَوْلُ الشَّامِرِ :

« أَلَا يَا اسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى »<sup>(١)</sup>.

وهذا مهالفة في اللفظ ما لها بالتبليغ، وكل هذا يُجَاهِدُ بِهِ لِقَرِيرٍ لِلْعَنِيِّ الرَّادِّ لِإِثْبَاتِهِ .

وعليه وَرَدَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« إِنَّ بَنِي هِشَامٍ بَيْنَ الثَّنِيَّةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُفَسِّحُوا أَبْقَعَهُمْ حُلِيًّا ، فَلَا آذَنَ ، ثُمَّ لَا آذَنَ ، ثُمَّ لَا آذَنَ ، إِلَّا أَنْ يَطْلُقَ عَلَيَّ ابْنَتِي وَيَنْسَحَجَ أَبْلَقَهُمْ »

قَوْلُهُ « لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ » مِنَ التَّكْرِيرِ الَّتِي هُوَ أَشَدُّ مَوْعًا مِنَ الْإِيجَازِ ، لِأَنْصِبَابِ الصَّائِبَةِ إِلَى تَأْكِيدِ الْقَوْلِ فِي مَنَعِ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ التَّزْوِيجِ بِأَيِّ جِهْلٍ بَيْنَ هِشَامٍ .

وهذا مثل قوله تعالى : ( أَوَلَيْكَ مَا وَدَّعَ آوَدُ )<sup>(٢)</sup> .

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَوْلُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » ، لِأَنَّ قَوْلَنَا : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، مِثْلُ قَوْلِنَا « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وَحَافِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَإِنَّمَا كَرَّرْنَا الْقَوْلَ فِيهِ لِقَرِيرٍ لِلْعَنِيِّ وَإِثْبَاتِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُخَالِفُ فِيهِ كَالنَّصَارَى وَالتَّوْبِيِّ .

(١) صَدْرِيَّةٌ وَمَعْنَاهُ \* ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكْمَلِ \* وَالْيَتَّى فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ ٢/٣٧٧

وَالْيَتَّى ثَلَاثَ آيَاتٍ رَوَاهَا أَبُو تَمَامٍ ، وَلَمْ يَلِصْ بِهَا لِصَاحِبِهَا ، وَالْآيَاتُ مِ :

وَلَا غُرُو إِلَّا مَا يُخْبِرُ سَالِمٌ يَأْنِ بَنِي أَهْلِيهَا نَفَرُوا ٥٥

وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَفَتْهُ سَوَى أُنَى قَدْ قَلَّتْ يَا سِرْحَةَ اسْلَمَى

ثُمَّ فَاسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكْمَلِ

(٢) سُورَةُ التَّيْمَةِ : الْآيَاتَانِ ٣٥ وَ ٣٤

والسكرير في مثل هذا القامر أبلغ من الإيجاز ، وأحسن وأشد موقفاً :  
ومما جاء في مثل هذا قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ،  
فَيُنْزِلُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيُمْطِرُ كَيْفَ يَؤْتِي الْوَدْقَ يُخْرِجُ مِنْ خِلَالِهِ ،  
إِنَّا إِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا إِذَا هُمْ يَسْتَفْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ  
أَنْ يُزَلَّ عَنْهُمْ مِنْ قَبْلِهِ كَاشِرِينَ ﴾ .

قوله : « مِنْ قَبْلِهِ » بعد قوله : « مِنْ قَبْلِ » فيه دلالة على أن عهدهم  
الماضي قد بَدَأَ وتطاول ، فاستحكم بأشهرهم ، وتماذى إبلانهم <sup>(٣)</sup> ، فكان  
الاستيذان على قدر اهتمامهم بذلك .

وعلى ذلك ورد قوله تعالى : (عَالِمُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) (٣٢) .

فقوله : « لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » يقوم مقام قوله « لا يدينون دين الحق » ، لأن من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق ، وإنما كرر هاتين الخطبتين على الأمور بيقاليم ، والتسجيل عليهم ما لهم ، ورتبهم بالمعاقم ، ليكون ذلك أذنى لوجوب قتالهم وحرزهم .

وقد قلنا : إنَّ الكبرياءَ إنما يأتي لما أُنعمَ من الأمرِ ، بصرف العناية إليه  
ليثبت ويثبتر .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَجَبَّبَ فَجَعَبْ قَوْلُهُمْ أَذًا كَثِيرًا ۖ

(١) سورة الروم : الأيتان ٤٨ و ٤٩

(٢) الإبلان اليأس ، يقال : أبلس إذا يئس .

(٣) - سورة التوبة الآية ٧٩ .

أَرْبَابًا أُثْبِتَا إِلَىٰ خُلُقِي جَدِيدٍ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ  
الْآخِلُونَ فِي أَهْقَانِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ <sup>(١)</sup> ۝

فكثيرٌ لفظٌ « أُولَئِكَ » من هذا الباب الذي أشرنا إليه ، لمكان  
شدة الفكر ، وإفلاط العقاب بسبب إنكارهم البعث .

وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
هُمْ الْأَخْسَرُونَ <sup>(٢)</sup> ۝ ﴾ .

فإنه إنما تكررت لفظٌ « هُمْ » للإيدان بحقيق التمسار ، والأصل فيها  
وهم في الآخرة الأخسرون ، لكن لما أريد تأكيد ذلك جيء بمكرير  
هذه اللفظة التشايرية إليها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ حَايِقَتَيْهَا أَثْنَتَا فِي النَّارِ خَالِدَتَيْنِ فِيهَا <sup>(٣)</sup> ۝ ﴾ .  
وأمثال هذا في القرآن كثيرٌ .

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة القصص :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي التَّيْدِيَةِ حَامِتًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْنِ  
يَسْتَفْضِيهِ قَالَ ، هُوَ مُوسَىٰ ابْنُكَ لَمْ يَأْتِ مُبِينٌ . فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ بِالَّذِي  
هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَأْمُوسَىٰ أُتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْنِ <sup>(٤)</sup> ۝ ﴾ .

(١) سورة الرعد : الآية ٥ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥ .

(٣) سورة المعصر : الآية ١٧ .

(٤) سورة القصص : الآيات ١٨ و ١٩ .



قوله تعالى : « فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ » بحكريز « أَنْ » مرتين دليل على أَنَّ مؤنّى - عليه السلام - لم تكن مسارعه إلى قتل الثّاني كما كانت مسارعه إلى قتل الأوّل ، بل كان عنه إبطاء في بسط يده إليه ، تعبر القرآن عن ذلك في قوله تعالى : « فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ » .

وجرت يافى وبين رجل من النّحوين مقلّدة في هذه الآية ، فقال : إن ( أَنْ ) الأولى زائدة ، ولو حذفت قيل : فلما أراد أن يبطش ، لكان المعنى سواء ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَى وَجْهِهِ » (١) وقد اتفق النّحاة على أَنَّ « أَنْ » الواردة بـ « لَمَّا » وقبل الفعل زائدة .

قلت له : النّحاة لأقنّب لهم في مواضع النّصاحة والبلاغة ، ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث إنهم نعاة ، ولا شك أنّهم وجدوا « أَنْ » تزيد بعد « لَمَّا » وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب ، فظنوا أنّ المعنى بوجودها كالنّفى إذا أسقطت ، قدّوا : هذه زائدة . وليس الأمر كذلك ، بل إذا وردت « لَمَّا » وزّدت الفعل بعدها إسقاط « أَنْ » دلّ ذلك على النور ، وإذا لم تُسقط لم يدلّها ذلك على أنّ الفعل كان على النور ، وإنما كان فيه تراخي وإبطاء .

وبیان ذلك من وجّهين :

أحدهما : أتى أقول : فائدة وضع الألفاظ أن تكون أدية على المعنى . فإذا وردت لفظة من الألفاظ في كلام مشهور له بالنّصاحة والبلاغة ، فالأولى :

بإدخال تلك اللفظة على معنى ، فإن لم يوجد معنى بعد التفسير والتفسير والبعث الطويل قيل : هذه زائدة ، دخولها في الكلام كخروجها منه .

ولما نظرت أنا في هذه الآية وجدت لفظة « أن » الواردة بعد « لما » وقبل الفصل دالة على معنى ، وإذا كانت دالة على معنى فكيف يسوغ أن يقال إنها زائدة ؟

فإن قيل : إنها إذا كانت دالة على معنى فيجوز أن تكون دالة على غير ما أضرت أنت إليه .

قلت في الجواب : إذا ثبت أنها دالة على معنى فأنى أضرت إليه معنى مناسب واقع في موقعه ، وإذا كان مناسباً واقعاً في موقعه فقد حصل المراد منه ، ودلّ الغليل جليلاً أنها ليست بزيادة .

الوجه الآخر : أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدحاً في كلام الله تعالى ، وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لأحاجة إليهما ، والمعنى يتم بدونها ، وسيبئذ لا يكون كلامه متجزأ ، إذ من شرط الإيجاز عدم التطويل الذي لا حاجة إليه ، وإن التطويل عيب في الكلام ، فكيف يكون ما هو عيب في الكلام من باب الإيجاز ؟ هذا حال .

وأما قوله تعالى : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه » فإنه إذا نظرت في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته منذ القوّة في الحبّ إلى أن جاء البشير إلى أبيه عليه السلام وجئاً أنه كان ثم إعطاء بعيد ، وقد اختلف المفسرون في ذلك المدة ، ولو لم يكن ثم مدة بهمة وأمد متطاوّل لما جئى بأن بعد ذلك « وقبل القول » بل كانت تكون الآية : فلما جاء البشير ألقاه على وجهه .

وَهَذِهِ دَقَائِقُ وَرَمُوزٌ لَا تُؤْخَذُ مِنَ النِّهَايَةِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِهِمْ .

واعلم أن من هذا النوع قسماً يكون المعنى فيه مُضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة .

وقد ورد في القرآن الكريم واستُعمل في فصيح الكلام ، فمثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَبُّوا فِي آيَاتِنَا مُجَازِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ <sup>(١)</sup> والرجز هو المذاب .

وعليه ورد قول أبي تمام <sup>(٢)</sup>

سَوْسُ يَنْقُلُ الْيَبْءَ مُضْطَجِعاً بِهِ وَإِنْ هَضُمْتَ فِيهِ الْخَطُوبُ وَجَلَتْ  
وَالثَّقْلُ هُوَ الْيَبْءُ ، وَالْيَبْءُ هُوَ الثَّقْلُ .

وكذلك ورد قول البُحرى <sup>(٣)</sup> .

وَيَوْمَ تَمُوتُ نَفْسُكَ تَوَدَّاعَ وَسَلَمَتَ بَيْنَيْنِ مَوْصُولًا . بِلَعِظْمِهَا السُّحْرُ  
تَوَهَّنَتْهَا أَلْوَى رَأْجَفَانِهَا الْكَرَى

كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَأَتْ رَأْغَافِهَا الْخُمْرُ

فإن "الكرى" هو النوم .

(١) سورة سبأ : الآية ٥٠ .

(٢) ديوان أبي تمام . من قصيدة له يمدح فيها جيش بني النعمان ، وطلما .  
سائلها أي للولائم حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت

(٣) ديوان البُحرى ١/٤٤ . من قصيدة له في مدح التوكل مطلقاً :

من لاح برق أويدا طلل فتر جرى مستهل لا بكى ولا نرد

وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعلمي هذه الصناعة ، وظنوه  
تماماً لا فائدة فيه ، وليس كذلك ، بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود  
والمبالغة فيه .

أما الآية المراد بقوله تعالى : « عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ » أي : عذاب مضاعف  
من عذاب . وأما بيت أبي تمام فإنه يتضمن المبالغة في وصف المدحوح  
نفسه للأنتقال .

وأما بيت البهقي فإنه أراد أن يشبه طرفة لفتوره بالنائم ، ففكر  
الحق على طريق المضاف والمضاف إليه تأكيداً له ، وزيادة في بياحه .

وهذا الموضع لم يُلحظ عليه أحد سيواي .

ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع ما ليس منه وهو موضع لم يُلحظ  
عليه أيضاً أحد سيواي .

فمنه قوله تعالى : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ  
بَيْنِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِهِمْ لَنُفُوذُ رَحِيمٍ » (١) فلما تكررت  
« إِنَّ رَبَّكَ » مرتين علم أن ذلك أدل على المنفرة .

وكذلك قوله تعالى : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ  
بَيْنِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِهِمْ لَنُفُوذُ رَحِيمٍ » (٢)

ومثل هذا قوله تعالى : « لَا تَحْصِيَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ

(١) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٢) سورة الحل : الآية ١١٠ .

أَنْ يُعْتَبِدُوا بِمَا لَمْ يَقْعُوا فَلَا تُحْسِبْنَهُمْ رِبَاذَةً مِنَ الذَّلِيلِ (١) .

وهذه الآيات يُظَنُّ أَنَّها من باب التكرير ، وليست كذلك .

وقد أُنْتُهتُ نَظْرِي فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير ، وذلك أنه أُطْلِكَ الفصل من الكلام ، وكان أولُه يُنْقَرُّ إلى تمام إلا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ ، فالأول في باب القصة أن يَمَادَ لَفْظُ الأول مرة ثانية ، ليكون مقارناً لتمام الفصل ، كُنِيَ لَا يَجِيءُ ، الكلامُ مُنْقُورًا لَا سِمًا فِي « إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا » .

فإذا وردت « إِنَّ » وكان يَتَنَّى اسمها وخبرها فُسْحَةُ طويلة من الكلام فإِعَادَةُ « إِنَّ » أَحْسَنُ فِي حكم الهلافة والقصة ، كَالَّذِي تَقْدَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ .

وعليه وَرَدَ قولُ بعضهم مِنْ شعراء الحنابلة (٢) .

أُسْحَبًا وَقَبْدًا وَاسْتِيكًا وَغُرْبَةً وَنَائِي حَيْسِرٍ إِنَّ ذَا لَوَظِيمٍ  
وإن امرأ دامت موافق عهده على مثل قدامه لسكريم (٣)

فلمَّا طَالَ الكلامُ بَيَّنَّ اسمُ « إِنَّ » وَخَبَرُهَا أُعِيدَتْ « إِنَّ » مَرَّةً ثَانِيَةً ،  
لأنَّ تَقْدِيرَ الكلامِ : وإنَّ امرأ دامت موافق عهده على مثل هذا الكريم ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٢) ديوان الحماسة ١٠٥/٢ ولم يلحظها أبو تمام .

(٣) رواية البيت الثاني في ديوان الحماسة :

وإنَّ امرأ دامت موافق عهده على مثل ما ناسجه لسكرم  
وعلى هذه الرواية لا يكون البيت موحداً للاستشهاد ، لأنه لا تكرار فيه .

( ٢ - ٣ التل السائر )

لم يكن بين الاسم الطير مدى طويل ، فإذا لم تمتد « إن » مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رزق .

وهذا لا يقبّه لاستعماله إلا التصحاء إما طبعا وإما علما .

• • •

وكذلك يجري الأمر إذا كان خبر « إن » عاملا في معمول يطول في ذكره ، فإن إعادة الطير ثانية هو الأحسن .

وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لَأَيُّهَا يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ <sup>(١)</sup> 》 .

فلما قال : « إِنِّي رَأَيْتُ » ثم طال الفصل كان الأحسن أن يُعيد لفظ الرؤية فيقول « رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » .

وكذلك جاءت الآية المذكورة مماثلة هذه وهي قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا <sup>(٢)</sup> 》 فإنه لما طال الفصل أعاد قوله ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمُفْلَظَةِ رَبِّ الْعَذَابِ 》 فاعلم ذلك وضع يده عليه .

وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا بِرَحْمَةٍ <sup>(٣)</sup> 》 .

(١) سورة يوسف : الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٣) سورة النحل : الآية ١١٩ .

كَذَلِكَ آيَةُ الْآخِرَى وَهِيَ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ ﴾ .

وَمِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ فِي اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد قوله " وَجَلَّ " ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ أَتَيْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَتَيْنَا مِنْ قَبْلُ مِنْ دُونِ الْآخِرَةِ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (١)

فإنه إنما كرر يداء قومه هاهنا لزيادة التثنية لهم والإيقاظ من سبيل الغفلة ، ولأنهم قومه وشبهته ، وهم ذبأ يؤمنهم من الضلال ، وهو يعلم ولجته خلاصهم ، ونصيحته لهم واجبة ، فهو يحسن لهم ، ويحلف بهم ، ويتنذره بذلك ألا يتموه ، لأن مروقهم موروه ، وعصمهم غمه ، وأن ينزلوا على نصيحته لهم .

وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز ، وأشد مؤثرا من الاختصار ، ظاهره إن شاء الله تعالى .

وعلى غرضه جاء قوله تعالى في سورة التمر : ﴿ فَذُقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي ﴾ .

فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا ، ولأنه أن يتدوا عند استماع كل نداء من أنباء الأولين إذ كانوا وإيقاظا ، وأن يستأنفوا تأنبا واستيقاظا ، إذا سمعوا الحديث على ذلك ولهم إليه ، وأن تفرغ لهم القسا مرات ، فلا ينسبهم السهو ، وتقتول عليهم الغفلة .

(١) سورة المؤمن : الآيات ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة الفجر : الآيات ٣٩ و ٤٠ .

وهكذا حُكِمَ التَّكْرِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ نَسْمَةٍ حَدَّثَهَا عَلَى عِبَادِهِ .

وَأَمَّا هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ .

وَمَا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوعِ شَرْأُ قَوْلٍ بِعَظْمِ شُرَّاءِ الْحَمَاسَةِ (١) :

إِلَى مَتْنِ الْبَيْتِ الدُّوَيْلِيِّ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْبُزْلُ (٢)

قَوْلُهُ « هُنَاكَ هُنَاكَ » مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ الْبَلْغُ مِنَ الْإِبْجَازِ ، لِأَنَّهُ

مَرَضِي مُنَحْ ، فَهُوَ يَقْرَأُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عِنْدَ الْمَدْلُوحِ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ

الْمَذْكُورَةِ مُبْشِرًا لِبِهَا ، كَأَنَّهُ قَالَ أَذْلَكُمْ عَلَى مَتْنِ كَذَا وَكَذَا

وَمَقْرُوءٌ وَمُقَادِرٌ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِيرِ بْنِ هِنْدٍ (٣) :

جَزَى اللَّهُ عَفَى خَالِبًا مِنْ هَيْهَرَةٍ إِذَا حَدَّثَانِ الدَّهْرَ نَابَتْ نَوَائِبُهُ (٤)

(١) نسب أبو تمام إلى خلف بن خليفة مولى لقيس بن ثعلبة ، وهو شاعر إسلامي مجيد مقل دأمر جريراً والفرزدق ، ويعرف بالأفطح ، لأنه قطعت يده بسيفه أتم بها .

(٢) رواية ديوان الحماسة ٣٣٦/٢ « للؤيد » موضع « للؤيل » والبيت من جملة أبيات أولها :

عندك إلى شعر المسيرة والحرى إليهم وفي تعدادهم شغل

(٣) هو ابن لقيس بن زهر بن حنيفة بن خزيمة بن زواحة ، حكى قال التبريزي ، وقال فيه : هو شاعر إسلامي مقل .

(٤) بعد هذين البيتين يجان ، وما :

إذا قلت هو هذا هاد كل شميرك أشم من التفتان جزل مواهبه

إذا أخذت بزل الحاس سلاحها تجرد فيها مطلق السائل كاسبه

راجع ديوان الحماسة ٢٩١/٢ . ولم ينسب أبو تمام هذه أبيات للمساوير ، ولكنه رواها بعد أبيات للمساوير أولها :

فدأ لي هند فطاة دعوتهم وهو ويل الناس والأبواب

ثم روى بعد هذه أبيات أبيات الأربعة ، ولصها لآخر . ورواية الحماسة في البيت الأول : جزى الله خيرا غاليا . . .



فَكَيْفَ دَا فَتَوَا مِنْ كَرْبَةٍ قَدْ تَلَا حَتَّى عَلَى وَتَوَجَّ قَدْ خَلَقْنِي فَوَالِهُ (١)

فصدور البيت الثاني وعجزه يدل أن على معنى واحد ، لأن تلاحم الكرب عليه كعمالي الموج من قومه . وإنما سوغ ذلك لأنه مقام مدح وإطراء ، ألا ترى أنه يصف إحصان هؤلاء القوم عند حدك في تهرؤ في التكرير ، وفي قبليته لو كان القائل حلياً ، فإن المصباح في هذا كالمدر ، والتكرير إنما يحسن في كلا الطرفين لا في الوسيط .

واعلم أنه إذا وردت « إن » للكسوة الحقة قبل « ما » كانت بمنزلة سواه .

ألا ترى إلى قوله تعالى : « إن لم إلا كالأقلام » فـ « إن » و « ما » بمعنى واحد ، وإذا وردت من بعد « ما » كانت من باب التكرير كقولها : « ما إن كذا وكذا » ، أي : ما يكون كذا وكذا ، وإذا وردت في الكلام فلما ترد في مثل ما أشرنا إليه من التكرير ، فإن استعملت في غير ما يكون منها لفائدة يفتيها تكريرها كان استعمالها تنوؤاً لا فائدة فيه .

وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب التتلي أتى في هذا البيت بتكرير لا حاجة به إليه ، وهو قوله (٢) :

العارض التين ابن العارض التين ابن العارض التين ابن العارض التين

(١) القوارب أعلى اللوح وأعلى الظهر .

(٢) ديوان التتلي ٢٠٩/١ من نسخة له في مدح أبي عبيد الله محمد بن عبد الله الهادي الأملاني ، ومثلها :

أهل الناس أكرام لنا الزمن يخلو من المم أخلام من الطلح .

وليس في هذا البيت من تكرير<sup>(١)</sup> فإنه كقولك «الموصوف بكذا وكذا»  
ابن الموصوف بكذا وكذا «أى: أنه عريق النسب في هذا الوصف» .

وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك، كقول النبي صلى الله عليه وسلم  
في وصف يوسف الصديق عليه السلام «الكريم ابن الكريم يوسف بن  
يوسف بن إسحاق بن إبراهيم» .

ولقد لاحظت في هذا البيت المشار إليه بعض علماء الأتصاف، وأخذوا يظنون  
من جهة تكريره، فوقفوا على مواضع الصواب فيه، وعرفوا أنه كالغير  
النبوي من جهة التفتي سواء بسواء، لكن لفظه ليس بمرغوب على هذا  
الوجه الذي قد استعمل فيه، فإن الألفاظ إذا كانت حساناً في حال إفرادها  
فإن استعمالها في حال التركيب يزيد حساناً على حسانها، أو يذهب  
الحسن عنها .

وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى من الصناعة اللفظية<sup>(٢)</sup> .

ولو تنبهنا لأي الطامع المنهي أن يبدل لفظه «العارض»<sup>(٣)</sup> بلفظة  
«الشعاب» أو ما يجرى مجراها لكان أحسن .

وكذلك لفظه «التيين»<sup>(٤)</sup> فإنها ليست بمرضية في هذا الموضع  
على هذا الوجه . وللفظة «العارض» وإن كانت قد وردت في القرآن ،

(١) انظر صفحة (٢١١) من القسم الأول من هذه الطبعة .

(٢) العارض الشعاب يترى في الألق، ومنه قوله تعالى «عارض مطراً» .

(٣) حفت الباء تهين حنا وحنونا ومتاناً وتهاناً، وتهاوتت : انصبت ، أو هو أولها  
المطل ، أو الضيف الدائم ، أو مطر سامة ثم يفر ثم يمد ، وشعاب حانن وحنون .

وَلَمْ يَلَفْظُهُ حَسَنَةً ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ وَرُودِهِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوُرُودِهِمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الشَّرْعِيِّ ظَاهِرٌ .

وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وَبَيْتِ لَأَبَى الطَّيِّبِ أَيْضًا ، وهو في نقالة اللفظية عند الكلام على الألفاظ المفردة فَلْيُؤْخَذْ مِنْ هُنَاكَ <sup>(١)</sup> .

وكثيراً ما يقع الجهال في مثل هذه المواضيع ، وهم الذين غلب فيهم :

وَكَذًا كُلُّ أَحْيٍ حَذَلْتِ مَاتَتْ فِي يَابِسٍ إِلَّا زَلَّتِ

فَتَرَى أَحَدَهُمْ قد جمع نفسه ، وظنَّ على جهته أنه عالمٌ ، فيسرع في وصف كلامه بالإيجاز ، وكلامه بالتطول ، أو بالتكثير ، وإذا طوَّيَ بأن يُبدى سبباً لما ذكره لم يوجد عنده من القول شيء ، إلا تحكماً تحضاً صادراً من جهلٍ مخضٍ .

الضرب الثاني من التكثير في اللفظ والمعنى :

وهو غير المنقذ ، فمن ذلك قولُ مروانٍ الأحمري <sup>(٢)</sup> :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَسَلَامًا عَلَى نَجْدٍ      وَكَأَحَدًا نَجْدًا عَلَى النَّأْيِ وَالْبُيْدِ  
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَنَجْدَادُ دُونَهَا      لَتَلِيَّ أَرَى نَجْدًا وَنَهْمَاتٍ مِنْ نَجْدٍ

وهذا من العمى الضعيف ، فإنه كرَّرَ ذِكْرَ « نَجْدٍ » في البيت الأول ثلاثاً ،

(١) انظر صفحة (٢١٣) من القسم الأول من هذه الطبعة ، وقد وازن فيها بين استعمال « السِّل » و « السَّيْد » في شعر الأمازيغ ولأبي الطيب وآية من القرآن الكريم .  
(٢) هو أبو السمت مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان الأصغر ، ويقال لجده مروان بن أبي حفصة مروان الأكبر . كان شاعراً ساقط الشعر ، عامه الإتيان والتشاكل ، وله قصائد هذلي التشاكل وأحد بن أبي ذؤ .

وفي البيت الثاني ثلاثاً ، ومُراءه في الأول التثنية على نجد ، وفي الثاني أنه تلفت  
إليها فأنظرأ من بُنداد ، وذلك سرّتى بهد .

وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير .

أما البيت الأول فيُتمثل على الجائز من التكرير ، لأنه مقامُ مشوق  
ونعزّز وموحيّة يفرّاق نجد . ولما كان كذلك أُجيز فيه التكرير ، على أنه  
قد كان يُمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتَيْن معاً من غير أن يأتي  
بهذا التكرير المتتابع بيتَ سرّات .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي نواس<sup>(١)</sup> :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَتَكَاتَا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ الدَّرَجَلِ خَامِسِ<sup>(٢)</sup>

ومُراءه من ذلك أنهم أقاموا بها أَرْجُة أَيَّام ، وباصحابها يأتي بمنزل  
هذا البيت السخيف الدالّ على اليأس القلبي في ضمن تلك الأبيات الصعبة  
الحسن التي تقدّم ذكرها في باب الإيجاز<sup>(٣)</sup> ، وهي :

وَدَارِ نَدَايَ حَطْلُوعًا وَأَدْلُجُوا ... ..

فَمن هذا الباب أيضاً ما أوردناه في صدر هذا النوع ، وهو قول  
أبي الأصب<sup>(٤)</sup> :

(١) ديوان أبي نواس (٢٩٥) من جملة أبيات من غرنا أولها .

ودار ندامي صلوها وأدجلوا بها أثر منهم جديد ودارس

(٢) رواية الديوان في هذا البيت :

أَلَمَّا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمِينَ بِهِمْ وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ الدَّرَجَلِ خَامِسِ

(٣) راجع صفحة (٣٤٦) من القسم الثاني من هذه الطبعة .

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جِهْرَانِي وَمِثْلِي لَيْثِي هِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ<sup>(١)</sup>  
 فهذا هو التكريرُ القاضِي الذي يُؤْتَرُ في الكلامِ نَقْصًا .  
 أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرِ مِثْلَ جِهْرَانِي فِي سُوهِ الْجَوَارِ ، وَلَا مِثْلِي فِي  
 مُصَابِرَتِهِمْ وَمَقَامِي هِنْدَهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا اللَّغْنَى فِي الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ .  
 وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ جَاءَ تَوْنٌ أَيْضًا :  
 وَقَفَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَفَلَ الْكُشَا قَفَلًا عِيسَ كُلُّهُنَّ قَفَلًا

• • •

( التكرير في المعنى دون اللفظ )

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ ، وَهُوَ الَّذِي يَوْجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ الْفِظِ .  
 فَبِذَلِكَ تَمَرُّبَانٌ : مُعَيَّدٌ وَغَيْرُ مُعَيَّدٍ .

المعرب الأول : المفيد

وهو نوعان :

الأول إذا تكرر في المعنى بدل على معنيين مختلفين :

وهو موضعٌ من التكرير مشكل ، لأنه يَسْبِقُ إِلَى الْوَحْمِ أَنَّهُ تَكْرِيرٌ يَدُلُّ  
 عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ .

فِيمَا جَاءَ مِنْهُ حَدِيثُ حَاطِبٍ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ<sup>(٢)</sup> فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، وَذَلِكَ .

(١) من قصيدته التي أولها :

قَوَادِمَ قُصَايِهِ الْمَدَامِ وَحَمْرٍ مِثْلَ مَا تَهَبُ الْكُتَامِ  
 وقد سبق في صفحة (٣) من هذا القسم الثالث .

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة النخعي ، حليف لفرس ، ويقال إنه من مذحج وليل هو  
 حليف الزبير بن الدوام . شهد بدر والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن عرس و- بين  
 سنة . ، وصل عليه عيان ، وقد شهد الله لحاطب بالإيمان في قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَا تَتَخَذُوا عِدْوِي وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ ... . وانظر الاستيعاب لـ (١) مرة الأضغاب لاجن  
 عهد البر ٣١٧/١

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَآلَ زَيْدٍ <sup>(١)</sup> وَالْمُقَدِّدَ <sup>(٢)</sup>  
 - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ : « إِذْهَبُوا إِلَى رَوْضَةِ خَاحٍ <sup>(٣)</sup> ، فَإِنَّ بِهَا عِلْمِيَّةً <sup>(٤)</sup>  
 يُنْعَمُ بِكَتَابٍ ، فَأَتَوْنِي بِهِ » قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَنَرَجْنَا تَعَادَى بَيْنَا خَيْلُنَا ،  
 حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، وَإِذَا فِيهَا النَّصِيبَةُ ، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ مِنْ حَقَائِبِهَا <sup>(٥)</sup> ، وَأَتَيْنَا  
 بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَمَةَ إِلَى نَاسٍ  
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخَيِّرُهُمْ بَيْنَ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ  
 لَهُ : مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَسْتَجِلَّ عَلِيٌّ ، إِنِّي كُنْتُ إِسْرًا  
 مُنْصَفَقًا فِي قَرْيَةٍ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَقْبَتِهِمْ » . وَكَانَ مِنْ مَلَكَ مِنَ الْمَاهِجَرِينَ لَمْ يَمْ  
 قَرَابَةً يَحْمُونَ بِهَا أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ بِمَكَّةَ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ  
 الْقَسْبِ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَمَتَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفِّرُوا  
 وَلَا أَرْتَدُّدًا عَنْ دِينِي ، وَلَا يَرْضَى بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ قَدْ صَدَّقَكُمْ » .

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولم يختلف عن غزوة هزأها رسول الله ، وهو من المعصرة البصرية بالجلفة ، ومن السعة الذين هم أهل العورى ، ومات مقتولا في فتنة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

(٢) هو المقدّد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البكراني ، من بهراء من قضاة ، وقيل هو كندى من كندة ، شهد بدرًا والمهاجد كلها ، وكان من الفضلاء النجباء الكبار الحيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعهد فتح مصر ، ودخل في أروسة بالجلف ، فدخل إلى المدينة ، ودخل بها ، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين .

(٣) خاخ : موضع بين الحنين ، به روضة خاخ ، بقرب حراء الأسد من المدينة ، قال الأحموس .

ليست لياليك من خاخ بماتدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم

(٤) العليمة : النخلة ، ومضى الفرس ففره على الرأس .

قوله « ما قلت ذلك كُفراً ، ولا ازداداً من دینی ، ولا يضاً بال .  
بعد الإسلام » من التكرير الحسن .

وبعض الجبال يظنه تكريراً لا غائبة فيه ، فإن الكفر والازداد من  
الدين سواء ، وكذلك الرضا بالكفر بعد الإسلام ، وليس كذلك . والذي  
يدل عليه القضا هو أني لم أقول ذلك وأنا كافر ، أي : باق على الكفر ،  
ولا مرتداً ، أي : أني كفرت بعد إسلامي ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ،  
أي : ولا إشاراً لجانِب الكفار على جانب المسلمين . وهذا حسن في مكانه ،  
واقع في موقعه .

وقد يُحصل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذي نحنُ بصدده ذكره هاهنا  
وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد ، وسيأتي بيانه في الفرع  
الثاني الذي يلي هذا الفرع الأول .

والذي يجوز أن هذا المقام هو مقام اخطار وتصل مما روي به من تلك  
القاهرة العظيمة التي هي شقائي وكفري ، فكرر المعنى في اخطاري فبدأ  
بما كيد والتكرير لما ينبغي عنه ما روي به .

وبما ينظم بهذا الشكل أنه إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين :  
أحدهما خاص ، والآخر عام كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنَّا مِنْكُمْ إِيَّاهُ يَدْعُونَ  
إِلَى الْغَيْبِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

فإن الأمر بالمعروف خير ، وليس كل خير أمراً بالمعروف ، وذلك أن  
التلخيص أنواع كثيرة من مجلتها الأمر بالمعروف .

جائدة التكرير ها هنا أنه ذكر الخاص بعد العام للفتية على نصيبه .  
كقوله تعالى : ﴿ سَافِرُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى ﴾ <sup>(١)</sup> .

وكقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا نَا كَيْتَةٌ وَنَحْنُ وَدُمانٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ  
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

فإن الجبال داخلة في جنة الأرض ، لكن قطرة الأرض طم ، والجبال  
خاصة . وقادته ها هنا تعظيم شأن الأمانة المشكر إليها وتغيب أمها .

وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا .

وعما ورد منه شعرا قول [ المتعمد الكندي <sup>(٤)</sup> ] من أبيات الحاسة <sup>(٥)</sup> :

وإن الذي بيني وبين بني أبي      وبين بني عمي لمحتلِفٌ رجداً  
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم      وإن هدموا عجلي بنيت لم تجد <sup>(٦)</sup>

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٨

(٢) سورة الرحمن . الآية ٦٨

(٣) سورة الأحزاب . الآية ٧٢

(٤) يباشر في الأصل موضع اسم الشاعر ، وهو محمد بن ظفر بن حمير ينتهي لقبه إلى  
كنية بن حمير ، وإنما لقب بالمتعمد لأنه كان أجل الناس وجهاً ، وكان إذا خسر التمام من  
وجهه أواجهه العين ويلطه عنت ومهفة ، فكان لا يجعي إلا مقننا ، هكذا ذكر التبريزي .  
وهو شاعر مثل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية ، وكان له عل وشرف ومروءة  
في عصره ، وكان متخرجا في مطايا ، سمح اليد بجاهه ، لا يرد مسائله عن شيء سألها إياه .  
(٥) ديوان الحاسة ٣٣/٧ من جنة أبيات أولها .

يما بيني لي الذين قومي وإنما ديواني في أشياء تكسبهم حدا

وانظر أمالي الثعالبي ٢٨٠/١ وفيها ثلاثة أبيات لبنت في رواية أبي تمام .

(٦) رواية الحاسة « فإن أكلوا » . ورواية الأمالي « فإن يأكلوا » .



وَإِنْ صَيَّعُوا غَنِيَّ حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَنِيَّ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدَهُ  
فهذا من الخاص والعام ، فإن كل لغير يؤكل للإنسان هو تضيق لثبته ،  
وليس كل تضيق لثبته أكلاً لهجه .

ألا ترى أن أكل اللحم هو كفاية عن الاغتياب ؟ وأما تضيق الثوب ،  
ففيه الاغتياب ، ومنه التخل عن الثمرة والإحالة ، ومنه إهمال السعى في كل  
ما يسود بالنفع كأنما ما كان .

وعلى هذا فإن هذين البيتين من الخاص والعام الشكر إلى في الآية المتقدم  
ذكرها ، وهو موضع يرد في الكلام البليغ ، ويظن أنه لا فائدة فيه .

\*\*\*

الفرع الثاني : إذا لم يتكرر في المعنى بل على معنى واحد بوجه  
وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب ، كتقولك : « أظنني ولا تمنعني »  
إِنَّ الْأُمُورَ بِالطَّاعَةِ تَحْتَمَى مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، والقائدة في ذلك تثبيت الطاعة في  
نفس مخاطب .

والكلام في هذا الموضع كاللزام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ  
والمعنى إذا كان الترضي به شيئاً واحداً ، ولا نجد شيئاً من ذلك يأتي في الكلام  
إلا لتأكيد الترضي المنصوب به ، كتوحيده تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَذَابٌ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ .  
وَإِنْ تَتُوبُوا وَتَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ فَهُوَ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

فإنه إنما كرر العفو والمغفرة - والجمع بمعنى واحد  
 لزيادة في تحسين عفو الوالد من ولده ، والزواج عن زوجته .  
 وهذا وأمثاله يُنظر في الفرض المقصود به ، وهو موضع يكون التكرير  
 فيه أوجز من لغة الإيجاز ، وأولى بالاستعمال . وقد ورد في القرآن كثيراً  
 كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام :

﴿ فَلَمَّا إِنَّمَا أَشْحَبُونَ بَنَى وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فإن البتة والحزن بمعنى واحد ، وإنما كرره هاهنا لشدة الطلب النازل  
 به ، وتكاثر رسامته النافذة في قلبه ، وهذا المعنى كالذي قبله .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حَشْرٌ كَلِمَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> بعد ثلاثة وسبعة  
 تنويعاً من باب قوله ثلاثة وسبعة مرتين ، لأن « عشرة » هي ثلاثة وسبعة ،  
 ثم قال « كلمة » ، وذلك تأكيد ثالث ، والمراد به إيجاب صوم الأيام  
 السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور ، لا عند الوصول إلى البلد ، كما ذهب  
 إليه بعض الفقهاء .

وبيانه أرى أقول : إذا صدر الأمر من الأمر على الأمور بلفظ التكرير  
 مجزئاً من قرينة تُخرجُه عن وضعه ، ولم يكن موقفاً بوقت معين ، كان  
 ذلك حثاً على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور ، فإنك إذا قلت  
 لمن تأمره بالقيام : « قم قم قم » ، فإننا نريد بهذا اللفظ التكرير أن يبادر  
 إلى القيام في تلك الحال الحاضرة .

(١) سورة يوسف - الآية ٨٦

(٢) سورة البقرة - الآية ١٩٦ وقبل هذه الجملة « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام  
 في الحج وسبعة إذا رجعتم » .

فإن قلت : الفرضُ يكرر الأمر أن يكرر في نفس المأمور أنه مراراً  
 منه ، وليس للفرض الحث على المبادرة إلى امتثال الأمر ؟

قلت في الجواب : إن المرة الواحدة كافية في معرفة المأمور أن الذي أمر  
 به مراراً منه ، والزيادة على المرة الواحدة لا تخلو إما أن تكون دالة على  
 ما دلّت عليه المرة الواحدة ، أو دالة على زيادة معنى لم تكن في المرة الواحدة .  
 فإن كانت دالة على المرة الواحدة كان ذلك تطويلاً في الكلام ،  
 لا حاجة إليه .

وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله الآية المشار إليها وغيرها من  
 الآيات ، والتطويل في الكلام عيب فاحش عند العلماء والنحاة ، والقرآن  
 معجزٌ ببلاغته وفصاحته ، فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة إليه ؟ فينبغي  
 أن تكون تلك الزيادة دالة على معنى زائد على ما دلّت عليه المرة الواحدة .  
 وإذا ثبت هذا ففلك الزيادة هي الحث على المبادرة إلى امتثال الأمر .

فإن سئلت لي ذلك ، وإلا فبين معنى تلك الزيادة ببيان غير ما ذكرته أنا ،  
 ولا أراك تستطيع ذلك فإن قلت : إن الواو في قوله تعالى « وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ »  
 لولا أن تؤكّد بقوله : « تلك عشرة » لظن أنها وردت بمعنى « أو » أي :  
 خلافة أيامهم في الحج أو سبعة إذا رجعتم ، فلما قيل « تلك عشرة » زالت  
 هذا الظن ، وتحققت الواو أنها عاطفة ، وليست بمعنى « أو » .

قلت في الجواب : هذا باطلٌ من أربعة أوجه :

الوجه الأول : أن الواو العاطفة لا تبطل بمعنى « أو » أين وردت يزن

الكلام ، ولما تبطل بمعنى « أَوْ » حالَ ضرورة ترجيح جانبها على جانب جعلها عاطفة ، لأنَّ الأصلَ منها أن تكونَ عاطفةً ، فإذا حُدِلَ بها عن أصلها احتجَّ إلى ترجيح ، ولا ترجيحَ لها هنا .

الوجهُ الثاني : بلاغٌ ، وذلك أنَّ القرآنَ الكريمَ مُنتهى البلاغةِ والنصاحَةِ لمكانِ إيجازه ، فلو كانَ ممقًى الواوُ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ » لقل : ثلاثة أيامٍ في الحجِّ وسبعةً إذا رَجَعْتُمْ ، ولم يُحتجَّ إلى هذا التطويل في قوله : ثلاثة أيامٍ في الحجِّ وسبعةً إذا رَجَعْتُمْ : ثَلَاثَ عَشْرَةَ كَمَا هُنَا .

الوجهُ الثالث : أنَّ هذا الصَّومَ حُكْمٌ من أحكامِ المهادَّاتِ ، والمهادَّاتُ يجبُ فيها الاحتياطُ ، وأنَّ تَوَدَّى على أكلِ صُورَةٍ ، إثلاً يدخلها النقصُ ، وإذا كانَ الأمرُ على ذلكَ فكيفَ يُظنُّ أنَّ الواوُ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ » ؟

الوجهُ الرابع : أنَّ السبعةَ ليستَ بمائةٍ لثلاثةٍ حتى تُبطلَ في قهاليتها ، لأنَّ معنى الآيةِ إذا كانتِ الواوُ فيها بمعنى « أَوْ » إمَّا أنَّ تصوموا ثلاثةَ أيامٍ في الحجِّ أو سبعةً إذا رَجَعْتُمْ .

فإنَّ قلتَ : هذا تعبدٌ لا يُقبلُ معناه كغيره من التعمُّداتِ التي لا يُقبلُ معناها ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ لنا من التعمُّداتِ ما لا يُقبلُ معناه ، كعددِ رَكَعَاتِ الصَّلَاةِ ، وعددِ الطَّوَافِ وَالسَّيِّ ، وأشهادِ ذلكَ ، ولنا ما يُقبلُ معناه كهذهِ الآيةِ ، فإنَّا ننقلُ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الصَّوْمِ فِي الْخَصَرِ وَالسَّفَرِ ، وننقلُ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الصَّدِ الْكَثِيرِ وَالصَّدِ الْقَلِيلِ .

وعلى هذا فلا يخلو إذا أنَّ يكونَ صومُ الأيامِ السَّبعةِ عندَ الرجوعِ في .

الطريق أو عند الوصول إلى البلد ، فإن كان في الطريق فإنه أشق من الصوم بمكة ، لأن الصوم في السفر أشق من الصوم في البصر ، فكيف يُبطل صوم سبعة أيام في السفر في مقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة ؟ وإن كان الصوم عند الوصول إلى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول إلى البلد ، لأن كليهما صوم في المقام ببلد من البلاد ، لا تفاوت بينهما حتى يُبطل صوم ثلاثة أيام في مقابلة سبعة أيام ، على غير مثاله ولا نسكو .

فلى كلام التقديرين لا يجوز أن تكون الواو في « سبعة إذا رجستم » بمعنى « أو » فتحقق أنها إذا لعطف خاصة .

وإذا كانت للعطف خاصة فأن كدها بشرية كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الأيام السبعة في الطريق قبل الوصول إلى البلد .

فإن قلت : إن الصوم بمكة أشق من الصوم في الطريق ، لأن الواجب عليه الصوم بمكة في نصب وتمب بتصرف زمانه في السعي والطواف والصلاة والعمرة وغير ذلك ، قلت في الجواب : هذا لا يلزم ، إذ الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد ، وما عدا ذلك نافلة لا يلزم ، ونحن في هذا المقام نأطرون إلى ما يجب لا إلى النافلة ، والذي يجب أدائه بمكة يُفَرِّغُ منه في ساعة واحدة ، فكيف نجعل الزيادة على ذلك دليلاً يورّد في هذا المقام ؟ هذا غير وارد ، وهذا ورد في قوله تعالى : ﴿ إِذَا هَرَفَ فِي النَّاقُورِ فَذُكِّيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (١) قوله ( غير يسير ) بعد قوله ( يسير ) من هذا النوع المشار إليه ، وإلا فقد علم أن اليسير لا يكون يسيراً ، وإنما ذكرها هنا على هذا الوجه لتعظيم

شأن ذلك اليوم في عصره وشدة على الكافرين .  
وكذلك ورد قوله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه  
إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وعلتكم دون من دون الله ، كفرننا بكم ، وبدأ بيننا  
وبينكم المداوة والنضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وسعدكم )<sup>(١)</sup> فإن النضاء والمداوة بمعنى  
واحد ، وإنا حين إيرادها معاً في مترض واحد ، لتأكيد البراءة بين إبراهيم  
صلوات الله عليه والذين آمنوا به ، وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده .  
والبيان في إظهار القطعية والمصادقة ورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع  
كالإيجاز في موضعه ، ولن ترى شيئاً يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل  
إلا وهو لأمر النضاء ، وإن خفي عليك موضع السر فيه فاسأل عنه أهل العارفين .  
وعا ورد منه شراً قول بعضهم في آيات الخاتمة<sup>(٢)</sup> :

نَزَلَتْ عَلَى آلِ الْمَلِكِ شَاتِيَاً بَيْدَاً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْفَتْلِ  
فَمَا زَالَ يِي إِكْرَامِهِمْ وَانْقَادِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلَ  
فِي الْإِكْرَامِ وَالْانْقَادِ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ ، وَإِنَّا كَرَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ  
بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِحْبَابِ لِحَفْهِ . وعلى هذا ورد قول الأحنس في قصيدته المشهورة  
التي يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال منها<sup>(٣)</sup> :

#### (١) المصنعة ،

(٢) هو بكسر الهمزة والفتحة والياء والسين ( ٢٣٣/٣ ) على أن اللطوعة ليست  
مسلوبة لى أحد في شرح الخاتمة للبرزوقي وللرزوقي ولا في صيون الأخبار ( ٣١/١ )  
ولا في وفيات الأعيان في ترجمة الهلب بن أبي سفرة . وفي البيان والبيان ( كثيراً بيد الدار  
يدلان من ( بيدان عن الأوطان ) والبيت الثاني في البيان .

فما زال يي إكرامهم وانقادهم وإحسانهم حتى حسبهم أهل  
وفي شرح الخاتمة للرزوقي : في زمن علي « يدلان من ( في زمن المهدي )  
(٣) البيت من قصيدته التي مطلعها :

لَمْ تَقْضِ مِنْكَ لِي أَرْسَداً وَعَادَكَ مَاعَادَ السَّيِّمِ مَسْهَداً

- حول المديوان ( ولا من حل ) شرح الديوان ١٣٥ .

فَأَيُّتْ لَا أَزْنِي لَهَا مِنْ كَلَامِهِ وَلَا مِنْ وَجْهِ حَقِّ تَلَاقي مُحَدِّثٍ .  
فإن الوجبي والكلامه مظاهرها سواء ، وإنما حسن تكريره هاهنا للإشعار  
ببعد المسافة .

والضرب الثاني منه القسم الثاني في تكرير المعنى دوره اللفظ :

وهو غير الحيد ، فمن ذلك قول أبي تمام :

قسم الزمان رُبوعها بين الصبا وقُبُورِها وَدُبُورِها أَفْئَلًا<sup>(١)</sup>  
فإن الصبا هي القبول .

وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ  
الْوُسْطَى ﴾<sup>(٢)</sup> فيا يرجع إلى تكرير اللفظ والمعنى ، ولا مثل التكرير في قوله تعالى :  
﴿ وَهَكَذَا يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(٣)</sup> فيا يرجع إلى تكرير  
المعنى دون اللفظ ، وقول أبي تمام : الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير .  
وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطاً كثيراً ،  
وأكثرت منهم أجازته ، فقالوا : إن كانت الألفاظ متغايرة والمعنى المعبر  
عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعيب ، وهذا القول فيه نظر ، والحق عندي

(١) البيت من قصيدته في مدح مالك بن نويرة ومطلعا :

قل بالطول الفارسات لانا أمت حبال تطيين رنانا

(ديوان أبي تمام ٣١٤/١) . وفي الفاموس المحيط : القبول ربح الصبا لأنها تتأبل  
الدبور أو لأنها تتأبل باب الكمية أو لأن النفس تتأبلها (مادة قبل)  
وفي شرح الحاشية للرزوقي : قيل في القبول إنها الصبا ، وقال النضر بن حميل :  
القبول ربح بين الصبا والجنوب .

وقال ابن الأعرابي : القبول كل ربح لبنة طيبة النفس تتأبلها النفس ، فليس لرد على أبي  
تمام وجه . وقال ابن المستوي : الصحيح أن الصبا هي القبول ، وما أقي منه أيا تمام أن يجعل  
موضع (قبولها) (جنوبها) فكان يسلم من التشبيح عليه (ديوان أبي تمام ٣١٥/١) وقد  
ذكر الخفاجي قد لايت (سر الفصاحة ٢٢٥) . وكذلك أبو بلال ذكره (الصناعتين ١٢١) .

(٣) آل عمران ١٥٤

(٢) البقرة ٢٨

فيه أن الثائر يصاب على استعماله مطلقاً إذا أتى لغير فائدة ، أما الناظم فإنه يصاب عليه في موضع دون موضع .

أما الموضع الذي يصاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها ، وأما الموضع الذي لا يصاب فيه فهو الأحواز من الأبيات ، لمكان القافية ، وإنه جاز ذلك وإن لم يكن صيحاً ، لأنه قافية ، والشاعر مضطر إليها ، والمضطر يميل له ما حرم عليه ، كقول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطالعها :

(ألا انتم صباحاً أيها الظلل الهالي)

قال :

وهل يَنْصَحَنَ إلا سعيدٌ تَحَدَّدَ قَلِيلُ الموم لا يَبِيتُ بأَوْجَالِ<sup>(١)</sup>  
وإذا كَانَ قَلِيلُ الموم فإنه لا يَبِيتُ بأَوْجَالِ ، وهذا تكرير للمعنى ، إلا أنه ليس بسبب ، لأنه قافية .

وكتبت قال الخطبة : —

قالت أمانةٌ لا نَحْزَعُ قَلَّتْ لها إن الزَّراء وإن الصبر قد غابها  
هلا التمسنا إن كنتِ صادقةً مالا نعيش به في الناس أو نَشْهأ<sup>(٢)</sup>  
فأليت الأول معيب ، لأنه كرر الزَّراء والصبر ، إذ مداهما واحد ، ولم يردده

---

(١) ديوان امرئ القيس ٢٧ والمطلع في الديوان :

(ألا هم صباحاً) وأليت الثاني :

وهل يسن إلا سعيد تحدَّد قليل الموم ما يبيت بأرجال  
الأوجال : جمع وجل وهو النزع .

(٢) البيتان من قصيدته في مدح بنيى ، ومطلعها :

طلعت أمانة بالركبان آولة يا حسنه من لوام ما ومتنبها  
وفي الديوان ( في المزج ) بدلاً من ( الناس ) ديوان الخطبة ١٢١ .



حافية : لأن القافية من الباء ، وأما البيت الثاني فليس بمصعب ، لأن التكرير جاء في التشبيه وهو قافية .

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى قَوْلَ الْمُتَعَلِّمِ الْيَشْكُرِي :

وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَى الْقَتَاةِ الْخِذْرُ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ  
الْكَاغِبِ الْحَسَنَاءِ تَرَى قُلُوبَ الْفَتَمَةِ فِي الْحَرِيرِ (١)

فإن الممقس والحريز سواء ، وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ،  
مفان قيل إن الحريز هو الإبريسم للنسوج بدليل قوله تعالى : ( وجرّاه بما  
صبروا جنة وحريراً ) (٢) فإنه لم يرد خيوط الإبريسم ، وإنما أراد أثواباً من  
الإبريسم ، وأما الممقس فإنه خيوط الإبريسم مخلوطة ، بدليل قول امرئ القيس :

وَشَحْمٌ كَمْ ذَابَ الْمَقْمَسُ الْمُفْقَلُ (٣)

فإنه لم يرد إبريسماً منسوجاً ، وإنما أراد خيوط الإبريسم ، فالجواب عن  
ذلك أنه لو حل بيت المتعل على ذلك لفسد معناه ، لأن المرأة لا ترفل  
في خيوط من الإبريسم ، وإنما ترفل في الأثواب منه ، وأما قول امرئ القيس  
( كذاب الممقس ) فإنه لو كان الممقس هو الخيوط المخلوطة من الإبريسم لما

(١) البتان من قصيدته التي مطلعها -

إن كنت طافني نسبي نحو العراق ولا تجوزي

(الاصمعيات ٥٧) .

(٢) الإنسان ١٧ .

(٣) العطر من البيت :

فقال السدري يرتعد بلسنها  
والبيت من المعلقة التي مطلعها :

فما بك من ذكرى حبيب ونزل  
يسقط الأولى بين الدخول وسومل

(الديوان ١١)

احتاج أن يقول كذاب ، فإن المذاب جمع مُذَب ، ثم قال (الفتل) ، فذلك  
بذلك على أن المفسر يطلق على الإبريسم سواء كان منسوجاً أو غير منسوج ،  
وكذلك الحرير أيضاً ، وعند الاستعمال يفهم للراد منه بالقرينة ، ألا ترى أنه لما  
قال للنخل (ترذل في المفسر وفي الحرير) فهم من ذلك أنه أراد أنماها من  
المفسر ومن الحرير ، لأن القول لا يكون في خيوط من الإبريسم ، وإنما  
يكون في أنماها .

وما يجرى على هذا المنهج قول الآخر من شعراء الجاهلية :

إني وإن كان ابن عمي غائباً      لثاقذف من خلفه وورائه  
فإن خلفاً ووراء بمعنى واحد ، وإنما جاز تكرارها لأهمية تافهة ، وعلى هذا  
ورد قول أبي تمام .

ومن كان البين أصبح طالباً      دمتا لدى آثارنا وخودنا<sup>(١)</sup>

فإن اللمعة هي المقدم . وكذلك قول أبي الطيب المنفي :

بغمر تنوء أن يؤم لأهله      من دهره وطوارق الحذمان

(١) هو المذيل بن معصية البولاني . المعنى أنه يقتات دونه إذا كان هو هادياً له ،  
وقد تخلف عنه ابن عمه ، ويقتات ورائه إذا تقدمه ابن عمه ، فلوله ( من وراءه ) من البين  
الظاهر أنه بمعنى اللصاح ( شرح ديوان الجاهلية للفرزوقي ١٦٨٠/٤ )

(٢) البيت من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الفيلاني ومطلعا :

طلل الجبل لمجد الموت جيداً      وكفى على رزقي بذلك شهيداً

ولم الغيران ( لدى آرامها ) بدلا من ( لدى آثارنا )

الذين الأول جمع دمنة وهي آثار القوم في الديار ، ثم يسمى المنزل دمنة لأن اللمعة فيه .  
والثاني منسوخ من دمنة ، وهي المقدم وبجنته في القلب ، وهي بالآرام النساء ههنا بالظباء .  
البيضاء ، يقول إن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آثارا (ديوان أبي تمام ١١٦/٢) .

فتركته وإذا أدم من الوزي راعاك واستغنى بنى حمدان<sup>(١)</sup> .  
فإن الدهر وطوارق الحدثنان سواء ، وإنما جاز استعمال ذلك لأنه لافية .  
وأما ما ورد في أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنقرة :

حُيِّيت من طللٍ تقادم ههـده أقرى وأقرَّ بعد أم المهتم<sup>(٢)</sup>  
فقوله أقرى وأقرَّ من اللبيب ، لأنهما لفظان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة ؛  
إذ الضرورة لا تكون إلا في القافية كما أريدك .

وأما ما ورد من صدور الأبيات فكقول البهقرى :

ألمت وهل للمأما بك نافع وزارت خيالا والبيون هواجم<sup>(٣)</sup>

فإن قول ( ألمت ) وقوله ( زارت خيالا ) سواء ، فلا فرق إذا بين صدر البيت ومجزءه ، فإن قيل إنه أراد بالإلصاق زيارة اللفظة ، ثم قال ( وزارت خيالا ) فالجواب عن ذلك أنه لم يرد إلا زيارة المثلما في الحالتين ، لأنه قال : ( ألمت وهل

(١) البطلان من قصيدته في مدح سيف الدولة عند انصراله من بلد الروم سنة ٣٤٥ هـ ،  
وأندده لإماما بأند ، ومطلعا :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي الجبل الثاني

( شرح ديوان المتلبي ٣/ ٣٩٥ ) .

بحر هنا خبر لبتدا محذوف ، أى النهر الذى عبره سيف الدولة بحر . ينم لأمله :  
يبحرهم . الحدثنان : نوابغ الدهر . بنو حمدان : عشيرة سيف الدولة ، أى أن هذا النهر الذى  
عبره سيف الدولة بحر تمود أن يبحر أصحابه من حوادث الدهر بأن ينم البدو من البيور  
اليهم ، لكن لما هزته أبت تركته يبحر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، حتى أن غيرك  
لا يتجر على مهوره .

(٢) من مملكته التى مطلبها :

هل فاجر البهراء من مقدم أم هل هزفت الفار بعد توم؟

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خالان ، ( الديوان ٢/ ٧٦ ) وفى الديوان :

لك نافع :

إلمامها بك نافع) ولو كان في اليقظة لما قل وهل إلمامها بك نافع ، فإنه لا يقع  
أشنع من زيارة المجهوب في اليقظة ، وهذا غير خاف لا يحتاج إلى السؤال عنه .  
فإن قيل لم أجزت ذلك فلناظم وحظرت على الناثر ؟

قلت في الجواب : أما الناثر فإنه إذا سجع كلامه فالتألب أن يأتي به مزدوجا  
على فقرتين من الفقر ، ويمكنه إبدال تلك الفقرتين بفهرها ، فيسلم منه ، وأما الشاعر  
فإنه يصوغ قصيداً ذا أبيات متعددة على قافية من التوافي ، فإذا تكرر لديه شيء  
من الكلام في آخر بيت من الأبيات عسر إبداله من أجل القافية ، وهذا غير خاف  
والسؤال منه غير وارد .

وهذا الذي ذكرته إذا ورد في غير القافية سمي إخلالاً ، ويقال إن البهتري  
كان يُغزل كثيراً في شعره ، وهو لمعري كذلك ، إلا أن حسن سبكه ، ورواق  
ديباجته يغفر له ذلك . ويروى عنه أنه كان إذا تَمَثَّلَ بين يدي الفتح بن خافان  
وزير التوكل مادحاً له اختل بين يديه مسبباً بنفسه ، فقدم خطوات ، ثم تأخر ،  
وقال أي شيء تسمعون ؟ فقم عليه ذلك بعض حركاته ، وحمل الفتح بن خافان  
عليه ، فقال له الفتح : لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مغفوراً له فيما يقوله .

### النوع الثامن عشر

### في الاعتراض

وبعضهم يسميه المشو ، وحدث كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب  
لوسط لبق الأول على حاله .

مثال ذلك أن قول زيد قائم ، فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر ،  
فإذا أدخلنا فيه لفظاً مفرداً قلنا زيد والله قائم ، ولو أدخلنا القسم منه بق  
سجلى حاله ، وإذا أدخلنا في هذا الكلام لفظاً مركباً قلنا : زيد على ما به من المرض

تقام ، فأدخلنا بين المبدأ والخبر نقلاً مركباً وهو قولنا على ما به من المرض ،  
فهذا هو الاعتراض ، وهذا حده .

واعلم أن الجائز عنه وغير الجائز يؤخذ من كتب العربية ، فإنه يكون  
مستقصى فيها ، كاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والموصوف ،  
وبين المخطوف والمخطوف عليه ، وأشياء ذلك مما يحسن استعماله ،  
وكالاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وبين إن وإسما ، وبين الجار  
والمرور ، وأشياء ذلك مما يقيح استعماله ، وليس هذا مكانه ، لأن كتابنا هذا  
موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا إليه في صدر الكتاب .

وليس المراد هاهنا من الاعتراض إلا ما يُفترق به بين الجيد والردى ،  
إلا ما يسمّى به الجائز وغير الجائز ، لأن كتابي هذا موضوع قد ذكر ما يتضمنه  
الكلام على اختلاف أنواعه من وصف البلاغة والتقصّص ، فالتقى أذ كره في باب  
الاعتراض إنما هو ما اشتغل على شيء من هذين الوصفين للشار إليهما .

[تقسماً الاعتراض]

واعلم أن موضوعات تنقسم إلى قسمين :

أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لقائفة ، وهو جارية تجزئ التوكيد .

والآخر أن يأتي في الكلام لنهر فائدة ، فإذا أن يكون دخوله فيه كخروجه  
منه ، وإما أن يؤثر في تأنيقه نقصاً وفي معناه فساداً .

[القسم الأول]

وهو الذي يأتي في الكلام لقائفة كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم .

جاءه قسم " لو " تملون عظيم - إنه قرآن كريم <sup>(١)</sup> ، وذلك اعتراض بين القسم

تلقى هو فلا أقسم بمواقع النجوم ، وبين جوابه الذى هو ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وفى نفس هذا الاعتراض اعترض آخر بين الموصوف الذى هو قسم وبين صفته التى هى عظيم ، وهو قوله ﴿تَمْلُونُ﴾ فذالك اعتراض كثرى .  
وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هى تعظيم شأن القسم به فى نفس السامع ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿لَوْ تَمْلُونَ﴾ اعتراضاً بين الصفة والموصوف ، وذلك الأمر بحيث لو عُلِمَ وقى حفه من التعظيم .

وهذا مثل قولنا : إن هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عظمته لقدرته حق قدره . فإن ذلك يكبره فى نفس مخاطب ، ويظل مُتطلماً إلى معرفة عظمته . وكذلك ورد قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُونَ ثِقَلَهُ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وتقديره يحملون ثِقَلَهُ الثبات ولم يثبتون ، فاعترض بين المتولين بسبعائه ، وهو مصدر يدل على التنزيه ، فكأنه قال ويحملون ثِقَلَهُ الثبات وهو منزّه عن ذلك ، ولم يثبتون ، وفائدة هذا ما هنا ظاهرة .

وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة يونس عليه السلام ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ الْمَلِكُ قَوْلًا مِنْ جِهٍ بِهِ جَحْلٌ يَعْمِرُ وَأَنَّا بِهِ زُهَيْرٌ قَالُوا تَالْفُلُقْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ أَنْفُسَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فقوله (لقد علمتم) اعتراض بين القسم وجوابه ، وفائدته تقرير إثبات البراءة من الفساد ، والبراءة من تهمة السرقة ، أى أنه قد علمتم هذا منا ، ونحن مع علمكم به قسم بالله على صدقه .

وقد ورد الاعتراض فى القرآن كثيراً ، وذلك فى كل موضوع يتعلق بشئ من خصوصيته للمبالغة فى المنفى بالنعوذ .

ومن هذا القسم قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ﴾ .

(٢) يوسف ٧٧ .

(١) النحل ٥٧ .

(٣) النحل ١٦١ .

قالوا إنما أنت مفتري بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٣٧﴾ فهذا الاعتراض بين إذا وجوابها ، لأن تقدير الكلام وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر ، فاعتراض بينهما بقوله تعالى ﴿ والله أعلم بما يزل ﴾ وهو مبدا وخبره ، وفائدته إعلام القائلين أنه مفتر أن ذلك من الله وليس منه ، وأنه أعلم بذلك منهم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه - حملته أمه وهنا على غلظته ومن يوفى له في عاتق أن اشكر لي ولوالديه ﴾ ﴿٣٨﴾

الآية إلى هذا الاعتراض الذي قد طبق بتفصيل البلاغة ؟ وفائدته أنه لما أوصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق في حمل الوالد ووضاؤه ، وإنما بالضرورة بها وتذكر أجعها ، وإنما خصها بالذكر دون الأب ، لأنها تتكلف من أمر الوالد ما لا يتكلفه ، ومن ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبز ؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أمك .

وبما جاء على هذا الأسلوب قوله عز وجل ﴿ وإذا قلتم شأنا فادارأتم فيها - والله يخرج ما كنتم تكتمون - قلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ ﴿٣٩﴾ .

فقوله ﴿ والله يخرج ما كنتم تكتمون ﴾ اعتراض بين المطوف والمطوف عليه ، وفائدته أن يقرر في قوس الحاطين وقلوب السامعين أن تدارأتم بني إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في إحقاقه وكتابه ، لأن الله تعالى مظهر لذلك ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان : وإذا قلتم شأنا فادارأتم فيها ، قلنا اضربوه ببعضها . ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه .

وبما ورد من ذلك شرأ قول امرئ القيس .

ولو أن ما استقى لأدنى معيشة كفاي - ولم أطلب - قليل من اللال .

ولكنما أسمى الجيد - بؤنلي - وقد يذكرك الجيد المؤقت أمثالاً<sup>(١)</sup>  
تثديره كفاً قليل من اللال ، فاعترض بين النمل والفاعل بقوله (ولم أطلب)  
وفائدة تحقير الحبيثة ، وأنها تحصل بنهر طلب وعناء ، وإنما الذي يحتاج إلى  
الطلب هو الجيد المؤقت.

وكذلك قول جرير :

وقد أراى - والجديد إلى يلى - في موكب طرف الحديث - كرام<sup>(٢)</sup>  
تثديره في موكب طرف الحديث ، فاعترض بين القولين ، وإنما جاء بهذا  
الاعتراض تعريفاً عما مضى من اللفظ وذلك النعم الذي فاز به من مشرة أولئك  
الأصحاب ، (فكانه قال)<sup>(٣)</sup> : وقد أهدى في كذا وكذا من اللفظ ، وذلك قد  
مضى وسلف وبلى جديده ، وكذلك كل جديد فإنه إلى يلى .

والاعتراض إذا كان هكذا كما الحديث لطفاً إن كان غزلاً ، وكساه أبهة  
وجلالاً إن كان مديحاً . أما ما يجرى مجراه من أساليب الكلام ، وإن كان  
حجماً كساه ما كهداً وإثباتاً كقول كثير مرة :

لو أن الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك اللطال<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدته التي مطلعها :

ألا هم صباحاً أيها الطلل البالي  
وهل يسن من كان في العصر الخال  
(الديوان ٣٩) للؤلؤ الذي يشر ويغيد ، وهو أيضاً الكثير .

(٢) من قصيدته في الرد على الفرزدق ، ومطلعها :

سرت المسوم فبتن خير ليام  
وأخو المدوم يروم كل مرام  
والبيت في الديوان هكذا :

وقد أراى والجديد إلى يلى  
في ثنية طرف الحديث كرام  
(الديوان ٥٥٩) .

(٣) ما بين قوسين زيادة رأينا أنها توضح المراد .

(٤) ديوان كثير ١٠٥١/١ .



ف قوله وأنت منهم من محمود الاعتراض وناديه ، وفائدة هاهنا التصريح بما هو المراد ، وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض : لو أن الهاخلين رأوك ، فاعترض بين اسم أن وهو الهاخلين ، وبين غيرها وهو رأوك بالابتداء ، أو انظر القى هو « وأنت منهم » .

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول سوار بن الضرب السدي :

فلو سألت سراً إلى سَلَى على أن قد تَلَوْنَ في زمانى  
تَلَبَّرها ذوو أحساب قوبى وأعدائى فمَكَلَّ قد بَلَّانِ (١)

وهذا اعتراض بين لو وجوابها ، وهو من فائق الاعتراض وناديه ، وتقديره .  
فلو سألت سراً إلى سلى تلبرها ذوو أحساب قوبى وأعدائى ، وفائدة « على أن قد تلون في زمانى » أى أنهم يخبرون على تلون الزمان ، يريد تنقل حالاته من خير وشر ، وليس من حكمة الزمان وأبان عن جوهره كنهه من لم يسجه ولا أبان عنه .

ومن ذلك قول أبى تمام :

وإن الزنى لى إن لَعَطَتْ مطالى من الشعر إلا فى مديحك أطومع (٢)

(١) فى الأصل إسبة الشعر للضرب السدي ، والصواب لبثهما إلى ابنه سوار ( شرح التبريزى للحاسة ١/١٢٥ ) .

(٢) من لصيدته فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثرى ، ومطالها :  
ألا إنه لولا الخبط الودع ورجع عفا منه مصيف ومرج  
الديوان ٣٣٣/٢ قال أبو الفتح صبان بن جنى : الفصل بين المضاف والمضاف إليه  
كثير ، وقد جاء المضاف الكبير بالتقديم والتأخير فقال : ( البيت ) وتقديره أن أنقى - لو  
لحلفت مطالى - أطومع لى من الشعر ، إلا فى مديحك ، أى فإنه يلجئ فى مديحك ويسارع  
إلى . وهذا كقوله أيضاً منى وكلفا :

تفاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوائيه مستعمل

وهذا البيت فيه اعتراضان :

الأول : بين اسم إن وخبرها « تقديره » ، وإن النفي أطوع لي من الشعر ، فاعترض بين الاسم والخبر بقوله « إن لحظت مطالبي » .  
أما الاعتراض الثاني : فقوله « إلا في مديحك » فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة ، وموضعا للتأخير ، فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر إن .

وتقدير البيت بجملة « وإن النفي أطوع لي من الشعر إن لحظت مطالبي إلا في مديحك » وفائدة قوله إلا في مديحك من الاعتراض الذي اكتسب به الكلام رقة وفائدة حسنة ، وللمراد به وصف جود اللبوح بالإسراع ، ووصف خاطر شره بالإسراع إذا كان في مده خاصة دون غيره ، فهذا الاعتراض يتضمن مدح لللبوح وللادحسما ، وهو من محاسن ما يجيء في هذا للوضع .

وكذلك ورد قوله :

وَدَحَّتْ رَوَاقِي وَجْهِ فِي صَحيفَةِ رَدِّ الصَّقَالِ بَهَا الصَّارِمِ أَتْلُفِمْ  
وما أبالي - وخبر القول أصدقه - حَفَّتْ لِي مَاءُ وَجْهِ أَمْ حَفَّتْ دِي (١)  
فقوله « وخبر القول أصدقه » اعتراض بين المفعول والفعل ، لأن موضع حَفَّتْ نصب ، إذ هو مفعول أبالي ، وفائدته إثبات ما ماثل به بين ماء الوجه والدم ، أي أن هذا القول صدق ليس يكذب .

[ القسم الثاني ] :

وأما القسم الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لتبرير فائدة فهو ضربان :

- (١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف والبيتان في الديوان هكذا :  
حَفَّتْ رَوَاقِي وَجْهِ فِي صَحيفَةِ رَدِّ الصَّقَالِ بِوَجْهِ الصَّارِمِ الْحَذْمِ  
وما أبالي - وخبر القول أصدقه - حَفَّتْ لِي مَاءُ وَجْهِ أَوْ حَفَّتْ دِي  
(الديوان ٢١٨/٣) الصقال : الاسم من الصقل . الحذم : السرج الضخم .

الضرب الأول : يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به قبحاً .  
ولا حسناً ، فن ذلك قول النابتة :

يقول رجال مجهولون خليفتي لعل زياداً - لا أباً لك - غافل<sup>(١)</sup>  
نقوله لا أباً لك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه ، وليس مؤثراً في البيت  
حسناً ولا قبحاً .

ومثله جاء قول زهير :

سنة تكاليف الحيلة ومن يمشي ثمانين حولا - لا أباً لك - سام<sup>(٢)</sup>

وقد وردت هذه اللفظة وهي « أباً لك » في موضع آخر ، فكان للاعتراض  
بها فائدة حسنة ، كقول أبي حاتم :

« متاك عنى - لا أباً لك - واقصدي »<sup>(٣)</sup>

فإنه لما كره عابها اعترض بين الأمر والمطوف عليه بهذه اللفظة على  
طريق اللزم .

الضرب الثاني : وهو الذي يؤثر في الكلام قصفاً وفي المعنى تساداً ، وقد  
تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقديم والتأخير ، وإنما جيء بذكرها هنا  
مكرراً لإتمام التقسيم الاعتراضي فيما أفاد وفيما لا يفيد ، وقد ذكرت من ذلك  
مثالاً واحداً أو مثالين ، فما ورد منه قول بعضهم :

(١) من قصيدة في رثاء النيران بن النضر ، مطلعها :

دعاك الجوى واستجھلتك للنازل وكيف تصابى الرء والشيب هامل

(٢) من مطلعته التي مطلعها .

أمن أم أولى صفة لم تكلم بصومالة الدراح فالتلثم

(٣) لم نشر على النس في ديوانه .

قَدْ وَاللَّهِ بَيْنَ لِي عِدَّةٌ بَوْشَكَ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ<sup>(١)</sup>

فإن في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكرك ، وهو الفصل بين  
قد والفعل الذى هو بَيْنَ ، وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما دخل عليه من الأفعال  
الأتاهتد مع الفعل كالجزء منه ، ولعلك أدخلت عليه اللام للراد بها تؤكد  
الفعل كقولك تعالى ( ولقد أوجى إليك وإلى الذين من قبلك )<sup>(٢)</sup> وكقولك  
( ولقد علوا لمن اشتراه )<sup>(٣)</sup> وقول الشاعر :

ولقد اجتمع رجلى بها حَذَرَ للوتِ وإنى لقرور<sup>(٤)</sup>

إلا إن قيل بين قد والفعل بالقسم ، فإن ذلك لا بأس به نحو قولك :  
قد والله كان ذاك ، وقد فصل في هذا البيت أيضاً بين المبتدأ الذى هو الشك وبين  
الخير الذى هو عناء بقوله « بَيْنَ لِي » وفصل بين الفعل الذى هو « بَيْنَ » وبين  
فاعله الذى هو « صرد » بخبر المبتدأ الذى هو عناء ، فجاء معنى البيت كما تراه ،  
كأنه صورة مشوهة قد قلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض .  
ومن هذا الضرب . قول الآخر :

نظرتُ وشخصى - مَطْلَعُ الشَّمْسِ - ظِلُّهُ إلى التَّربِ حَقَّ ظِلُّ الشَّمْسِ قَدْ عَقِلَ

أراد : نظرت مطلع الشمس وشخصى ظلّه إلى التراب حتى عقل الشمس قد عقل  
حاذها ، وعلى هذا التقرير قد فصل مطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو  
« شخص » وبين خبره الجملة وهو قوله ظلّه إلى التراب ، وأغلظ من ذلك أنه

(١) أصل التركيب قد بين صرد يصيح بوشك فراقهم ، والشك لى عناء .

(٢) الزمر ٦٥ . (٣) البقرة ١٠٢ .

(٤) من مقطوعة لصروب مديكرب ( شرح ديوان الخيامسة للوزوق ١٨١/٣ )  
الفسر لى قوله بها اللرس . واللى : أركنهما وأستدر جريها ، ذهاباً في الفراز ، واخترازاً  
من للوت ، وإنى لستكبه الحرب إذا كان الحرب أهلى ، وإلى مراغمة المدوامى .

فصل بين الفضل وقاعه بالأجنبي ، وهذا وأمثاله مما يفسد المعنى ويورثها اختلالا .  
واعلم أن النثر في استعمال ذلك أكثر ملازمة من النظم ، وذلك أن النظم مضطر إلى إقامة ميزان الشعر ، وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طلب الوزن في مثل هذه الورقات ، وأما النثر فلا يضطر إلى إقامة الميزان الشعري ، بل يكون مجال الكلام عليه واسعا ، ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراضا يفسده توجه عليه الإنكار ، وحق عليه الذم .

### النوع التاسع عشر في السكناية والتعريض

وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانبا . وقد تكلم علماء البيان فوجدتهم قد خلطوا السكناية بالتعريض ، ولم يفرقوا بينهما ، ولاحدوا كلا منهما عند يفصله عن صاحبه ، بل أوردوا لها أمثلة من النظم والنثر ، وأدخلوا أحدهما في الآخر ، فذكروا للسكناية أمثلة من التعريض ، وللتعريض أمثلة من السكناية . فمن فعل ذلك الغامض<sup>(١)</sup> وابن سنان الخفافجي<sup>(٢)</sup> والسكري<sup>(٣)</sup> .  
فأما ابن سنان فإنه ذكر في السكناية قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامها ورُمَتْ فذلّتْ صبيّةً أئى لإلال<sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو الملاء محمد بن غانم المعروف بالغامض . كان من فضلاء عصره ، وله شعر معهود ، وهو من شعراء نظام الملك ( الباب لابن الأثير ١٦٦/٣ ) .

(٢) الأمير أبو محمد عبادة بن محمد بن سعيد بن سنان الخفافجي الحلبي التوفي سنة ٥٤٦ هـ مؤلف سر السباحة .

(٣) أبو حلال الحسن بن عبادة بن سهل السكري التوفي سنة ٥٣٩ هـ مؤلف كتاب الصناعات .

(٤) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألا هم صباحا أيها الطال بالي وهل يمدن من كان في العصر الخال

( الديوان ٢٧ ) .

صرنا إلى الحسنى : إلى ما تحب من الأمور . رمت : ابتتها بالكلام والملازمة كما يروى الشعر أو الحصان بالسير .

وهذا مثال ضربه للكتابة عَلَى المباشرة ، وهو مثال للتعريض<sup>(١)</sup> .

ووجدت في كتاب التذكرة لابن حمدون البندادى ، وكان مشار إليه عندم<sup>٢</sup> .  
بفضيلة و معرفة لاسيا في فن الكتابة ، فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصودا على  
ذكر الكتابة والتعريض وما قيل فيهما نظرا ونثرا ، وهو محشو بالغلط بين هذين  
التفسيرين من غير فصل بينهما ، وقد أورد أيضا في بعضه أمثلة غثة باردة .

وسأذكر ما عندى في الفرق بينهما ، وأميز أحدهما عن الآخر ، ليُثرف كل  
منهما على أفرادنا فأقول :

[ الكتابة ] :

أما الكتابة فقد حدثت بحدة ، فتقبل على اللفظ الدال على الشيء ، على غير  
الوضع الحقيقي ، بوصف جامع بين الكتابة والمسكوت عنه ، كاللمس والجماع ،  
فإن الجماع اسم موضوع حقيقى ، واللمس كتابة عنه ، وبينهما الوصف الجامع ،  
إذ الجماع لى وزيادة ، فكان دالا عليه بالوضع المجازى .

وهذا الحد فاسد ، لأنه يجوز أن يكون حداً للتشبيه ، فإن التشبيه هو اللفظ  
الدال على غير الوضع الحقيقى جامع بين التشبه والتشبيه به وصفة من الأوصاف ،  
الأتى أنا إذا قلنا : زيد أسد ، كان ذلك لفظاً دالا على غير الوضع الحقيقى  
بوصف جامع بين زيد والأسد ، وذلك الوصف هو الشجاعة ، ومن ها هنا وقع  
الغلط لمن أشرت إليه فى القى ذكره فى حد الكتابة .

(١) قال ابن سنان الحفاجى : ومن هذا الجنس حسن الكتابة مما يجب أن يكنى عنه  
فى اللوح الذى لا يمس فيه التصريح ، وذلك أصل من أصول القضاة ، وشروط من شروط  
البلاغة ، إلى أن قال . ومما يستحسن من الكتابات قول امرئ القيس ( البيت ) لأنه كنى  
عن المباينة بأحسن ما يكون من العبارة ( سر القضاة ١٥٦ ) .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم قالوا : حد الـكناية إنما اللفظ المحتمل ،  
 يقولون بذلك أنها اللفظ الذى يحمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه . وهذا لاسد  
 أيضا ، فإنه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية .

دليل ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاضل ما شئت »  
 فإن هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه ، وبيان ذلك أنه يقول فى أحد  
 معنييه : إنك إذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء فاضل ما شئت ، أما معناه  
 الآخر فإنه يقول : إذا لم تفعل فعلا يستحق منه فاضل ما شئت ، وهذا ليس  
 من الكناية فى شيء ، فبطل إذا هذا الحد .

ومثال الفقيه فى قوله إن الكناية هى اللفظ المحتمل مثال من أراد أن  
 يحمّد الإنسان فأنى بمحمّد الحيوان ، فمير بالأعم عن الاخص ، فإنه يقال كل إنسان  
 حيوان ، وليس كل حيوان إنسانا ، وكذلك يقال ها هنا ، فإن كل كناية لفظ  
 محتمل ، وليس كل لفظ محتمل كناية .

والذى عدى فى ذلك أن الكناية إذا وردت مجازيا جانيا حقيقة ومجاز ،  
 وجاز حلها على الجانبين معا ، ألا ترى أن الـمس فى قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ سَمِعُوا ﴾  
 النساء يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منهما يصح به المعنى ولا يحتل ،  
 ولهذا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أن الـمس هو مصالحة الجسد الجسد ، فأوجب  
 الموضوع على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة فى الـمس ، وذهب غيره  
 إلى أن المراد بالـمس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية . وكل موضع  
 ترد فيه الكناية فإنه يتجاذبه جانيا حقيقة ومجاز ، ويجوز حمله على كليهما معا ،  
 وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز ، لأنه لا يجوز حمله إلا على  
 جانب المجاز خاصة ، ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، ألا ترى أننا  
 إذا قلنا : ( زيد أسد ) لا يصح إلا على المجاز خاصة ، وذلك أنا شبهنا زيدا  
 بالأسد فى شجاعته ، ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، لأن

زيداً ليس بالحيوان ذا الأربع والذهب والوبر والأناب والخالب .

وإذا كان الأمر كذلك فغذا الكناية الجامع لها . هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبيه الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز . والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، يقال كنت بكذا عن كذا ، نهي تدل على ما تكلمت به ، وعلى ما أردته في غيره ، وعلى هذا فلا غلو إما أن تكون في لفظ مجاز به جانباً حقيقة ومجاز ، أو في لفظ مجاز به جانباً مجاز ومجاز . أو في لفظ مجاز به جانباً حقيقة وحقيقة ، وليس لنا قسم رابع ، ولا يصح أن تكون في لفظ مجاز به جانباً حقيقة وحقيقة ، لأن ذلك هو اللفظ المشترك ، وإذا أطلق من غير قرينه فخصمه كان شيئاً غير مفهوم ، وإذا أضيف إليه القرينة صار مختصاً بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، ذلك بخلاف اللفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد بعينه لا يتعداه إلى غيره ، وكذلك لا بد من أن تكون الكناية في لفظ مجاز به جانباً مجاز ومجاز ، لأن المجاز لابد له من حقيقة يُقَرَّبُ عنها ، لأنه فرع عليها .

وذلك اللفظ الدال على المجازين إما أن يكون الحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة ، فإن كان لها شركة في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا يخالف لأصل الوضع ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، وهذا تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريد شيئاً غير ، وإن لم يكن الحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره ، وإذا أُخْرِجَتِ الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا محال ، فتصحق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة ، وأنت تريد المجاز ، وهذا الكلام



في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق .

واعلم بأن الكناية مشقة من السر ، يقال كذبتُ الشيء إذا سترته ، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي يُستتر فيها المجاز بالحقيقة ، فتكون دالة على السر وعلى المستور معا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَسْمَعْ النِّسَاء ﴾ فإنه إن حمل على الجامع كان كناية ، لأنه ستر الجامع بلفظ المسمى الذي حقيقته مصالحة الجسد الجسد ، وإن حمل على الملاصقة التي هي مصالحة الجسد الجسد كان حقيقة ، ولم يكن كناية ، وكلاهما يتم به المعنى .

وقد تأولت الكناية بنهر هذا ، وهي أنها مأخوذة من الكفّية التي يقال فيها أبو فلان ، فإذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد ، كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله ، فإن شئنا ناديناه بهذا أو شئنا ناديناه بهذا ، فكلما واقع عليه ، وكذلك يجري الحكم في الكناية ، فإذا شئنا حملناها على جانب المجاز ، وإذا شئنا حملناها على الحقيقة ، إلا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلَىٰ سَبْعَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾<sup>(١)</sup> فكفى بذلك من النساء ، والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ، ولولا ذلك لقل في مثل هذا الموضع إن أخى له تسع وتسعون كبشاً ولّى كبشاً واحداً ، وقيل هذه كناية عن النساء ، ومن أجل ذلك لم يُلغَتْ إلى تأويل من تأول قوله تعالى : ﴿ وَثَمِيَّا بَكَ طَهْرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية ، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا .

فإن قيل فما الدليل على اشتقاق الكناية من كسبت الشيء إذا سترته ،  
ومن الكنية ؟

قلت في الجواب : أما اشتقاقها من كسبت الشيء إذا سترته ، فإن المستور  
فيها هو المجاز ، لأن الحقيقة تفهم أولا وينسارع إليها الفهم قبل المجاز ، لأن  
دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية ، وأما المجاز فإنه يُفهم بعد فهم الحقيقة ، وإنما  
يفهم بالنظر والتفكير ، ولهذا يحتاج الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ،  
فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى ، وهو مستور بالحقيقة ، ألا ترى الى قوله تعالى :  
( أو لاسم النساء ) قالهم ينسارع فيه الى الحقيقة التي هي ملازمة الجسد الجسد ،  
وأما المجاز الذي هو الجمع ، فإنه يفهم بالنظر والتفكير ، ويحتاج القاص الى  
الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ .

وأما اشتقاقها من الكنية فلأن عبد الله في هذه الصورة المذكورة هو حقيقة  
هذا الرجل ، أي الاسم الموضوع بإيزائه أولا ، وأما أبو محمد فإنه طارىء عليه  
بعد عبد الله<sup>(١)</sup> لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولد اسمه محمد ، وكذلك الكناية  
فإن الحقيقة لها هو الاسم للوضوح أولا في أصل الوجود ، وأما المجاز فإنه طارىء  
عليها بعد ذلك ، لأنه فرع ، والفرع إنما يكون بعد الأصل ، وإنما يُعتمدُ الى  
ذلك الفرع المناسبة الجامعة بينه وبين الأصل على ما تقدم الكلام فيه ، وهذا  
التقدير كاف في الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار إليهما .

فإن قيل إنك قد ذكرت أقسام المجاز في باب الاستعارة التي قدمت ذكرها  
في كتابك هذا ، وحصرتها في أقسام ثلاثة ، وهي التوسيم في الكلام ، والاستعارة ،  
والتشبيه ، وزناك قد ذكرت الكناية في المجاز أيضا ، فهل هي قسم رابع لتلك

(١) كان في الأصل قالب بين الاسمين محمد وعبدالله ، فصححناها هكذا ليتلاءم الكلام  
حنا مع صاحبه عند قوله إنها مأخوذة من الكنية .

الأقسام الثلاثة أم هي من جملتها ؟ فإن كانت قسماً رابعا فذلك تقضى للحصر الذى حصرته ، وإن كانت من جملتها فذلك أعدت ذكرها ها هنا مرة ثانية ، وهذا للسكر لا حاجة إليه .

فالجواب عن ذلك أنى أقول : أما الحصر الذى ذكرته فى باب الاستعارة فهو ذاك ، ولا زيادة عليه ، وأما الكناية فعلى جزء من الاستعارة ، وكذلك الكناية بآنها لا تكون إلا بحيث يُعطى المسكن عنه ، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام ، فيقال كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، ويُفترق بينهما من وجه آخر ، وهو أن الاستعارة لفظاً صريح ، والصريح هو ما دل عليه ظاهر لفظه ، والكناية ضد الصريح ، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ ، وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والمعموم ، والآخر الصريح ، والآخر المحل على جانب الحقيقة والمجاز . وقد تقدم القول فى باب الاستعارة أنها جزء من المجاز ، وعلى ذلك تكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص .

وكان ينبغى أن تذكر الكناية عند ذكر الاستعارة فى النوع الأول من هذه الأنواع المذكورة فى المقالة الثانية ، وإنما أفردتها بالذكر ها هنا من أجل التبريز ؛ لأن من العادة أن يذكر جميعاً فى مكان واحد .

وقد بآى فى الكلام ما يجوز أن يكون كناية ، ويجوز أن يكون استعارة ، وذلك يختلف باختلاف النظر إليه بفردة والنظر إلى ما بعده ، كقول نصر بن سيار فى آياته المشهورة التى يمرض بها نبي أمية عند خروج أبى مسلم :

أرى خال الرماد ويبض بغيره ويوشى أن يكون له ضرام  
فإن النار بالزندنين توردى وإن الحرب أولتها الكلام

أقولُ لمن التعجب : ليت شِعري أليقظُ أميةً أم نيسام ؟  
فإن هبوا فذاك بقاءه مُلكٌ وإن رقدوا فإني لا أنام<sup>(١)</sup>

فالبيت الأول لوروده بمفرده كان كناية ، لأنه لا يجوز محله على جانب الحقيقة وحده على جانب المجاز ، أما الحقيقة فإنه أخبر أنه رأى وميض جر في خلل الرماد ، وأنه سيضطرم ، وأما المجاز فإنه أراد أن هناك إبداء شرّ كامن ، ومنه بموميض جر من خلل الرماد ، وإذا نظرنا إلى الأبيات في جعلها انحصار البيت الأول منها بالاستعارة دون الكناية ، وكثيراً ما يرد مثل ذلك ويُشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة ، على أنه لا يشكل إلا على غير العارف .

[ الترميم ]

وأما الترميم : فهو القفط الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي ، فإذ قلت لن تتوهم صلته ومعرفة بغير طلب : والله إنى لاحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا عريان والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه ترميم بالطلب ، وليس هذا القفط موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، إنما دل عليه من طريق المفهوم ، بخلاف دلالة الممس على الجماع . وعليه ورد الترميم في

(١) كان نصر بن سيار والياً على خراسان هشام بن عبد الملك ، وقد بعث إليه بهذه الأبيات يحذره فيها ذبوح السخط على بني أمية هناك ، والفتار الدعوة لبني عباس .  
والأبيات في الأمان ١٥ / ١١٦ ومروج الذهب ٧ / ٢٥٧ والنفد للريد ١ / ٢٤٠  
هكذا :

أرى خلل الرماد وميض نار	ويوهيك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالمودن تذكى	ولأن الحرب أولها الكلام
فإن لم تطفئوها فحيت حرباً	مشعة يهيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري	أليقظ أمية أم نيام ؟
فإن بك قومنا أضجوا نياماً	نقل قوموا فقد خان التيام
فترى من رحاك ثم تولى	طر الإسلام والعرب السلام

خطبة النكاح ، كقولك للمرأة : إنك غلظة وإنى لمرّبة ، فإن مثل هذا لا يثبت على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا .

والتمريض أغنى من الكتابة ، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ، ودلالة التمريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي ، وإنما سمي التمريض تمريضا لأن للمنى فيه فهم من مرّضه أى من جانه ، ومرّض كل شئ جانه .

واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ، فتأبى على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التمريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتى فى اللفظ المفرد اليه .

والدليل على ذلك أنه لا يُفهم للمنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وإنما يُفهم من جهة التلويح والإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج فى الدلالة عليه إلى اللفظ المركب ، وعلى هذا فإن بيت امرئ القيس الذى ذكره ابن سنان مثالا للكتابة هو مثال لتمريض ، فإن فرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لم يذكره ، بل ذكر كلاما آخر يُفهم الجماع من مرّضه ، لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراد امرؤ القيس من المنى لا حقيقة ولا مجازا ، وهذا لا خلاف به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين الكتابة والتمريض ، وميزنا أحدهما عن الآخر ، فلفصلهما ونذكر أقسامهما ، ونبدأ أولا بالكناية فنقول :

## الكناية

اعلم أن الكناية تنقسم قسمين : أحدهما ما يحسن استعماله ، والآخر ما لا يحسن استعماله ، وهو عيب في الكلام فاحش ، وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة . تمثيلاً : وإردافاً ، ومجاورة .

فأما التمثيل :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظ لمعنى آخر ، ويكون ذلك مثلاً للمعنى الذى أريدت الإشارة إليه ، كقولهم فلان نقي التوب ، أى منزله من السيوب .

وأما الرداف :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظ لمعنى آخر ، ويكون ذلك إردافاً للمعنى الذى أريدت الإشارة إليه ولازماً له ، كقولهم فلان طويل النجاد ، أى طويل القامة ، فطول النجاد رداف لطول القامة ولازم له ، بخلاف نقاء التوب من الكناية عن النزاهة من السيوب ، لأن نقاء التوب لا يلزم منه النزاهة من السيوب ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة .

وأما المجاورة :

فهى أن تريد ذكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنزة :  
بزجاجة صفراء ذات أميرق<sup>(١)</sup> قرنت بأزهر<sup>(٢)</sup> في الشمال مَقدم<sup>(٣)</sup>  
يريد بأزجاجة الخمر ، فذكر الزجاجة وكفى بها عن الخمر ، لأنها مجاورة لها .

(١) من مقلته . الأسرة : حمير وسرور وهما الخط من خطوط اليد والمجبهة وهما  
وتجسم أيضاً على أسرار ، والأسرار تجسم على أسرار .  
أزهر : ليرى مفرق . مقدم : سدود الرأس بالقدم وهو هنا للصفاء .

وهذا التقسيم ليس صحيح ، لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منها مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم الأصل ، كقولنا : الحيوان ينقسم أقساما منها الإنسان ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الأسد ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها القرس ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها غير ذلك ، وهاتان لم يكن التقسيم كذلك ، فإن التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية ، لأن الكناية إنما هي أن تراد الإشارة الى معنى ، فهو وضع لفظ لحى آخر ، ويكون ذلك اللفظ مثلا للحى الذى أريدت الإشارة إليه .

الآتى إلى قوله تعالى : ( إن هذا أخى له نسع ونسمن نسجة ولى نسجة واحدة )<sup>(٩)</sup> فإنه أراد الإشارة الى النساء فوضع لفظا لحى آخر وهو النساج ، ثم مثل به النساء ، وهكذا يجرى الحكم فى جميع ما يأتى من الكنايات ، لكن منها ما يوضح التمثيل فيه ، وتكون التشبيه بين الكناية والمكنى عنه شديدة للنسابة ، ومنه ما يكون دون ذلك فى التشبيه . وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه ، فوجدت الكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة التشبيه ، وإذا وردت على طريق اللفظ للفرد لم تكن بتلك الدرجة فى قوة المناسبة والمشابة ، ألا ترى إلى قولهم « فلان نقى الثوب » وقولهم « المس كناية عن الجماع ، فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبا ، لأننا إذا قلنا : نقاء الثوب من الحسن كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة ، وإذا قلنا « المس كالجماع » لم يكن بتلك الدرجة فى قوة المشابهة ، وهذا الذى ذكر فى أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا ، غير سائغ ولا وارد ، بل الكناية كلها هى ذاك ، والذى قدمته من القول هو المحاصر لها ولم يأت به أحد غيرى كذلك .

### وأما الإرداف :

فإنه ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكتابة دليلاً على المسكن عنه ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكتابات ، ألا ترى أن طول الوجد دليل على طول القامة ولازم له ، وكذلك يقال فلان عظيم الرماد ، أى كثير إطمام الطعام ، وعليه وود قول الأعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها : له إبل قليلات المسارح ، كثيرات للبارك ، إذا سمعن صوت الزهر أيقن أنهن هوالك <sup>(١)</sup>

وغرض الأعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم ، إلا أنها لم تذكر ذلك باللفظ الصريح ، وإنما ذكرته من طريق الكتابة على وجه الإرداف الذى هو لازم له .

وكذلك ورد في الأخبار النبوية أيضاً ، وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن غسلها من الحيض ، فأمر أن تغتسل ، ثم قال : « خذى فرصة من مسك تطهرى بها » <sup>(٢)</sup> قالت : كيف تطهرى بها ؟ قال : تطهرى بها . قالت : كيف تطهرى بها ؟ قال سبحانه الله ، تطهرى بها . فاجذبها عائشة رضى الله تعالى عنها إليها ، وقالت : تدبى بها أثر الدم ، فقولها « أثر الدم » كتابة عن التفرج على طريق الإرداف ، لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في الفرج ، فهو رادف له .

وبما ورد في ذلك شعر أقول عمر بن أبي ربيعة :

بعدة مَهْوَى القُرْطِ إِنَّمَا لِنَوْفَلِ أَبَوِهَا وَإِذَا حُدَّ شَمْسٌ وَهَاتِمٌ <sup>(٣)</sup>

(١) من وصف الزوجة العائرة لأوجها ، والنس في البخارى : له إبل كثيرات البارك ، قليلات المسارح ، إذا سمعن صوت الزهر أيقن أنهن هوالك .

(٢) صحيح البخارى ١٨٤/٣ .

(٣) صحيح البخارى ١٩/١ . . الفرصة بكسر الفاء خرقه أو قلعة تنسج بها المرأة من الخيش .

(٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٠ .



فإن بعد مهوى القرمط دليل على طول النقي .

ومن لطيف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بلفظة مثل ، كقول الرجل إذا نقي من نفسه القبيح « مثل لا يقل هذا » أي أنا لا أفله ، فنفى ذلك عن مثله ، ويريد فيه عن نفسه ، لأنه إذا قام من يمانه ويشابهه فقد قام عن نفسه لاهلته ، إذ هو بنى ذلك عنه أجدر . وكذلك يقال « مثلك إذا سئل أعطى » أي أنت إذا سئلت أعطيت ، وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضع أنه يعمل من جماعة هذه أوصافهم وتثبيتها للأمر وتوكيدها ، ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرمى فيه قدمه .

وهذا مثل قول القائل إذا كان في مدح إنسان « أنت من القوم الكرام » أي لك في هذا العمل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دخیلاً فيه .

وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى ( ليس كمثل شيء ) وهو السبع البصر <sup>(١)</sup> ، والفرق بين قوله ليس كمثل شيء ، وبين قوله ليس كذا شيء ، هو ما أشرت إليه ، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يمثل له حتى يكون مثله مثل ، وإنما ذكر ذلك على طريق المجاز قصداً للمبالغة .

وقد يأتي هذا الموضع بنهر لفظة مثل وهي مقصودة ، كقولك لعربي « العرب لا تخفّر القوم » أي أنت لا تخفّر القوم ، وهذا أبلغ من قولك : أنت لا تخفّر القوم ، لما أشرت إليه . وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي :

أنت من القوم الذي من رماحهم نذأهم ومن قتلائهم مهجة البطل <sup>(٢)</sup>

(١) الفوري ١١ .

(٢) من قصيدة في رثاء أبي المهيأ عبد الله بن سيف الدولة وقد توفي سنة ٣٣٨ ، والبيت في الديوان :

أنت من القوم الألى من رماحهم قتالهم ومن قتلائهم مهجة البطل  
(ديوان المتنبي ٢١١/٣)

وإذا فرغت من ذكر الأصول التي قَدِّمْتُ ذكرها ، فإني أُتَيْمِها بضرب الأمثلة نثراً ونظماً ، حتى يزاد ما ذكرته وضوحاً .  
فمن ذلك ما ورد في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً ﴾ (١) ، فإنه كَفَى من التنبيه بأكل الإنسان لحْمَ إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله مَيْتاً ، ثم جعل ماعوه في النهاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فهذه أوجه دلالات واقعة على ما قَصِدْتُ له مطابقةً للمعنى الذي وردت من أجله .

فأما جعل التنبيه كأكل الإنسان لحْمَ إنسان آخر مثله فشديد المنافية جداً ، لأن التنبيه إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراسهم ، وتمزيق العرض بمائل لأكل لحْمَ الإنسان لحْمَ من يَنْتَهِيه ، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة ، وأما جعله كسبح الأخ فلما في التنبيه من الكراهة ، لأن الضل والشرع مجتمعان على استكراهها ، أمران يتركما واليحد عنها ، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحْمَ الأخ في كراهته . ومن المعلوم أن لحْمَ الإنسان مستكراه عند إنسان آخر ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته لحْمَ أخيه ، وهذا القول مبالغة في استكراه التنبيه . وأما جعل اللحم ميثاقاً من أجل أن المتحاب لا يشتر بنيته ولا يحس بها . وأما جعله ماعوه في النهاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فلما جُيِلَتْ عليه النفوس من الميل إلى التنبيه والشهوة لها مع العلم بقمعها .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبيهاً ، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قَصِدْتُ له .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْزَوْكُمُ أَرْضَهُمْ وَيَذَرَكُمُ-وَأَتَوَلَّوْكُمْ

وَأَرْضًا لَمْ تَطْلُوهَا<sup>(١)</sup> ، والأرض التي لم يطأوها كناية عن ممالك النساء ،  
وذلك من مَعْنَى الكناية وتأنيده .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْصَلُ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾<sup>(٢)</sup> فكفى بالماء عن العلم ، والأودية عن القلوب ،  
وبالزبد عن الضلال ، وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد النزائي رحمه الله في كتابه  
للموسم بإحياء علوم الدين ، وفي كتابه الموسوم بالجواهر ، والأربعين ، فأشار بها  
إلى أن في القرآن الكريم إشارات وإيماءات لا تنكشف إلا بعد اللوت ، وهذا  
يدل على أن النزالي رحمه الله تعالى لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات التي  
لغفلها يجوز حمل على جانبي الحقيقة والمجاز . وقد رأيت جماعة من أئمة الفقه لا يحققون  
أمر الكناية ، وإذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز ، وليس الأمر كذلك ، ويندما  
وصف جامع ، كهذه الآية وما جرى مجراها ، فإنه يجوز حمل الماء على اللطراف النازل  
من السماء وعلى العلم ، وكذلك حمل الأودية على مهابط الأرض وعلى القلوب ،  
وهكذا يجوز حمل الزبد على النشاء الرابي الذي تقذفه السيول ، وعلى الضلال ،  
وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمل على الطرفين معاً سوى الكناية .

وبلغنى عن القراء النحوي أنه ذكر في تفسير آية وزم أنها كناية ، وهي  
قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ ، وعند الله مَكْرُهُمْ ، وإن كان مَكْرُهُمْ  
يَقْرَأُ منه الجبال<sup>(٣)</sup> ، قال إن الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وما جاء به من الآيات .

وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية ، لأن الكناية لا تكون  
إلا فيما جاز حمل على جانبي المجاز والحقيقة ، والجبال هنا لا يصح بها المعنى  
إلا إذا سمحت على جانب المجاز خاصة ، لأن مكر أولئك لم يكن لنزول سه  
جبال الأرض ، فإن ذلك محال .

(٢) الرعد ١٧ .

(١) الأحزاب ٢٧ .

(٣) إبراهيم ٤٦ .

وأما ما ورد في الأخبار النبوية يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه كانت امرأة فحين كان بين قلنا ، وكان لها ابن عم يحبها ، فراودها عن نفسها ، فاعتصمت عليه ، حتى إذا أصابها شدة فجأت إليه تسأله ، فراودها ، فسكتت من نفسها ، فلما قد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحمل لك أن تقص الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها . وهذه كناية واقعة في موقعها .

ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رُوِيَكَ سَوْدَك بالقوارير »<sup>(١)</sup> يريد بذلك النساء ، فكسب عنهن بالقوارير ، وذلك أنه في بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أُنْبَشَةُ يحدو ، فقال له يا أنبشة رُوِيَكَ سَوْدَك بالقوارير ، وهذه كناية لطيفة .

وكذلك ورد حديث الحديثية ، وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزكوة<sup>(٢)</sup> ، جاءه بُذَيْلُ بْنُ وَرْقَانَ الخزازي في نفر من قومه من أهل تهامة ، فقال : « تَرَكْتُ كَسْبَ بَنِ لُؤَيٍّ وَهَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ نَزَلُوا عِدَادَ سِيَاهِ الْحَدِيثِ ، منهم السَّوْدُ الْمُطَّلِيلُ وم مقاتلوك وصادوك من البيت »<sup>(٣)</sup> وهذه كناية عن النساء والصبيان ، والسود جمع هائذ وهي اللقاة التي وضعت وقوى ولدها ، وهذا يجوز حمله

---

(١) كان أنبشة يحدو بالنساء ركابهن . ويرتجز بسبب الشعر والرجز وراءهن ، فلم يؤمن أن يصيبهن ما ينمن من رقيق الشعر ليعن . أو يعم في اللويح حذافه ، فأمر أنبشة بالكف عن تفتيده وحدائه حذار صوتهن إلى غير الجليل . وقبل إن الإبل إذا سمعت الحذاء أسرع في التي واعتصت فأزعجت الراكب فأنتمت فنهاه عن ذلك ، لأن النساء يمشين عن عدة الحركة . « لسان العرب مادة قرر والنهاية لابن الأثير ٢٥٠/٣ .

(٢) الزكوة : البئر .

(٣) السَّوْدُ : جمع هائذ وهي من الإبل الحديثة التاج . المطلليل : التي معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا ومعهن النساء والصبيان .

وفي سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري أن القتي لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين صفيان الكعبي أوبسر ، وأنه لقبه بصنان ، وهو منهل بين الجعفة ومكة أو بين المسجدين ، وأغير ذلك . فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بيسيرك فخرجوا ، بهم العوذ المطلليل ، قد ليسوا بجلود النور ، وقد نزلوا بنى طوى يحلفون بأقاة لا تستلها عليهم أبداً .

(سيرة ابن هشام ٣٠٩/٢ وتاريخ الطبري ٧٧/٣)

على طريق الحقيقة ، كما جاز حله على طريق المجاز ، أى مهمب الأموال من الإبل ، وهى كانت جل أموال العرب ، أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها . ولما جاز حمل السوء للطايف على النساء والصبيان وعلى الأموال كان من باب الكفاية .

ومن ذلك ما ورد فى إقامة الحد على الزانى ، وهو أن يشهد عليه برؤية الفيل فى المسكنة ، وذلك كناية عن رؤية الفرج فى الفرج .

ومن لطيف الكنايات أنه امرأة جادت لسانه رضى الله عنها قالت لما : « أَفَيْدَ بَجَلِي ؟ » قالت عائشة رضى الله عنها « لا » . أرادت المرأة أن تضع لزوجها شيئاً ينعى عن غيرها ، أى تربطه أن يأتى غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تهديد الجبل ، وباطنه ما أرادته المرأة وضمته عائشة منها .

وكذلك يروى عن مرو بن الحنبل رضى الله عنه ، وذلك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : « هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال : حَوَّلْتُ رَحْلِي الْبَارِحَةَ » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقْبِلْ وَأَذِيرْ وَأَتَّقِ الْمَذْبَرُ وَالْمَيْضَةَ » .

ويروى أن مرو بن الحنبل زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فمكثت للمرأة هذه ثلاث ليال لم يَلِدَنَّ منها ، وإنما كان ملتفتاً إلى صلاته ، فدخل عمرو بعد ثلاث ، فقال : كيف زين بطنك ؟ فقالت : نعم البطن إلا أنه لم يُفْتَشْ لنا كفاً ، ولا قُرُبَ لنا مضجعا . فقولها لم يفتش لنا كفاً ولا قرب لنا مضجعا من الكناية العراء الظاهرة .

وممن ألطف ما بطنى فى هذا قول عبد الله بن سلام ، فإنه رأى على رجل ثوباً مصفراً ، قال : « لو أن ثوبك فى تنور أهلك أو تحت قدمهم كان خيراً » . فذهب الرجل وأحرقه نظراً إلى حقيقة قول عبد الله ، وظاهر مفهومه ، وإنما أراد

المجلز منه ، وهو لو صرفت قمنه إلى دقيق نخبزه أو حطب تطبخ به كان خيراً ،  
والنقى متجاذب بين هذين الوجهين ، فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فمضى  
وأحرق ثوبه ، ومراد عبد الله غيره .

ومن هذا التسم ما ورد من أمثال العرب : « كقولهم إياك وعقولة الملسح .  
وذاك كناية عن المرأة المسنأة في مبيت السوء ، فإن عقولة الملسح هي العقولة تكون  
في البحر ، فهي حسنة وموضعا ملسح .

وكذلك قولهم : ليس له جلد النمر ، كناية عن المدلولة .  
وقد يقلس على هذا أن يقال لبس له جلد الأسد ، ولبس له جلد الذئب ،  
وليس له جلد الأرقم ، لأن هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر ، إذ العداوة محتملة  
في الجميع ، وكذلك قولهم : « قلب له ظهر اللين » كناية عن تغيير المودة .  
وما ورد في ذلك شرأ قول أبي نواس :

لا أذودُ العَلْبَةَ عن شَجَرٍ قد بَلَوْتُ الدُّمَّ من ثَمَرِهِ (١)

وهذا له حكاية ، وهو أنه كان لأبي نواس صديقة تشاء ، فقيل له إنها  
تخطب إلى آخر من أهل الرَيْبِ ، فلم يصدق ذلك حتى تبها يوماً من الأيام ،  
فراحا تدخل منزل ذلك الرجل ، ثم إن ذلك الرجل جاءه وكان صديقاً له فكلمه ،  
فصرف وجهه عنه ، ثم نظم قصيدته المشهورة التي مطلعها « أيها المتقاب عن حفره »  
وهذا البيت من جملة أبياتها .  
وكذلك ورد قوله أيضاً :

(١) من قصيدته في مدح العباس بن سعيد الله ، التي مطلعها :

أيها المتقاب من حفره لست من ليل ولا من سمره  
( الديوان ٤٧٧ )

للتقاب : التردد مرة بعد مرة . الحفر : يكون الفاء من ليل الشهر السابقة والثامنة  
والخامسة . وحرك الفاء لضرورة الشعر ، يقول : أيها الزائر للسمر والحديث لست من لست  
منك ، لأن ليل لا يشبه ليلته ، وسمرى يبد من سمره ، لأن وى وأنت غادر .

وفاظرة إلى من القباب تلاحظى بظرفٍ مُتَرَابٍ  
كشفتُ قنابها فإذا عجزتُ مُجْمَعَةٌ لِلْفِرَاقِ بِالْغَضَابِ  
فما زالتُ تُتَمَتِّئُ طويلاً وتأخذُ في أحاديثِ التَّصَانِي  
تُحاولُ أن يقوم أبو زياد ودون قيامه شَيْبُ التَّرابِ  
أنتِ بجرابها تَكْتَالُ فيه قناتٌ وهى قارعةُ الجرابِ<sup>(١)</sup>

قوله : أنتِ بجرابها تَكْتَالُ فيه كناية ، إذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة  
والمجاز ، وكذلك الكيل أيضاً .

وبما جاء من هذا الباب أيضاً قول أبى تمام فى قصيدته التى يستعطف بها  
مالك بن مَؤْتِقٍ على قومه التى مطلعها :

« أَرْضٌ مُصَرَّدةٌ وَأَرْضٌ مَنِيحٌ »

مالى رأيتُ أبكمَ يَبْسُ التَّرى مالى أرى أطوادكم تَتَهَدَّمُ<sup>(٢)</sup>

فببس الترى كناية عن تَنَكَّرُ دات البهين ، تقول ببس الترى ببى وبين  
خلان إذا تنكر الرد الذى بينك وبينه ، وكذلك تهدم الأطواد ، فإنه كناية عن  
خفة الخلوم وطيش العقول .

(١) ليست فى الديوان .

(٢) مطلع القصيدة فى الديوان : أرض مصردة وأخرى تهجم .

مصردة : قليلة الرى والمطر . تهجم : يدوم عليها المطر .

والبيت فى الديوان هكذا :

مالى رأيتُ تراكم يَبْساً له مالى أرى أطوادكم تهدم

الضمير (له) يعود على شخص مذكور فى القصيدة من قبل اسمه مالك ، أهضبه هؤلاء  
أوهو عظيم جليل النعم . ( الديوان ١٩٩ )

ومن الكتابة الحسنة قول أبي الطيب اللقي في قصيدته التي يعاتب فيها سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها :

« وأحر قلباه من قلبه شسيم »

وثير ما قصصته راحتي فتمنئ فشبُّ البزاق سواد فيه والرخم<sup>(١)</sup>

يشير بذلك إلى أن سيف الدولة يستوى في المال منه هو وغيره ، هو الهبازي وغيره الرخنة ، وإن حل اللقي على جانب الحقيقة كان جائزاً .

وعلى هذا ورد قول الأقبشير الأسدي ، وكان عنيها لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما يصف ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجل من قيس فأنشد الأقبشير :

وقد أدوح بمشرف ذي مجة صير المكرمة ماؤه يتقصّد  
مرح يطير من الليراح كماه ويكاد جلد إهابه يتقصد<sup>(٢)</sup>

---

(١) الحيوان ١١٦/٤ مطلع القصيدة :

وأحر قلباه من قلبه شيم ومن يحسى وحلى عنده سلم

شيم : بارد . الذهب : جم أعهب وهو ما فيه يائس بضالته سواد ، الرخم : جم رقة وهي طائر من الجوارح الكبيرة الجسم الوحشية الطباع ، قالوا إنه موسوف بالندر والندر البزاة : جم باز وهو ضرب من الصقور .

(٢) المية : المراد بها القوة واللفظ ، من ماع القى . يجم إذا جرى على وجه الأرض متسلسا ، وماع الفرس إذا جرى .

يتقصّد : يسيل ويجري على الأرض .

والجنان في الأغاني ( ٨٣/١٠ ) حكنا

ولقد أدوح بمصرف ذي شمة صير المكرمة ماؤه يتقصّد

مرح يطير من الليراح كماه ويكاد جلدته به تقصد

والصواب الأقبشير كما في الأغاني لا الأقبس كما في الأصل . ويتقصّد بالفاء لا بالالف كما كانت بالأصل .



ثم قال له : أتبصر الشجر ؟ قال : نعم ، قال : فما وصفتُ ، قال : فرسا .  
قال : أنسكت تركبه لو رأيته ؟ قال : إني والله وأنتي عطفه ، فكشف له عن  
أبره ، وقال : هذا وصفتُ فقم واركبه ، فوثب الرجل عن مكانه ، وقال : قبلك  
ألف من جلس سائر اليوم .

وكذلك أيضا يمكى أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك ،  
وكان جميل الوجه ، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد ،  
فراوده عن نفسه ، فوثب من عنده ، ودخل على هشام وهو يقول :

إنه والله لولا أنت لم يَنْجُ مني سالا عبدُ الصمدُ  
فقال هشام : ولم ذلك ؟ قال :

إنه قد رام مني خِطَّةً لم يَرُمها قبله مني أحدُ  
قال : ما هي ، قال :

واح جبلان وجهلا بأني يُدْخِلُ الأفي على حبس الأسد<sup>(١)</sup>  
قال : فضحك هشام . وقال : لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك .

ومن ألف ما سمعته في هذا الباب قول أبي نواس في الهجاء :

إذا ما كنت جازأ أبي حُسَيْنٍ فَمَ ويداك في طَرْفِ السَّلاجِ  
فإن له نساء سارقاتٍ إذا ما يَتَنَ أطرافَ الرماحِ  
سَرَقْنَ وقد نزلتُ عليه أبرى فلم أنظرَ به حق الصَّهاجِ

(١) حبس الأسد : المراد قبله ، لأن الحبس الجبل العظيم واسطال المودج وثوب يطرح  
على القرائش لتقوم عليه .

فجاء وقد تمخّدتْ جانباها بَيْنُ إِلَى من ألم الجراح<sup>(١)</sup>  
تصغيره من المضو للشار إليه بأطراف الرماح تصير في غاية اللطافة والحسن .  
وقد أُذْخِلَ في باب الكناية ما ليس منه كقول نُصَيْب :

ضَلُّجُوا فَأَقْنُوا بِالْقَى أَنْتَ أَهْلُ      ولو سكتوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ<sup>(٢)</sup>

هذا بروى من الجاحظ ، وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن  
التصاحف والبلاغة ، فإن الكناية هو ما جازحه على جانب الحقيقة ، كما يجوز  
حمله على جانب المجاز ، وهما لا يصبغ ذلك ولا يستقيم ، لأن الثناء للحقائب  
لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه للضمير الأداة الخارج من الكناية .  
وللرأى به أن في الحقائب من عطاياك ما يهرب من الثناء ، لو سكت أصحابها عنه .

ما يفتح ذكره من الكناية :

وأما القسم المختص بما يفتح ذكره من الكناية فإنه لا يحسن استعماله ،  
لأنه محب في الكلام فاحش ، وذلك لعدم الفائدة للرادة من الكناية فيه .

فما جاء منه قول الشريف الرضى يرفى امرأة :

«إِنْ لَمْ تَكُنْ نَصْلًا قَتَمْتُ نَصْلًا»<sup>(٣)</sup>

(١) ليست الأبيات في ديوان أبي نواس الطيوع .

(٢) الصناعتين ٢١٤ وحيون الأخبار ٢٩٩/١ والأغانى ١٣٠/١ من مقطوعة في مدح سليمان بن عبد الملك .

(٣) البيت في الديوان هكذا .

إلا يكن نصلاً قصد نصول      خاتمة أحداث الزمان يقول  
أولا يكن بأبي عيول      لدى أطفاله فأم عيول  
في تمزية أبي سعيد على بن محمد بن أبي خلف عن أخته له توفيت .

(ديوان الشريف الرضى ٦٧٧/٢)

وفي هذا من سوء الكتابة مالا يخفى به ، فإن الوم يسبق في هذا الموضع إلى ما يقيح ذكره ، وهذا المعنى أخذه من قول القرزوقي ، فسحبه وشوه صورته ، فإن القرزوقي رأى امرأته فقال :

وَجَنُّ سِلَاحٍ قَدْ رَزَزْتُ فَلَمْ أُنْخِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَهْبَثْ إِلَيْهِ التَّهَوَا كَمَا  
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمُنَايَا أَمْتَلَتْهُ لِيَالِيَا<sup>(١)</sup>  
وهذا حسن بديع في معناه ، وما كُنِّي عن امرأة ماتت بمجتمع<sup>(٢)</sup> أحسن  
من هذه الكتابة ، وَلَا أَهْبَثْ شَأْنًا ، فجاء الشريف الرضي فأخذ معطاها وفضل به  
ما ترى ، وليس كل من تصرف في المعاني أحسن في تصرفها ، وأبقى هذه الرموز  
في تأليفها .

وقد عكس هذه القصة مع أبي الطوبى المتنبي فأحسن فيها أساء به أبو الطيب  
طريق الكتابة ، فأخطأ حيث قال :

لَنْ عَلَى شَيْءٍ بِمَا فِي مُخْرِهَا لِأَعْيَفَ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا<sup>(٣)</sup>  
وهذه كناية عن النزاهة والشفقة إلا أن الفجور أحسن منها .

وقد أخذ الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أحسن صورة حيث قال :

(١) البطلان في الديوان مكثرا .

وشهد سلاح قد رززت فلم أنخ عليه ولم أهبث عليه البواكيا  
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن الليالي أسأته لياليا  
( الديوان ٨٩٤/٢ )

(٢) ماتت المرأة بهم : مثقلة أي عنواء أو حملا أو مثقلة وللإراد هنا أنها حامل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ( الديوان ٧٥٥/١ ) وقد ذكره  
أبو حلال في الصناعتين وما به ٣٧٥ . قال صاحب بن عباد : كان الشعراء يصلون المآثر  
تنزيهاً لألفاظها مما يستلزم ، حتى تخفى هذا العامر الملبوع إلى التصريح ، وكثير من المهر  
أحسن عندي من هذا الغاف . واعتقد بعضهم عن المتنبي بأنه قال : سراييلاتها ، جمع سرايل  
وهو القميص ، وكذا رواه المؤرزي ، يريد أنه مع حبه لوجههن ينف عن أبدانهن .

أين إلى ما تضمنه الخبر والحق وأضيف مما في ضمان المآزر<sup>(١)</sup>  
وأشكال هذا كثير ، وفيما ذكرناه من حدين للتأليف متفق .

وأما التبرص فقد سبق الإعلام به ، وعرفنا الفرق بينه وبين الكفابة ،  
فما جاء منه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ هَذَا بِالْحَنَاءِ يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ بَلْ فَمَنْ  
كَبِيرٌ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وغرض إبراهيم عليه السلام من  
هذا الكلام إقامة الحجة عليهم ، لأنه قال : فاسألهم إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ ، وذلك  
على سبيل الاستهزاء ، وهذا من رموز الكلام ، والقول فيه أن قصد إبراهيم  
عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصدم ، وإنما قصد تقديره لنفسه  
وإثباته على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم ،  
وقد يقال في هذا غير ما أشرت إليه ، وهو أن كبر الأصنام غضب أن تعبد معه  
هذه الأصنام فصارت فكسرها ، وغرض إبراهيم من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد  
مع الله تعالى من هو دونه فإن من هو دونه مخلوق من مخلوقاته ، فجعل إحالة  
القول إلى كبر الأصنام مثالا لما أراد .

ومن هذا التقسيم أيضا قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
مَارِاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلًا وَمَا تَرَاكَ تَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا وَرَأَى  
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، قوله مَارِاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلًا  
تعريض بأنهم أحق منه بالعبادة ، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر  
لجعلها فيهم ، فقالوا هب أنك واحد من الملائكة ومواز لهم في المنزلة ، فما جعلك أحق  
منهم بها ؟ ألا ترى إلى قولهم وما ترى لكم علينا من فضل .

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد بن خلف التي مطلعها :

بشر شفيح قال عفو القادر أخو الجدل لا مستصر بالناذر

ول الديوان ( يمن ) بدلا من ( أحن ) وصدق بدلا من أصدق ( الديوان ٣٤٣ )

(٥) الأنبياء ٦٣ . (٦) هود ٧٧ .

وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية ، فزله ، فلما قدم إليه قال له : هنالك ثلاث لولئ تسكن إلا واحدة منهن لأوجبتُ عزلك : إسداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر ويبيسكا ما يبيسكا فلم تستطع أن تستغنى منه ، والثانية كراهتك أمر زياد ، والثالثة أن اهلتي ومثلك استعذتك على زوجها عمر بن عثمان فلم تُبدعها .

فقال له مروان : أما عبد الله بن عامر فلأنى لا أقصر منه فى ساطعنى ، ولكن إذا تساوت الأقدام تحيلُ أين موضعه ، وأما كراهتى أمر زياد فإن سائر بنى أمية كرهوه ، وأما استعداء رمة على عمر بن عثمان فوالله إنه لثاقى على سنة وأكتر وعندى بنت عثمان فأما كشف لها ثوبها . يريد ذلك أن رمة بنت معاوية إنما استمدت لطلب الجامع فقال له معاوية : يا ابن الوَزَيْغِ<sup>(١)</sup> لست هناك ، فقال مروان : هو ذاك . وهذا من التمریضات الطليقة .

ومثله فى اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه كان يغضب يوم الجمعة ، فدخل عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال له عمر : أيتها ساعة هذه ؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين انتقلتُ من أمر السوق فسمعت النداء ، فما زدت على أن توضحأت . فقال عمر : والوضوء أيضا ، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالنَّسْلِ<sup>(٢)</sup> .

فقوله «أية ساعة هذه» تريض بالإسكار عليه ، لتأخره عن الجئى إلى الصلاة ، وترك التَّبَقُّ إلىها ، وهو من التمریض للرب عن الأدب .

ووقفت فى كتاب العقْدِ<sup>(٣)</sup> على حكاية تمریضية حصة للوقع ، هى أن

(١) الوزغ : الرجل الفاسد المريض الصل . والوزغة محركة سام أبرس جمعا وزغ .

(٢) فى المتناصين ١٦ ذكر لهذا الحوار موجز ، ولئ نهاجه : أما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال . « من أتى الجمعة فليغتسل » .

(٣) العقد الثريد لابن عبد ربه .

امرأة وقفت على قيس بن عباد فقالت : « أشكو إليك قلة القار في بيتي » فقال :  
ما أحسن ما قوّرت من حاجتها ، املأوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً .  
ومن خفي التمريض وفامضه ما ورد في الحديث الشريف ، وهو أن النبي  
صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني بنته ، وهو يقول : « والله إنكم  
لتبنيون وتبخلون وتبخلون ، وإنكم من ربّحان الله ، وإن آخر وطاة وطأها  
الله يوجّه » (١) .

اعلم أن وجباً بالطاقف ، والمراد به غزاة حنين ، وحنين واد قبل  
بوجّه ، لأن غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع  
المشرّكين ، وأما غزوات الطائف ونهوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيها وطاة  
أى قتال ، وإنما كانتا مجرد خروج إلى التزو من غير ملاقة عدو ولا قتال .

ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « وإن آخر وطاة  
وطأها الله بوجّه » على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وذهاب ،  
لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع  
الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سنتان ونصف ، فكانه قال : وإنكم من  
ربحان الله أى من رزقه ، وأنا مفارقكم عن قريب ، إلا أنه صانع عن قوله :  
وأنا مفارقكم عن قريب بقوله : وإن آخر وطاة وطأها الله بوجّه ، وكان ذلك  
تعريضاً بما أراداه وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم .  
وما ورد في هذا الباب شعر أقول الشّمْيَذِرُ الحارثي :

بَنِي عَمْنَا لَا تَدْرُكُوا الشَّعْرَ بَسَلَمًا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الشُّبَيْرِ الْقَوَافِيَا (٢)

(١) اسم واد بالطائف لا يله به ومنه ، « آخر وطاة وطأها الله بوجّه » يريد غزوة  
حنين لا الطائف ( التلموس المحيط مادة وج ) .

(٢) الصواب الشّمْيَذِرُ وكانت بالأصل الشّمْيَذِرُ . ورد الشعر قد شرح ديوان الحماسة :  
للرزوقي ( ١٧٤/١ ) ولقبيرزي ٦١/١ .

الشّمْيَذِرُ على وزن زهير موضع قرب ذات عرق وموسم بنيار بني كلاب .

وليس قصده هاهنا الشر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور  
عليهم والغلبة ، إلا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشر ، وجعله تعريضا لما قصده ،  
أى لا تقتنروا بعد تلك الوقعة التى جرت لكم ولنا بذلك المكان .

ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن مسعدة للكاتب إلى للأمون في  
أمر بعض أصحابه وهو : « أما بعد فقد استشفع بى فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطول  
فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يحسن فى مراتب  
المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك تَمْدَى طاعته » .

فوقع للأمون فى ظهر كتابه : « قد عرفت تصريحك وتعريضك لنفسك ،  
وقد أجبناك إليها » (١) .

واعلم أن هذين القسمين من السكناية والتعريض قد وردا فى غير اللغة العربية ،  
ووجدتهما فى اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذى فى أيدي النصارى قد آتى  
منهما بالكثير .

ومما وعدته من السكناية فى لغة الفرس : أنه كان وجل من أساورة (٢) كسرى  
وخواصه ، فقيل له إن الملك يختلف إلى امرأتك ، فهبها لتلك ، وترك فراشها ،  
فأخبرت كسرى ، فدعاه وقال له : قد بلغنى أن لك عينا عذبة وأنت لا تشرب  
منها ، فما سبب ذلك ؟ قال : أيها الملك ، بلغنى أن الأسد يردّها غفقه ،  
فاستحسن كسرى منه هذا الكلام ، وأسنى عظامه .

(١) فى السبأيتين فى هذه الرسالة مع تفسير ٣٦٨ .  
(٢) الأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرهما وهو الخالد من الفرس .  
أو هو الفارس .

## النوع العشرون

### في المغالطات المعنوية

وهذا النوع من أحل ما استعمل في الكلام واللفظ ، لما فيه من التورية ،  
وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له يمثّل في شيء آخر وتقيض ، والتقيض أحسن  
موقفاً وألطف مأخذاً ، فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة ،  
من ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

بَشَلْتُمُ بِكُلِّ أَقْبَى تَنْهَيْدٍ لِقَارِيهِ عَلَى انْطِلَالِ الْخِيَارِ  
وَكُلُّ أَمْرٍ يَحْسِلُ جَانِبَهُ عَلَى الْكَتَبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُبْكَرٌ  
يَنَادِرُ كُلَّ مُلْتَفٍ إِلَيْهِ وَلَبَّيْهُ لِقَعْلِهِ وَيَجَارُ<sup>(١)</sup>  
فالتعليل هو هذا الحيوان المعروف ، والوجار اسم يبه ، والتعليل أيضاً هو  
طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان بين التلحين حسن ذكر الوجار في طرف  
السنان ، وهذا قول للحن من مثله إلى مثله .

وعليه ورد قول الخفص :

بَرَقَمُ شَيْبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الصَّلَاتِ يَصْلَحَانِ

---

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أولم بني عقيل وقشير وبني السجلان وبني  
كلاب حين هاتوا وخالفوا عليه ( الحيوان ٢/٧٤٣ ) .  
يفهم : يطردم . الألب : الضامر البطن : نهضة مرتقم . يقول إنه يطردم بكل فرس  
ضامر نهضة لفارسه الخيار ، إن شاء لحق وإن شاء سبق . أمم : رمح صلب ليس بأجوف .  
يصل : يضطرب . مبار : سبال مهرف . يتادر : يترك والضمير للرمح . البة : أعلى الصدر .  
التعليل . المراد هنا ما دخل من الرمح في السنان . الوجار : بيت الوحش بين ضنبه وتعليل  
ومحورها يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ويحمره مطعون يدخل نعلبه  
في نحره .



كَانَ رَقَابَ النَّاسِ إِتْ لِسِيهِ رَفِيقَكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ شَبِيهَا الْخَارِجِي الْقِي خَرَجَ عَلَى كَافُورِ الْإِخْشِيدِي وَقَعْدَ دِمَشْقَ  
وَصَارَ مَا وَقَلَ عَلَى حَصَارِهَا كَانَ مِنْ قَيْسَ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالْبَيْنِ عِدَاوَاتٍ  
وَحُرُوبَ ، وَأَخْبَارَ ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ .

وَالسَّيْفُ يَقَالُ لَهُ يَمَانِي فِي نَسَبِهِ إِلَى الْبَيْنِ ، وَمَرَادُ الْمُنْتَهَى مِنْ هَذَا الْبَيْتِ  
أَنْ شَبِيهَا لَمَّا قَتَلَ وَفَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ فَكَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِسِيهِ أَنْتَ يَمَانِي  
وَصَاحِبُكَ قَيْسِي ، وَلِهَذَا جَانَبَهُ السَّيْفُ وَفَارَقَهُ ، وَهَذِهِ مِثَالُهَا حَسَنَةٌ ، وَهِيَ كَالْأَوَّلَى  
إِلَّا أَنَّهَا أَدْقُ وَأَخْفَى .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ أَيْمَاتِ يَهُبُّو بِهَا شَاعِرًا لِحَاجَةٍ مِنْ جَهْلَتِهَا قَوْلُهُ :  
وَسَاطَلْتُكُمْ بِمَعْزِ الْقُرْآنِ يَمِصُّهُ فَجَلُطُ الشُّمْرِاءِ فِي الْأَنَامِ  
وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الشُّمْرَاءَ اسْمُ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَنَامُ اسْمُ  
سُورَةٍ أَيْضًا ، وَالشُّمْرَاءُ جَمْعُ شَاعِرٍ ، وَالْأَنَامُ مَا كَانَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْهَرَمِ .  
وَكَذَلِكَ وَرَدَ بِبَعْضِ قَوْلِ الثَّرَاثِمِيِّ يَهُبُّو رَجُلًا كَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَى مَذْهَبِ  
الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مَبْلَغٌ عَلَى الْوَجِيهِ رِسَالَةٌ وَإِنْ كَانَ لَا تُبْعِدِي لَدَيْهِ الرِّسَالَةُ

(١) مِنْ تَصْدِيدِهِ لِي مَدَحِ كَالُورِ الْإِخْشِيدِي بِمَدِّ قَتْلِ هَبِيبِ الْعَبْدِيِّ بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٣٤٨ هـ  
لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ . (الْبُيُوتَانِ ٤/٤٧٢) .

كَانَ هَبِيبٌ مِنَ الْقُرَاطِيَّةِ ، وَكَانُوا مَعَ سَيْفِ الدَّوَلَةِ ، وَتَوَلَّى هَبِيبٌ مَرَّةً التَّنَاهَانَ دَعْوًا  
طَوِيلًا ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ فَوْقَ مَعْرَةِ آلَافَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ عَلَى كَالُورِ ،  
وَقَعْدَ دِمَشْقَ لِحَاصِرِهَا ، يُقَالُ إِنَّ أَسْرَافَةَ أَلْقَتْ عَلَيْهِ رُحِي فَصَرَعَتْهُ فَانْهَزَمَ مِنْ كَانُوا مَعَهُ ،  
وَيُقَالُ لَهُ حَدَثَ بِهِ صَرَعٌ مِنَ الْخَرَفَةِ فَكَرِهَ أَصْحَابُهُ وَمَضُوا لِمَا أَخَذَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ وَقَتَلُوهُ .  
قَيْسِي : مِنْ قَيْسِ الصَّدَقَانِيَّةِ . يَمَانِي : مِنْ الْيَمَانِيَّةِ .

وَكَانَ بَيْنَ هَذِهِمَا وَأَوَّلُكَ عِشَاقٌ وَتَنَازُعٌ وَاخْتِلَافٌ ، يَقُولُ : كَأَنَّ رَقَابَ النَّاسِ أَهْرَتْ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيْفِهِ لِكَثْرَةِ قَطْعِهِ إِيَّاهُ ، لِثَلَاثِ لِسِيهِ : إِنَّ هَبِيبًا لَاقَى بِصَاحِبِكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي .  
وَالْيَسُوفُ الْبَلِيدُ تَلَسَّبَ إِلَى الْبَيْنِ ، فَفَارَقَهُ سَيْفُهُ لَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ عَنَّا فِي الْأَصْلِ .

تَمَيَّعَتْ لِعَبَانٍ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَفَارَقَهُ إِذْ أَمُوزَتْكَ الْمَاءُ كُلَّ  
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ تَدْبِثًا وَلَكِنَّا تَمَيَّوْا الْقِيَّ مِنْهُ حَاصِلٌ  
وَمَا قَلِيلٌ أَنْتَ لِأَشْكَ صَارُ إِلَى مَالِكٍ فَانْطَقَ لَمَّا أَدَا قَاتِلُ  
وَمَالِكٌ هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَالِكٌ هُوَ خَازِنُ  
النَّارِ ، وَهَذِهِ مَخَالَطَةٌ لَطِيفَةٌ .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ ابْنِ سُلَيْمَانَ فِي الْإِبْرَةِ (١) :  
صَلَبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا  
إِذَا أَرَادَتْ رَحْمَةً أَغْوَاهَا بِحَالِهِ مِنْ رَقَةٍ إِيَّاهَا (٢)  
فَالضَّرْبُ لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ يُطْلَقُ عَلَى الضَّرْبِ بِالْعَصَا ، وَعَلَى الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ  
وَهُوَ السَّيْرُ فِيهَا ، وَكَذَلِكَ دَمَّاهَا فَإِنَّهُ لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ يُطْلَقُ عَلَى شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا يُقَالُ  
دَمَّاهُ إِذَا أَسَالَهُ دَمُهُ ، وَدَمَّاهُ إِذَا جَسَدُهُ كَالْقِسْمَةِ وَهِيَ الصُّورَةُ ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْفَنَاءِ  
فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى عَنِ التَّلَبُّسِ ، وَعَلَى إِذْهَابِ الشَّيْءِ إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ ، يُقَالُ  
أَفْنَاهُ إِذَا أَذْهَبَهُ ، وَأَفْنَاهُ إِذَا أَحْلَاهُ الْفَنَاءَ وَهُوَ عَنِ التَّلَبُّسِ ، وَالرَّشْدُ وَالنُّوَى

(١) يريد القاموس القيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المسمى المولود بالمعرة سنة  
٤٤٩ هـ والمتوفى بها سنة ٤٤٩ هـ .

(٢) ليس البتة بسلط الزند ولا بالزوميات وقد جاء بلسان العرب مادة ( دى ) :  
دى الرامى للماضية جعلها كالدى ، وأنفذ أبو العلاء :

صلب العصا برمية دماها يود أن الله قد أفناها  
أى أنه أرعاهما فسقطت حتى صارت كالدى .

وذكر لى مادة ( فى ) أن الزاين وصف رامى فم فقال :

صلب العصا بالضرب قد دماها يقول لى الله قد أفناها .

وأفناها أى أنهت لها الفناء وهو عنب القتب حتى تنقر وتسقط .

وجاء فى كتاب الصلأ لأسامة بن منقذ ( نوادر المحفوظات ١٨٨ ) : « قال الرامى  
بصف رامياً :

صلب العصا بضربة دماها إذا أراد رعداً أغواها

والضربة هى السيرة والسفرة ، ودماها أى تركها كالديبة ، وأغواها أى أرعاهما .  
القواء وهو ثبت كمن عليه الإبل » .

نجان<sup>(٢)</sup> يقال أخواه إذا أخله ، وأخواه إذا أطعمه التوى ، ويقال طلب رَشْداً إذا طلب ذلك الثبت ، وطلب رَشْداً إذا طلب الهداية ، وبعض الناس يظن هذه الآيات من باب التمز ، وليس كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة ، وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة اللفظ عليه ، والتمز هو الذى يستخرج من طريق الحزْر والكفَس ، لا من دلالة اللفظ عليه ، وسأوضح ذلك بإيضاحها جلياً فى النوع الحادى والعشرين ، وهو الذى يلو هذا الباب ، فليؤخذ من هناك .

وزوى فى الأخبار الواردة فى هَزَاتٍ بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حائزاً بأصحابه يقصد بدرأ ، فلقبهم رجل من العرب فقال : **يَعْنِ القوم ؟** قال النبى صلى الله عليه وسلم من ماء ، فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء ، لينظر أى بطون العرب يقال لها ماء ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهه ، وكان قصده أن يكتم أمره .

وهذا من المغالطة الثلاثية ، لأنه يجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء . وقد جازى شئ من ذلك فى الكلام للذور ، فمنه ما كتبه فى فصل من كتاب عند دخولى إلى بلاد الروم ، أصب فيه البرد والتلج ، قلت : **« ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر فى خَلْفِهِ ، والدمع فى طَرْفِهِ ، وربما تمدى إلى قَلْبَيْه الخاطر فأجعه أن يمرى بوصفه ، فالشمس مأسورة ، والبار مقرورة ، والأرض شبهاء غير أنها حيوية ، ومسيلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تُخَضْ »** ومكان المغالطة من هذا الكلام فى قولى **« والأرض شبهاء غير أنها حيوية لم تُرَضْ »** فإن الشبهاء من التليل يقال فيها حيوية أى لها حول ، ويقال إنها مَرَوَّضة أى ذَلَّتْ للركوب ، وهذه الأرض مضى للتلج عليها حول ففى شبهاء حيوية ، وقولى **« لم تُرَضْ »** أى لم تسلك بَمَد .

(٣) لم نجد فى اللسان ولا الفارس أن الرشد والتواء أو التوى لومان من الثبات وإنما وجدنا أن حب إرهاد ثبات وكذلك المغالطة .  
والشطر الرابع غامض لى فيه تصحيحاً لم نهتد إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم قلت : « ولقد نزلتُ منه بهيبي الصنع  
أحقيق الأَخلاق »<sup>(١)</sup> ، ولقبي فكان لي لم أَرِجْ من أحيب بلوثة التراق ، ولا كرامة  
للأهل والوطن حتى أقول إنني قد استبدلت به أهلاً ووطناً ، وعهدى بالأيام وهي  
من الإحسان فاطمة ، فاستوفيتها بجواره حسناً .

وهذه تورية لطيفة ، فإن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن  
رضي الله عنهما ولهما ، وفاطمة هي اسم قاضٍ من القضاة ، يقال قَاضَتْ فهي  
فاطمة ، كما يقال فُطِمْ فهو فاطمٌ<sup>(٢)</sup> ، والحسن هو الشيء الحسن الأسلوب .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان قلت :  
« وعهدى يَقلِي وهو يَقْتَلِي من اليهان بأسمائه ، وَتَبَرُّزُ أنوار المعاني من  
ظُلُمَاتِهِ ، وقد أصبحت يدي منه وهي حَمَالة المخطب ، وأصبح خاطري أبا جهل  
بشدآن كان أبا لهب » .

وهذا أسن من الأول وأحلب عبارة ، فانظر إليها للتأمل إلى ما فيه من  
التورية الطيفة ، ألا ترى أن الخطاط يُحمد فهو صف بأنه وقاد وملتهب ، ويُدْمُ  
فيوصف بأنه بليد وجاهل ؟ وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان اللعوان ، وكذلك  
حَمَالة المخطب هي المرأة المروقة ، وإذا دُمُ القلم قيل أنه حَطَبٌ ، وإن صاحبه  
حاطب ، فلما تَلَمْتُ أنا هذا المعنى الذي قصده جئت به على حكم المخالطة ،  
ووريتُ فيه تورية .

والمسلك إلى مثل هذه المعاني وتصحيح المقصد فيها عسر جداً ، لا جرم أن  
الإجادة فيها قليلة .

(١) مهلي : نسبة إلى المهلب بن أبي سفرة الثالث الباسل الذي حارب الغوارج مرات ،  
وكان كريماً عسكياً . أحقق : نسبة إلى الأحقف بن ليس عاش إلى الدولة الأموية وكان مذهبوراً  
بالعلم وكرم الخلق .

(٢) في القاموس المحيط مادة فطم : ناقة فاطم يبلغ حوارها سنة . وأضطت السخنة خان  
أن فطم ، فإذا فطمت فهي فاطم ومطلومة .

وبما يجرى هذا الجرى ما ذكره في وصف شخص بمآلى الأمور وهو:  
 « من أبرّ مسامحه أنه حاز قتلَ المكرّمات وصفتاحها ، فإذا سئل متنبّه كان  
 منّاهها ، وإذا سئل بموهبة كان منّاحها ، وأحسن أثرًا من ذلك أنه أخذ بأحنة  
 الصعاب وألان رجاساتها ، فإذا شهد حوثة حرب كان منصورها ، وإذا لقي مهبة  
 ختلب كان سّاحها » .

والمخالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح ، فإنهما لقب خليفين  
 من بنى السباس ، والسفاح أول خلفائهم ، والمنصور أخوه الذى ولى الخلافة من  
 بعده ، وهما أيضا من النصر في حومة الحرب ، والسفاح الذى هو الإراقة ،  
 والمهبة دم القلب ، فكأنى قلت هو منصور في حومة الحرب ومُريق لهم  
 الخطوب ، وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح ،  
 وهذا من المخالطة اللطيفة لا من النقيضة ، ولا خفاء بما فيها من الحسن .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب إلى بعض الإخوان قلت : « وقد علمتُ أن  
 ذلك الأنس بقربه يُعقِبُ إيماشا ، وأن تلك النُهلة من قدانه تعمل الأكباد عطاشا ،  
 فإن شيمة الدهر أن يُبدّل الصقّو كدرا ويوسع أيام عقوفه طولا ، وأيام يرمه قصرًا »  
 وما أقول إلا أنه شَحَرَ بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها حدّ القطع ، ورأى العيش  
 فيها خفصًا فأزاله بمعامل الرفم » .

والمخالطة في هذا اكلام هى في ذكر الخفض والرفع ، فإن الخفض هو سمة  
 العيش ، والخفض هو أحد العوامل النحوية ، وارتفاع هو من قولنا رفعت الشيء .  
 إذا أزلته ، والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا ، وهذا من المخالطات الخفيفة .

ومن ذلك ما كتبه في فصل أصف فيه الحثى وكنت إذ ذاك بمحصن شمسًا طم  
 وهو بلد من بلاد الأرمن ، قلت : « ونيما أكره في حال المرض بهذه الأرض  
 أن الحنى شيمت بها فاستقرت . ولم تقنع بأهلها حتى سرت إلى ربّتها ، فتزى

وقد أخذتها النافس<sup>(١)</sup> فانشزمت ، ولم يُشكل أمرها إلا لأنها حتى أزميت<sup>١</sup> .  
 مُتَصَحِّمَةُ الهن ، وقد تشبه الأمراضُ وأهلُ بلادها في الإبان ، وإذا كانت  
 الجنى كَافِرَةً لم تزل للسلم حربًا ، وشكاتها لا تُسمى شَكَاةً ، وإنما تسمى  
 طمنا وضربا ، ولهذا صارت الأدوية في علاجها ليست بأدوية ، وأصبحت أيام  
 نحرها في الناس غير مبدأة بأيام تَرْوِيَةٍ ، وليس موسما في فصل معلوم بل كل  
 فصول العام من مواسمها ، ولو كانتْ تَبْدَأُ مصيبيين أو مَيِّا فَلَوقَيْن بكتاب لترجمه  
 بمبدعها وخادمها .

وللخالطة هاهنا في قول : وأصبحت أيام نحرها في الناس مبدأة بأيام تروية ،  
 وللراد بذلك أنها تُقْبَلُ بقعة من غير تَرْوِيَةٍ أي من غير ثلث ، ويوم النحر هو  
 يوم عيد الأضحي ، وقبه يوم يُسمى يوم القروية ، فالخالطة حصلت بين نحر الجنى  
 للناس ونحر الضحايا ، إلا أن يوم النحر مبدأ بيوم تَرْوِيَةٍ ، ولا خفاء بما في هذه  
 المخالطة من الحسن والخالطة .

وأما القسم الآخر وهو النقيض فإنه أقل استعمالا من القسم الذي قبله ،  
 لأنه لا يتبأ استعماله كثيرا .

فإن جملة ما ورد شرأ لبعضهم وهو قوله :

وما أشبهه تشربها بمالٍ فإن نَفَقَتْ فأكدُ ما تكونُ

يقال نَفَقَتْ السلة إذا راجت ، وكان لها سوق ، وكففت الدابة إذا ماتت ،  
 وموضع للناقضة هاهنا في قوله إنها إذا نفقت كسدت ، فجاء بالشئ وقبضه ،  
 وجعل هذا سببا لهذا ، وذلك من المخالطة الخسفة .

ومن ذلك ما كعبته في جملة كتاب إلى ديوان الخليفة يتضمن فتوح بلد من

(١) النافس : هي الرعدة مذكر . يقال أخذته حتى ينافس ويمنى نائف ، ولفسته  
 الجنى فهو مغفوس .

بلاد الكفار ، قلت في آخر الكتاب : وقد ارتاد الخادم من يُبَلِّغُ عنه مشاريح هذه الوقائع التي اختصرها ، ويثل صورها لمن غاب عنها كما تمثّلتُ لن حضرها ، ويكون مكانه من النهاية كريماً ككانها ، وهي عرائس المساعي ، فأحسن الناس بياناً مؤهلاً للإبداع جسيماً ، والسائر بها فلان ، وهو راوى أخبار نصرها ، التي صيغتها في تجميع الرجال ، وحوالي إسنادها مأخوذة من طرف الموال ، والقبائل والأيام لها رَوْنَةٌ ، فما الظن برواية الأيام والقبائل ،

في هذا الفصل مقالة قضية ومخالطة مثلية ، أما المخالطة المثلية فهي في قول « وحوالي إسنادها مأخوذة من طرف الموال » وقد تقدم الكلام على هذا وما يجرى مجراه في القسم الأول ، وأما المخالطة التقضية فهي في قول : « وهو راوى أخبار نصرها التي صيغتها في تجميع الرجال » وموضع المخالطة منه أنه يقال في رواية الأخبار فلان عدلٌ صحيح الرواية ، وفلان مجروح أى سقيم الرواية ، غير موثوق به ، فأثبتُ بهذا المعنى على وجه التقض ، قلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجميع الرجال أى تجميعهم في الحرب ، وفي هذا من الحسن ما لا يخفاء به . وقد أوردت من هذه الأمثلة ما فيه كفاية ومقنع .

فإن قيل إن الضرب الأول من هذا النوع هو التجنيس الذي لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذي مثله ، وفي قول أبي الطيب ثعلب ووجار ، فإن الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضاً طرف السنان ، وكذلك باقى الأمثلة ، قلت في الجواب إن الفرق بين هذين النوعين ظاهر ، وذلك أن التجنيس يذكّر فيه اللفظ الواحد مرتين ، فهو يسوق في الصورة ويختلف في المعنى ، كقول أبي تمام :

بكل فتى صَرَبٍ يُرْعَضُ لِقْنَا مُخَيَّماً عَلَى حُلَيْهِ الْعُطَمُ وَالضَّرَبُ<sup>(١)</sup>

(١) من لصيدته في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشعثاني (الديوان ١/١٩٩) -  
الحيا . الوجه .

فالتعريب الرجل الخفيف ، والتعريب هو الضرب بالسيف في القتال ، فلفظ لا بد من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف ، والمخالطة ليست كذلك ، بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة ، ويُبدل به على مثله وليس بمذكور .

### النوع الحادى والعشرون

#### فى الأحاجى

وهى الأغاليط من الكلام ، وتسمى الألتاز جمع لئز<sup>(١)</sup> ، وهو الطريق الذى ياتوى وبشكل على سالكه ، وقيل جمع ألتز بفتح اللام وهو ميلك بالشئ من وجهه ، وقد يسمى هذا النوع أيضاً المئى ، وهو يشبهه بالسكناية تارة وبالعرضى أخرى ، ويشبهه أيضاً بالمخالطات المعنوية ، وتتم فى ذلك عامة أرباب هذا الفن ، فمن ذلك أن أبا الفرج الأصمهانى ذكر بيق الأفيثير الأسدى فى جملة الألتاز وهما :

ولقد أروح بمشرف ذى مئعة هيمر المسكرة مأؤه يتقصّد  
مرح يطير من المراح لمأه ويكاد جلد إهابه يتقدّد<sup>(٢)</sup>

وهذان البيتان من باب السكناية ، لأنهما يملآن على الفرس وعلى المصنوع الخصوص ، وإذا حل اللفظ على الحقيقة والجاز فكيف يعد من جملة الألتاز ؟ وكذلك فعل الحريرى فى مقاماته فإنه ذكر فى الأحاجى التى جعلها على حكم القطارى كناية ومخالطة معنوية ، وظن أنهما من الأحاجى الملتيرة ، كقوله :

(١) اللفظ على وزن نهر وعلى وزن قفل وبضم اللام والتين معاً ، وبفتحهما ، وبضم اللام وفتح التين : الليل بالفتح من وجهه ( القاموس المحيط )

(٢) البجان فى الأغاني للأفيثير الأسدى لا الأفيث كالأصل ، هكذا :

ولقد أروح بمشرف ذى هجرة هيمر المسكرة مأؤه يتقصّد

مرح يطير من المراح لمأه ويكاد جلدته به يتقدّد

( الأغاني ١٠ / ٨٧ ) مأجمة التقدم . والصواب يتقصّد بالقاء لا بالالف . وسبق لذكر

شرحهما .



« أَيْمَلُ لَهَا أَنْ يَأْكُلَ نَهَاراً »<sup>(١)</sup> والنهار من الأسماء المشتركة بين النمل والنهى هو ضد الليل وبين فرخ الحُبَارَى فإنه يسمى سهاراً ، وإذا كان من الأسماء المشتركة صار من باب المتأطات المنوية لا من باب الأحاجى ، والألتاز شئ منفصل عن ذلك كله ، ولو كان من جملته لما قيل لنز وأحجية ، وإنما قيل كناية وتبريض ، ومنه ما يطلق عليه المتأططة ، ومنه شئ آخر خارج عن ذلك فجعل لنزاً وأحجية .

وكنت قدمت القول بأن الكناية هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز ، فهو يحمل عليها معاً ، وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالة عليه حقيقة ولا مجازاً ، وأن المتأططة هي التي تطلق ويراد بها شيان أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضوئى ، والآخر دلالة اللفظ على المعنى وتقيضه ، وأما اللنز والأحجية فهما شئ واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والخز لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازاً ، ولا يفهم من عرضه ، لأن قول القائل فى الضرس :

وصاحب لا أملُ الدهرَ صُحْبَةً    يَشْتَقِي لَفْظِي وَيَسْمَعُ مَجْتَمِعِدِ  
ما إن رأيت له شخصاً فذوقمت    عَيْنِي عَلَيْهِ افترقنا فُرْقَةَ الأبد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من

(١) اللغاة الثانية والثلاثون ، فيها مائة مسألة فقهية ملفزة ، منها : أيجوز للمذمور أن يفطر فى شهر رمضان ، قال : ما رخص فيه إلا الصبيان . قال : فهل للمعسر أن يأكل فيه ، قال : نعم . قال : فيه . للمذمور : التجادر أن للمذمور من أصابه عذر يحمل له الفطر وهو أيضاً المختون فلا يسوغ له الفطر ، وهنا تورية . المعسر : من دخل بعرسه ، وهو لا يجوز له أن يفطر ، وهو أيضاً المسائر الذى يزل فى آخر ليلة ليستريح ثم يرتحل ، وهو ممن يباح لهم الفطر .

طريق للفهوم ، وإنما هو شيء يُحْدَسُ ويُحْزَرُ ، وانطواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند شورعها عليه .

فإن قيل إن الفلز يعرف من طريق للفهوم ، وهذان اليبتان يعلم منهما بالفهوم .

قلت في الجواب : إن الذي يسلم بالفهوم إنما هو التمييز ، كقول القائل إني لفهم وإني لحتاج ، فإن هذا القول لا يدل على للسأة والطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم منه أن صاحبه معرض للطلب ، وهذان اليبتان ليسا كذلك ، فإنهما لا يشتملان على ما يفهم منه شيء إلا بالحدس والحزر لا غير ، وكذلك كل فلز من الألفاظ .

وإذا ثبت هذا فاعلم أن هذا الباب الذي هو الفلز والأخجية والتمنى يتنوع أنواعاً :

فمنه للصنف ، ومنه للمكوس ، ومنه ما ينقل إلى القدرات غير العريضة ، كقول القائل اسمى إذا صفته بالفارسية آخر ، وهذا اسمه اسم ركي ، وهو دكر بالبدال المهمة والنون ، وآخر بالفارسية دكر بالبدال المهمة والهاء للمجعة بشقين من تحت ، وإذا صفت هذه الكلمة صارت دكر بالنون ، فاقبلت الهاء لونها بالتصنيف ، وهذا غير مفهوم إلا لبعض الناس دون بعض .

وإنما وضع واستعمل لأنه مما يشد القرعة ويحد الخطر ، لأنه يشتمل على ممان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد القهن والسلك في ماريج خفية من التفكير ، وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلاً ، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه ، وربما أتى منه بما يكون حسناً وعليه مسحة من البلاغة ، وذلك عندى بيّن بين ، فلا أعده من الأحاجي ولا أعده من فصيح الكلام .

فما جاء منه قول بعضهم :

قد سقيت آبائهم بالنار والنار قد بشى من الأوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الإبل ذور ورجاءة وقدم ولم  
يُوسَمَ معلوم ، فلما وردت إليهم الماء عرفت بذلك الوَسْمَ ، فَأَفْرَجَ لها الناس حتى  
شربت ، وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده ، وجعل أحدهما سبياً  
للاخر ، فصار غريباً عجبها ، وذلك أنه قال سَقِيتَ بالنار ، وقال إن النار تُشْفِي  
من الأوار ، وهو العطش ، وهذا من محامتن ما يأتي في هذا الباب .

ومما يجرى على هذا التهج قول أبي نواس في شجر الكرم :  
لنا هَجْمَةٌ لَا يُدْرِكُ الْقُدْبُ سَخْلَهَا وَلَا رَأَاهَا رَزْوُ الْفَيْحَةِ وَالْخَطَرُ  
إِذَا امْتَحِنَتْ أَوَاهُهَا مَالُ صَفْوَاهَا إِلَى السَّوْدِ إِلَّا أَنْ أُولَاهَا خَضِرٌ (١)

ومن هذا القبيل قول بعضهم :

سَبَّحَ رَوَاحِلُ مَا يُنْتَحَنُ مِنَ الْوَسَا شَيْمٌ كُنْاقُ بِسَبْمَةٍ زُهْرُ  
مَتَوَاصِلَاتٍ لَا الدُّوْبُ يُعْلِمُهَا بَاقٍ تَعَاقِبُهَا عَلَى الدَّهْرِ (٢)  
هذان البيتان يتضمنان وصف أيام زمان ولياليه وهي الأسبوع ، فإن الزمان  
مباراة عنه ، وذلك من الألفاظ الواقعة في موصفها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المنفي في السفن من جهة تصديده  
التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره القرات وهي :  
(الراى قبل شجاعة الشجبان) فقال :

(١) الديوان ١٠٧ والى الأصل لا يدري يدلا من لا يدرك ، وعض بدلا من تزو .  
الهجمة : الدوح العظيم الضخم . السخل : جم سخله وهي ولد العاة . تزو : ومب . الفحاة :  
جم الفحل . الفطر : الإبل الكثيرة . المو : الذي في القاموس المو سواد إلى خضرة أو حرة  
إلى سواد . والمو جم أحوى وحواء وهو النبات الثارب إلى سواد لعمدة خضرته أو الأحمر  
إلى سواد .

(٢) شيم : جم أشيم وشيما وهو الذى به عِلَّةٌ .

وَشَكْلُهُ عَادِيَّةٌ بَنِيهِ قَوَائِمٌ عَقَمَ الْبُطُونِ حِوَالِكَ الْأَلْوَانِ  
تَأْنِي بِنَا سَبَبَ الْبُطُونِ كَانَهَا نَحْتِ الْجِسَانِ مَرَابِضُ الْبُزْزَانِ<sup>(١)</sup>  
وهذا حسن في بابه .

ومن ذلك قول بعضهم في حَبَرِ الدَّمَكِ :  
وَمُدْرِجٍ مِنْ صِبْغَةِ اللَّيْلِ بُرْدَهُ يُقَوِّفُ طَوْزًا بِالْفَضَارِ وَيُطْلِسُ  
إِذَا مَالُوهُ عَنْ عَرِيضَتَيْنِ أَشْكَلَا أَجَابَ بِمَا عَمِيَ الْوَرَى وَهُوَ آخِرُ سِ  
وهذا من العاطفة على ما يشهد لنفسه ، وكان همه بعض المتأخرين من أهل  
زماننا فأجاب عنه ببيتين على وزنه وقافيته وهما :  
سَوَّاكَ جِلْدُودٌ مِنَ الصَّخْرِ أَسْوَدَ خَفِيفٌ لَطِيفٌ نَامٌ الْجِسْمُ أَطْلَسُ  
أُنْهِمَ بِسُوقِ الصَّرْفِ حُسْكَمَا كَاهُ مِنَ الزُّنْجِ قَاضٍ بِالْفُلُوقِ مُطْلَسُ  
وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائك بجزيرة ابن عمر ، وليس عنده من أسباب  
الأدب شيء سوى أنه قد أصاح لسانه بطرف يسير من علم البحر لا غير ، وهو  
مع ذلك يقول الشعر طبعاً ، وكان يجهد في التكثر منه .  
ومن الألفاظ ما يرد على حكم المسائل الفقهية ، كالقبي أوردته الحريري في  
مقاماته<sup>(٢)</sup> . وكنت سئلت عن مسألة منه وهي :

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة (القبول ٤/٣٨٩) حشاه : الضمير عائد على  
البناء . عادية : راحة . عقم : جمع عقيم وهو الذي لا يلد . يقول إن سيف الدولة حفا  
ماء النهر سفنا تبدو ولا قوائم لها ، ومعنى عقم لا تلد ، والوانها سود لأنها مطلية بالفتار ،  
شبهها بالخيل العادية ، والخيل من عادتها أن تلد ، ولها قوائم ، وهذه السفن تحمل النساء  
اللاتي سباحن القربان ، وكأنهن هؤلاء والسفن مرائب لها . (٢) يقول : يزخرف .  
رجسنا ( صيغة ) بدلا من ستمة .  
(٣) للغة الثانية والثلاثون بها مائة مسألة فقهية ملفزة ، وهناك مقامات غيرها فيها  
الفتاوى حتى من النحو وغيرهم .

ولى خالة وأنا خالها ولى تحمة وأنا تحمها  
فأما التي أنا عم لها فإن أبى أمه أباها  
أبوها أخى وأخوها أبى ولى خالة هكذا حكمتها  
فأبى القتيه القتي عنده فون الدراية أو علها  
يمين لنا نسبا خالصا ويكشف للنفس ما همها  
فلنا محوسا ولا مشركين شربة أحمد أنسها

وهذه المسألة كتبت إلى فتاوماتها تأمل غير مُلجج في الفكر ، ولم ألبث  
أن انكشف لي ما تحتها من الغز ، وهو أن تلك التي الرجل خالها تصور على  
هذه الصورة ، وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم إحداهما عائشة واسم الأخرى  
فاطمة ، فأولده عائشة بنتا وأولده فاطمة ابنا ، ثم زوج بنته من أبى امرأته فاطمة ،  
فجاءت بنت ، فتلك البنت هى خالة ابنه ، وهو خالها ، لأنه أخو أمها .  
وأما العمة التي هو عنها فصورته أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوج  
أخاه من أمه أم أبيه فجاءت بنت ، فتلك البنت هى عمه ، لأنها أخت أبيه ،  
وهو عنها لأنه أخو أبيها .

وأما قوله ولى خالة هكذا حكما ، فهو أن تكون أمها أخت ، وأختها أمه  
كما قل أبوها أخى وأخوها أبى ، وصورته أن رجلا له ولد ولولده أخت من  
أمه فزوجها من أبى أمه ، فجاءت ببنته ، فأختها أم وأما أختها .

وأحسن من ذلك كله والطف وأحل قول بعضهم في الخلخال :

ومضروب بلا جرم مليح اللون مشوق  
له قد اللال على مليح القدر مشوق  
واكثر ما يرى أبدا على الأمشاط في الشوق

وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال : قد دخلت السوق فما رأيت على الأشغال شيئاً ، وظن أنها الأمشاط التي يَرْجُلُ بها الشر ، وأن السوق سوق الهم والشر .

واعلم أنه قد أتى من هذا النوع ما هو ضروب وألوان ، فمنه الحسن الذي أوردت شيئاً منه كما تراه ، ومنه المتوسط الذي هو دونه في الدرجة ، فلا يوصف بحسن ولا كُبح ، كقول بعضهم :

رأيت ركاتهم وفي أكوارها ألقان من عُمِّ الأثقل الواحد  
ما إن رأيت ولا سمعت بأزكبي تحلت حدائق كالأفلام الراسدة<sup>(١)</sup>

وهذا يصف قوماً وفدوا على ملك من الملوك ، فأعطاهم مخلاً ، وكتب لهم بها كتاباً ، والأثقل الموضع الذي كتب لهم إليه ، والشم النظام الروس من النخل ، والواحد الأثناء<sup>(٢)</sup> من النخل ، فلما حلوا الكتب في أكوارهم فسكتهم حلوا النخل ، وهذا من متوسط الألتاز .

وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلا بمائل الجهر والقابض أو بمخطوط الرمل من القمض الداخل أو القمض الخارج والبيض والحمرة وغيرها ، ولئن كان معناه دقيقاً يدل على قرط الدكاء فإني لا أعلمه من اللغة العربية ، فضلاً عن أن يوصف بصفات الكلام المحسودة ، ولا فرق بينه وبين لغة القرس والروم وغيرها من اللغات في عدم الفهم .

وأما ما ورد من الألتاز ثراً فقد أنز الحريري في مقاماته ألتازاً ضمنها ذكر

(١) كان البيت الثاني ( ما إن رأيت ولا بأرك هكذا ) فرجعنا تصحيحه ليستقيم للهم ، وأغلب الظن أن كلمة ( هكذا ) مقبحة لما وجد الناسخ أن في القطر كلمة ناقصة ( ما إن رأيت ولا سمعت ) فلما لم يجد كلمة ( بأرك ) كتب : هكذا .  
(٢) هم قوتوكسر الثالث ومنها الكباسة

الإبرة والمرود وذكر الديار وهي أشهر كما يقال من « قفانك »<sup>(١)</sup> فلا حاجة إلى إيرادها في كتابي هذا .

وقد ورد من الأندلس في كلام العرب للفنور ، غير أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد في أشعارها .

وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجده فيه شيئا منها ، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئا ، لأنه لا يستنبط بالحدس والتحرر كما تستنبط الأنداز ،

وأما ما ورد لعرب فيروى عن امرئ القيس وزوجه علة من الأنداز ، وذلك أنه سأها قبل أن يتزوجها فقال : ما اثنتان وأربعة وثمانية ؟ فقالت : أما اثنتان فتدنيا المرأة ، وأما الأربعة فأخلاق الناقة ، وأما الثمانية فأطباء الكلية ، ثم إنه تزوجها وأرسل إليها هدية على يد عهده ، وهي حلة من صنب<sup>(٢)</sup> ابن ونحى من غسل ، ونحى من سمن ، فبذل العبد بعض المياه واس الحلة فطلق طرفها بسنة<sup>(٣)</sup> فانشق ، وفتح التحمين وأطعم أهل الماء ، ثم قدم على المرأة وأهلها شلوف<sup>(٤)</sup> ، فقال عن أبيها وأما وأخوها ودفع إليها الهدية ، فقالت له : أطم مولاك أن أرى ذهب يقرَّبُ بعيدا ويُبعد قريبا ، وأن أرى ذهب تشق النفس قضين ، وأن أرى ترهب الشمس ، وأخبره أن سماءكم انشقت ، وأن وماهيكم كسيتا .

فأمد العبد إلى امرئ القيس وأخبره بما قالته له ، فقال : أما أبوها فلما ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما أمها فلما ذهبت تقبل امرأة<sup>(٥)</sup> ، وأما أخوها فأنه في سرنخ برده إلى أن تقرب الشمس ، وأما قولها إن سماءكم انشقت فلأن

(١) مضمومة كقصيدة امرئ القيس التي مطلعها « قلنا بك من ذكرى حبيب ومنزل »

(٢) الصنب : ضرب من البرود . النحى : زى السمن .

(٣) المبردة : شجرة هائلة سماها سحر .

(٤) خلوف : غاليون من الحى .

(٥) قبل على وزن سلم : أى تنقلب الولد عند الولادة .

الحقة انشقت ، وأما قولها إن وعادكم نفيها فإن النعمين قصا ، ثم قال لعبد :  
استدقني ، فقال له : إنى نزلت ماء من مياه العرب وفعلت كذا وكذا .

فهذا وأمثاله قد ورد عنهم إلا أنه يسير

وكذلك يروى عن شَنَّ بن أُنْقَسَى وكان أژم نفسه ألا يتزوج إلا امرأة  
تلائمه ، فصاحبه رجل في بعض أسفاره ، فلما أخذ منهما السير قال له شَنَّ :  
أَتَسْخِيئُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فقال له الرجل : يا جاهل هل يعمل الراكب راكبا ؟ فأنسك  
عنه ، وسار حتى أتيا على زرع ، فقال شَنَّ : أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ؟ فقال له  
يا جاهل : أما تراه في سنبله ، فأمسك عنه .

ثم سارا ، فاستقبلتهما جنازة ، فقال شَنَّ أترى صاحبها حيا ؟ فقال له الرجل :  
ما رأيت أجمل منك ، أترام حلولا إلى القبر حيا ؟

ثم لهما وصلا إلى قرية الرجل فسار به إلى بيته ، وكانت له بنت فأخذ  
يُطَرِّفُهَا بِحَدِيثٍ رَفِيقَةٍ ، فقالت ما نطق إلا بالصواب ، ولا استفهم إلا مما يُسْتَفْهَمُ  
من مثله . أما قوله : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ فإنه أراد أن يحدثني أم أحدثك حتى تقطع  
الطريق بالحديث .

وأما قوله أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ، فإنه أراد هل استغاث ربُّه ثملة  
أم لا ؟ وأما استفهامه من صاحب الجنازة فإنه أراد هل خلف له قريبا يحيا بذكره  
أم لا ؟ فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شَنَّ وحديثه بتأويلها ، فخطبها فزوجها لها .  
وأدق من هذا كذا وألطف ما يحكى عن رجل من المناقذة أصحاب شهز  
وهو أولهم الذي استفذه من أيدي الروم بالمكر والخديعة ، ولذلك قصة طريفة  
وليس هذا موضع ذكرها ، وكان قبل ملكه في خدمة محمود بن صالح صاحب  
جلب ، وكان إذ ذلك يلقب بـسَدِيدِ الْمَلِكِ ، فبها به مكانه ، ومحدث له حادثة  
أوجبته له أن هرب ومضى إلى مدينة طَرَابُلُس<sup>(١)</sup> في زمن بنى عمار أصحاب

(١) بلد بالشام ، ينتح السقاء وضم الباء واللام . وكانت في الأصل ترابلس .



البلد ، فأرسل إليه ابن صالح واستمطقه ليعود إليه . غفلة ولم يصد ، فأحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن مُنْقِذٍ وبينه وبينه لُحمة مَوَدَّةٍ أكيدة ، وأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتابا عن نفسه يُوثِّقه من جهة ابن صالح ليعود ، ففاوضه إلا أن يكتب ، وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره ، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هَارَجَ ، نَأْسَكَرَ وهو يكتب في إشارة حياء لا تُفْهِمُ ، ليعضها فيه يحذر بها ابن منقذ ، فأداء فكره أن كتب في آخر الكتاب عند إنجائه « إن شاء الله تعالى » وشدد إن وكسرها ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار في يده وعلم ما فيه قال : هذا كتاب صديقي وما يُشْفَى ، ولو أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لما كتب إلى ولا غرضي ، ثم عزم على التودد ، وكان عنده ولده ، فأخذ الكتاب وكرَّرَ نظره فيه ، ثم قال له : يا أبا بكر مكانك ، فإن صديقك قد حذرك وقال لا تصد ، فقال : وكيف قال : إنه قد كتب « إن شاء الله تعالى » في آخر الكتاب ، وشدد إن وكسرها ، وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدُرُ مثله من سواه ، ومضى ذلك أنه يقول : « إن الملا يأتمرون بك ليقطوك »<sup>(١)</sup> وإن شككت في ذلك فأرجل إلى حَلَبَ .

وهذه من أعجب ما يبلغني من حِدَّةِ الذَّهْنِ وَفطنة الطَّائِرِ ، ولولا أنه صاحبُ الحادثة الخوِّفة لما تَفَطَّنَ إلى مثل ذلك أبدا ، لأنه ضَرَبَ من علم التَّيْبِ ، وإنما الخوف دَلَّةٌ على استنباط ما استنبطه .  
ووجد لبعض الأدباء نُزْرًا في حَمَامٍ ، فنه ما أجاد فيه كغيره : « وقد أظلمت

تَمَلَّكَ ذَاتُ نَجُومٍ ، لَا اسْتِرَاقَ لَهَا وَلَا رُجُومَ ، وَهِيَ مُرَكَّبَةٌ فِي فَلَكَ سَمَتْ  
لِاسْتِدَارَتِهِ ، وَكَانَتْ لِإِدَارَتِهِ .

أَفْجَبَ بِهَا مِنْ أَنْجُمٍ عِنْدَ الصُّبْحِ ظَهَرَ  
لَكُنْهَا إِذَا نَدَا نَجْمُ الظُّلَامِ غَارَةً

فَهِى عَلَى الْقِيَاسِ جَنَّةٌ نَعِيمٍ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى لُطَى جَحِيمٍ ، لَا تُلَوِّدُ فِيهَا  
وَلَا تَمَامَ ، وَلَا تَزَاوَرُ بَيْنَ أَهْلِهَا وَلَا سَلَامَ ، أَهْلُهَا مُدَّةٌ قَلِيلَةٌ ، وَمِيَاهُهَا مُتَوَقِّفَةٌ ،  
وَالْأَكْرَابُ بِهَا مَوْضُوعَةٌ ، وَالنَّمَارِقُ عَنْهَا تَرْوَعَةٌ .

يُطْلِعُ بِهَا لِلْوَلَى أَوَامِرَ عَيْدِهِ وَيُصْبِحُ طَوْدًا فِي يَدَيْهِ مَقَاتِلُهُ  
وَيُرْفَعُ عَنْهُ النَّجَاجُ عِنْدَ دُخُولِهِ وَيُسَلَّبُ مِنْ قَبْلِ الْجُلُوسِ غِلَازِلُهُ  
الَّتِي تَجُلُّ بِهَا تَعْدُومُ ، وَالْخَادِمُ فِيهَا تَحْدُومُ ، يُدَكَّرُ بِهَا التَّنَشُّؤُ مِنَ التَّبَزُّدِ ،  
وَيُكَّرَرُ حَرْفُهَا إِذَا جَاوَزَ الْحَدَّ .

هَذَا الْفَرْزُ مِنْ فَصِيحِ الْأَلْفَاظِ ، وَلَا يَقَالُ إِنْ صَاحِبُهُ فِي التَّسْوِي صَالِحُ الشُّكَاظِ ،  
وَإِذَا تَعَطَّرَ غَيْرُهُ بِشَمِّهِ مِنَ الْوَسْطَى فَهَذَا كُلُّهُ طِرَازُ .

وَمَا سَمِعْتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْحَادِثَاتِ مَا يُنْحَسِرُ عَنْ حَرَمِ  
ابْنِ هُبَيْرَةَ وَشُرَيْكِ النَّصِيرِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَرَمَ بْنَ هُبَيْرَةَ كَانَ سَارًّا عَلَى بَرْدَوَيْنَ  
لَهُ وَإِلَى جَانِبِهِ شُرَيْكُ النَّصِيرِيِّ عَلَى بَنَةِ ، فَتَقَدَّمَهُ شُرَيْكُ فِي اللَّسِيرِ ، فَصَاحَ بِهِ حَرَمٌ :  
أَفْضَضْ مِنْ بِلَاحِهَا ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ لَهَا مَكْتُوبَةٌ <sup>(١)</sup> . فَتَقَبَّلَ حَرَمٌ

(١) كَانَتْ فِي الْأَصْلِ مَكْبُوتَةٌ .

ثم قال : وَنَحْكَ ، لم أرَ هذا ، فقال له شريك : ولا أنا أردته .

وكان عمر أراد قول جرير :

قَضَى الْعَرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُسَيْرٍ . فَلَا كُتْبًا بَلَقْتُ وَلَا كَلَامًا<sup>(١)</sup>

فأجابه شريك بقول الآخر :

لَا تَأْتِنَنَّ قَوَارِيًا تَزَلَتْ بِهِ عَلَى قُلُوبِكَ وَانْكُتِبَهَا بِأَسْمَارٍ<sup>(٢)</sup>

وهذا من الألفاظ اللطيفة ، وتلفظ كلٌّ من هذين الرجلين ليثليـ  
اللفظ وأحسن .

وبما يميز هذا الجري أن رجلا من تميم قال لشريك النهدي : ما فـ  
الجوارح أحبُّ إلى من الهazy . فقال له شريك : إن كان يصبهُ القَطَا .

وكان النهي أراد قول جرير :

أَنَا الْهَازِي السُّعْلُ عَلَى نُسَيْرٍ أُنِجَّ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابًا<sup>(٣)</sup>

وأراد شريك قول الطرماح .

تميمٌ بطريقه أقوم أهدى من القَطَا وَلَوْ سَلَكْتَ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ضَلَلْتَ

(١) ديوان جرير ٧٥ من قصيدة في هجاء الراعي .

(٢) البيت لاسلم بن دلرة في هجاء بني قزاعة ( الشعر والقصائد ٣٦٤/١ ) .

الفلوس : الناقة الغاية . ا كتبها : قيدا .

(٣) الديوان ٧٧ من هجاء الراعي .

واعلم أن خواطر النامس تنفاضل كفضائل الأشخاص ، ومن هنا :  
 قيل : سبحان خالق أبي موسى وعبرو من المعاصي<sup>(١)</sup>

## النوع الثاني والمشرون في المبادئ والافتتاحات

هذا النوع هو أحد الأركان العظمى البلاغية للشار إليها في الفصل التاسع من  
 مقدمة الكتاب .

وحقيقة هذا النوع أن يُجملُ مَطْلَعُ الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً  
 على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان قَتْمًا قَتْمًا ، وإن كان هداه هداه ،  
 أو كان قرآه قرآه ، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني .

وظائده أن يُعرف من مَبْدَأِ الكلام ما المراد به ، ولِمَ هذا النوع ؟

والقاعدة التي يُبنى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن  
 ينظر ، فإن كانت مديحاً صريحاً لا يختص بمحادثة من الحوادث فهو مُخَصِّرٌ بين  
 أن يفتتحها بنزل أو لا يفتتحها بنزل بل يرتجل للديح ارتجالاً من أولها  
 كقول القائل :

(١) يحسن أن نقب على ابن الأثير في الألباز برأى ابن سنان المخافى ، وقد سبقه  
 بنحو قريب من الزمان ، قال المخافى : « فإن قيل : لما تقولون في الكلام الذي وضع لنزاً ،  
 وقصد ذلك فيه ؟ قيل : إن الموضوع على وجه الإنجاز قد قصد قائله إيقاظ المعنى وإخفاءه ،  
 وجعل ذلك فناً من الفنون التي تستخرج بها أوهام الناس ويصنعون أدهانهم . فلما كان وضعه  
 على خلاف وضع الكلام في الأصل كان القول فيه عاتفاً لقولنا في نصيح الكلام ، حق صار  
 يحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض ، أو ما جرى مجرى ذلك ..... وقد كان شيئاً  
 أبو البلاد يستحسن هذا الفن ويمتصه في شعره كثيراً . ( سر الصلابة ٢١٥ ) .

إن حارت الألباب كيف تقول في ذا التسام فصدورها مقبول  
سامع بفضل ما حيك فأتهم أبدأ إلى ما تصبى ميل  
إن كان لا برضيك إلا تحين فالمحسن إذا فد بك قليل  
فإن هذا الشاعر إرتجل المديح من أول القصيدة ، فأتى به كما ترى حسنا  
لاحقا .

وأما إذا كان التصيد في حادثة من الحوادث كفتح منقل<sup>(١)</sup> أو عزيمة  
جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بتزل ، وإن فعل ذلك دل  
على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الناية ، أو على جهل وضع الكلام  
في مواضعه .

فإن قيل إنك قلت يجب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك ؟  
قلت في الجواب : إن النزل رقة تنقص ، والألفاظ التي تنظم في الحوادث  
للشار إليها من قتل الكلام وتعين القول ، وهي صيد النزل ، وأيضا فإن  
الأحكام تكون متعللة إلى ما يقال في تلك الحوادث والابتهاد بالتلخيص في  
ذكرها لا الابهاد بالنزل ، إذ المهم واجب التقديم .

ومن أدب هذا النوع ألا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمديح  
ما يتطير منه ، وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس ، فينبى أن  
يتمتد منه في مواضعه ، كوصف الديار بالدثور وللنزل بالبقاء وغير ذلك من  
تشعث الألف ودم الزمان ، لا سيما إذا كان في التهانى ، فإنه يكون أشد قبحا ،  
وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنواصب الحادثة ، متى كان الكلام  
في المديح مفتتحا بشئ من ذلك تطير منه سامعه .

(١) كانت بالإسمل مغل .

وإنما خُصَّتْ الابتداءات بالاختيار ، لأنها أولُ ما يَطرُقُ السَّمْعُ من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده تَوَفَّرَتِ الدَّوَاعِي على استماعه .

ويكتفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم ، كالصحيدات المفتحة بها أوائلُ السُّور ، وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وكقوله تعالى في أول سورة الحجج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه .

وكذلك الابتداءات بالمخوف ، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ وَطِّنْكُمْ ﴾ وغير ذلك ، فإن هذا أيضاً يَمْتَسُّ الاستماع إليه ، لأنه يَقْرَحُ السَّمْعَ شَيْئاً غَرِيباً ليس له مثله عادة ، فيكون سبباً لِقَطْعِ نَعْوِهِ والإصغاء إليه .

ومن قبيح الابتداءات قولُ ذِي الرِّثْمَةِ : « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لِلدَّاءِ يَنْسَكِبُ » <sup>(١)</sup> ، لأن مقابلةً للمدح بهذا الخطاب لا خفاءَ بقبهه وكرهه .

ولما أُنْشِدَ الْأَخْطَلُ عِدَّ الْمَلِكِ بْنِ مَرْثُوانٍ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا « خَفَّ الْقَاطِنُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا » <sup>(٢)</sup> قَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : لَا بَلْ مِنْكَ ، وَتَطِيرُ

(١) كانت عين عبد الملك دائمة النعم ، فلما افتتح ذو الرمة قصيدته في مدحه بقوله :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا النِّعَمُ يَنْسَكِبُ      كَانَ مِنْ كَلِمَةٍ مَفْرِيَةٍ بِسُرْبٍ

وهو لا يخالجه في الحقيقة وإنما يخاطب نفسه على سبيل التجريد ، لم يسترح عبد الملك إلى قبح اللواجئة بهذه الصورة ، لأنها توهم أنه هو المراد ، فقال له : وما سؤالك عن هذا إيمان الفاحشة ، وكرهه وأمر بإخراجها .

(٢) الشطر الثاني : وأزعجتهم لوى في صرلها غير (الديوان ١٠٤)

من قوله فنهدها ذو الرمة وقال : « خَفَّ الْقَطْرُ فَرَأَوْهُ الْيَوْمَ أَوْ بَكَرُوا » .

ومن شاء أن يذكر الديار والأطلال في شعره فليعاقب بأدب القطار على جفائه طبعه وبُسله من فطانة الأدب ، فإنه قال : إنا نحبوك فاسلم أيها الطلل<sup>(١)</sup> ، فهذا قبل ذكر الطلل مذكر الصحة والعمارة بالسلامة .

وقد قيل إن امرأ القيس كان يبهج الإبداء كقوله : « ألا أنتم حباًحاً أيها الطلل الهالي »<sup>(٢)</sup> وكقوله : « قفا نيك من ذكري حبيب ومَنزَل »<sup>(٣)</sup>

وعما يُكره من الإبداءات قول أبي تمام : « تجرّع أمى قد انقرّ الجرع الفرد »<sup>(٤)</sup> . وإنما ألقى أبا تمام في مثل هذا المكروه تنبيهه لتجسس بين تجرّع والجرع ، وهذا أدب الرجل ، فإنه كثيراً ما يقع في ذلك .

وكذلك استفتح قول البهري : « فؤاد ملاء الحزن حتى تصدما »<sup>(٥)</sup> . فإن إبداء المديح بمثل هذا طيرة ينبو عنها السمع ، وهو أجدر بأن يكون إبداء مرثية لا مديح ، وما أعلم كيف عني هذا على مثل البهري وهو من مُفلق الشعراء .

(١) الشعر الثاني : وإن طبت وإن طالت بك الطيل ( الأغانى ١٨/١٦ ) .

(٢) الشعر الثاني : وهل يسن من كان في النصر الخالي ( الديوان ٢٧ ) .

(٣) الشعر الثاني : ينطق البرى بين الدحول غومل ( الديوان ٨ ) .

(٤) تكلمة البيت : ودع حسي عين يجتلب مادما الوجد ( الديوان ٨٠/٢ ) .

الجرع : ما سهل من الأرض . الحسى : ماء قليل في الأرض .

(٥) ليس المظم بدهواه .

وَحَكِيكَ أَهْ لَمَّا فَرَّخَ الْمُعْتَمِ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ بِالْمِيدَانِ جُلَسَ فِيهِ ، وَجَمِيعُ أَهْلِهِ  
وَأَصْحَابِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ ، فَأَرَأَى النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ،  
فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلْمُوصِلِ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا  
أَجَادَ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الْبَيْتِ وَهَافَهَا فَقَالَ :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَيْتِ وَتَحَاكَّرَ يَا بَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَهْلَاكَ

فَقَطَّعُوا الْمُعْتَمِ بِذَلِكَ ، وَتَنَامَزَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ ذَهَبَ  
عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَرْفَعِهِ وَعُلْيِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ لِلْمُلُوكِ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ  
وَانصَرَفُوا ، فَمَا عَادَ مِنْهُمْ اثْنَانِ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلَسِ ، وَخَرَجَ الْمُعْتَمِ إِلَى  
مَرْمَنَ رَأَى وَخَرِبَ الْقَصْرَ (١) .

فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارَ أَفِي مَدِينَةٍ فَلْيَذْكُرْ كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ الشُّعْرَاءِ ،  
حَيْثُ قَالَ :

قَصْرٌ عَلَيْهِ نَحْمَةٌ وَسَلَامٌ خَلَّتْ عَلَيْهِ جَاهِلُهَا الْأَيَّامُ (٢)

وَمَا أَجْدَرُ «ذَا الْبَيْتِ بِمُفْتَتِحِ شَمْرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَمِ ،  
فَلْيَا» لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُ لَسَكَانَ حَسَنًا لَا مِثْلَهَا .

(١) الصناعتين ٤٣٧ وفي سر القمصاحة ١٧٥ أن أبا نواس ألفه الفضل بن يحيى .  
قصيده التي مطلعها :

أَرْجُ الْبَلَّ لَنْ الْمَشْوُوعَ لِبَادِي عَيْلِكَ وَإِلَى لَمْ أَخْنَكَ وَدَادِي  
فَتَعْلِيلُ الْفَضْلِ مِنْ هَذَا الْأَجْمَاءِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّبَا إِذَا مَا قَدَّمْتَ بَيْنَ بَرْمَكٍ مِنْ رَانَحِينَ وَغَادِ

اسْتَعْمَكَ طَلِيحُهُ ، فَلَمْ يَعْشِ إِلَّا أَسْبُوحَ حَقِّ لَكَبِ بَنُو بَرْمَكِ ، وَقَتْلَ جَسْفَرِ بْنِ يَحْيَى .  
(٢) الصناعتين ٤٣٣ وبه (لمرت) .



وسئل بعضهم من أحقّ الشراء ، فقال : من أجاد الابتداء والمطعم ،  
 ألا ترى إلى قصيدة أبي نواس التي أولها :

يا دارُ ما قُلتَ بكِ الأيامُ لم تَمُتْ فيكِ بِشاشةٌ تُستقامُ (١)  
 فإنها من أشرف شعره وأعلاه مزية ، وهي مع ذلك مُستكرّمة الابتداء ،  
 لأنها في مدح الخليفة الأمين ، واختراع المديح مذكر البار ودورها مما يُقطِعُ  
 منه ، لا سيما في مشافة الخلفاء وللوك ، ولهذا يختار في ذكر الأماكن والفضائل  
 ما رُقّ لفظه وحسن النطق به كالشذيب والفويرة ورامة وبارق والتحقيق وأشهاد  
 ذلك (٢) ، ويختار أيضاً أسماء النساء في النزل نحو سعاد وأمهم وفوز وما جرى  
 هذا المجرى .

وقد عيب على الأخطل في تنزهه بقُلُور وهو اسم امرأة ، فإنه مستفح في  
 الذكر ، وقد عيب على غيره النزل باسم مُناشر ، فإنه وإن لم يكن مستفحاً في  
 معناه فإنه قهيل على اللسان ، كما قال البحري :

إِنْ لَقِيتُ مِنَّةً لَا تُؤَدِّي وَيَدَا فِي مُنَاصِرٍ بَيْنَهُمَا (٣)

فنزله بهذا الاسم مما يشوه رقة النزل ، ويثقل من خفته ، وأمثال هذه  
 الأشياء يجب مراعاتها والتحرز منها .

وقد استغنى من ذلك ما كان اسم موضع تضمن رقة من الوقائع ، فإن

(١) الديوان ٤٠٧ .

(٢) أسماء أماكن ومياه يكثر ورودها في الشعر وبشاعة في النزل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١) .

ذكره لا يكره ، وإن كان في اسمه كراهة ، كما ذكر أبو تمام في شعره مواضع  
مكرهة الأسماء لضرورة ذكر الوقائع التي كانت بها ، كذكر الحشال وعقوقس  
وأمنالما ، وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبى هنزيط وشميصاط وما جرى مجراها ،  
وهذا لا صيب في ذكره ، لمكان الضرورة التي تدعو إليه .

وهكذا يُسَمَّعُ الشاعر والكاظم أيضاً في ذكر ما لا بد من ذكره وإن  
قبح ، ومهما أمكنه من التورية في هذا المقام فليسلكنها ، وما لا يمكنه فإنه  
معذور فيه .

واعلم أنه ليس من شرط الابتداء ألا يكون عما يَطْطَرُّ منه فقط ،  
فإن من الابتداءات ما يستفتح وإن لم يطر منه ، كقول أبي تمام : « قَدْ أَكَّ  
أَنْتَبَ أَرَبَيْتَ فِي الْفُلَّاءِ » (١) . وكفوه : « تَقَى جَحَانِي لَسْتُ طَوْعَ  
مُؤْنِي » (٢) . وكقول أبي الطيب المتنبى : « أَقْلُ فَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ نَجْدِ » (٣)

---

(١) قدك انتب أريت في الفلواء كم تصلون وأتم سجراني  
مطلع قصيدته في مدح محمد بن حسان الشبي (الديوان ١/٢٢) . قدك : حبك .  
انتب : اصمعي . سجراني : أصدقائي .

(٢) تقى جحاني لست طوع مؤني . وليس جنيبي إن عدت بمصبي  
مطلع قصيدته في مدح عياش بن ملحمة الحضرمي (الديوان ١/١٥٣) .  
تقى : أمر الواحد من تقى الخلف . جحاني : الراد ثوراتي وعصيان . الجنب :  
الجنوب ، والراد به هواء ونفسه . يقول لئلا ذلك إن عدت لا يهدى نفساً ، لأن لا أطيع  
للؤب . وليس قلبى متقاد إلى إذا لامي أحد .

(٣) أقل فالى به أكثره مجد . وذا الجدي فيه قلت أم لم أقل جد  
مطلع قصيدته في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي (الديوان ١/١٠٧) .  
القال : القل الحسن من الجود والكرم ونحوه . به : باسم فعل بمعنى دع . الجدي بكسر  
الهمزة : الاجتهاد ، وبتنجهاء الخط . يقول : أقل فعل جد ، دع أكثره ، فكل أنصلي فليها  
وكثيرها في سبيل الجدي ، وهذا السبي الخائب في سبيل الجدي يد خطا لي سواء قلت مطلوب  
أم لم أقله .

وكقوله : « كُنْتُ أَرَانِي وَنَيْكَ تَوْتَمِكِ الْوَمَا » (١) .

والسبب أن هذين الشاعرين المقلقين يجدثان بمثل ذلك ، ولهما من الإبداعات الحسنة ما أذكره .

أما أبو تمام فإنه افتتح قصيدته التي مدح بها للمصم عند نتيجه مدينة حمورية فقال :

السيف أصدقُ أنباءٍ من الكتب      في حَدِّهِ الحَدُّ بين الجِدِّ واليَسِبِ  
يبيضُ الصَّفاحَ لَأَسْوَدُ الصَّحَافِ      في مُتُونِهِمْ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

هذه الأبيات لها قصة ، وذلك أنه لما حضر للمصم مدينة حمورية زعم أهل التُّبَّاعَةِ أنها لا تُفْتَحُ في ذلك الوقت ، وألغوا هذا حتى شاع وصار أحدوثه بين الناس ، فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى ، وجعل السيفُ أصدقَ من الكتب التي خُبِرَتْ بامتناع البلد واعتصامها ، ولذلك قال فيها :

وَالْعِلْمُ في شُهْبِ الْأَرْماحِ لَامَةٌ      بَيْنَ أَنْفِيسَيْنِ لَا في السَّبْعَةِ الشُّبِّ  
أَيْنَ الرِّدَاةِ أَمْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا      صَافَوْهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ  
نَحْرُهَا صَاً وَأَحَادِيشَاً مَلْفَقَةً      لَيْسَتْ بِتَلْمِيزٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبَ (٢)

وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب .

(١) كُنْتُ أَرَانِي وَنَيْكَ لَوَمَكَ الْوَمَا م أَلَام على نَوَادِ أَيْمَاءِ

مطلع قصيدته في مدح إسماعيل جيهول (الديوان ١٨٤/٤) .

كني : دمي . أَرَانِي : يريد عروفي وأعلمي . نَيْكَ : كلمة صعب وإنكار . م فاعل أَرَانِي . أَلَام : ألقم . يقول أَمَّا ذَلَا : أترك عدلي ، فقد أَرَانِي أَلَامَ اللِّمَمِ على نَوَادِي الْقَامِبِ مع المصيب أن لَوَمَكَ لَمَّا أَحَقُّ بِأَنْ يَلَامَ م .

(٢) من قصيدته في مدح المصم بعد فتح حمورية (الديوان ٤٥/١) .

الصَّفاحُ : السيف . النُّجُومُ : حير صلب تَهْجُنُهُ النَّاسُ . التُّرْبُ : حير ضيف لاقوة له .

وكذلك قوله في قصيدة يمدحه بها أيضا ، ويذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظفروه به ، وهي من أمهات شعره قال :

الحق أبلجُ والسيف عوارٍ غذارٍ من أسدٍ الرّين خذاري<sup>(١)</sup>

وكذلك قوله مقفولا :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما وأن تُعقبَ الأيام فيهم فرُبما<sup>(٢)</sup>  
وهذا من الأفزال الملوثة الرائقة ، وهو من محاسن أبي تمام المروقة .

وكذلك قوله في أول مراثية :

أصمٌ بك النامي وإن كلن أنتما وأصبح مَنى الجود بعدك بَلنما<sup>(٣)</sup>

وأما أبو الطيب فإنه أكثر من الإهداءات الحسنة في شعره ، كقوله في قصيدة يمدح بها كافورا ، وكان قد جرت بينه وبين سيده نزعة<sup>(٤)</sup> ، فبدأ قصيدته بذكر الترض المتصود فقال :

حَسَمَ الصُّلَحُ ما اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ<sup>(٥)</sup>

وهذا من بدع الابتداء وتآدده

(١) في مدح المصم ( الديوان ٢/ ١٩٨ ) .

(٢) في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ( الديوان ٣/ ٢٣٧ ) تحب : من أحبب إذا أصطاه  
النبي أو طلبها إليه . فرحا : فرحا ذا الجيد .

(٣) الديوان ٣٧٤ طلبة محمد جمال وللطلم بالوازنة ٩٤ ومعجم البلدان ٨٨/٨ في رثاء  
أبي نصر محمد بن حيد الطائي .

(٤) كان قوم من القلمان اتصلوا بأبن الإخشيدي سيد كافور ، وأرادوا أن يفسدوا الأمر  
على كافور ، فطالبه بتسليمهم إليه ، فسلمهم بعد أن امتنع مدة سببت وحشة ، ولا تسلمهم كافور  
ألا قام في التين واسطلفا ( الديوان ٢/ ١٥٦ ) .

وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان ابن السُّمَيْثِيُّ حلف ليَقِينَةً  
كَيْفَاحاً ، فلما اتفقا لم يطلق ذلك وولى هاربا ، فافتتح أبو الطيب قصيدته بِفَحْوَى  
الأمر فقال :

حُفِيَ الْيَمِينَ عَلَى حُفَيِّ الْوَفَى كَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ  
وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنتَ وَاعِدُهُ مَادُلُّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مُتَمِّمٌ (١)

وكذلك قوله وقد طارق سيف الدولة إلى مصر ، فجُمِعَ بين ذكر فراقه إياه  
وقائه كالفوراء في أول بيت من القصيدة فقال :

فِرَاقٌ وَمَنْ طَارَقْتُ غَيْرُ مَذْمُومٍ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمُنْتُ خَيْرٌ مُبْتَمِرٌ (٢)

ومن البديع النادر في هذا الباب قوله مغزلا في مطلع قصيدته الثافية وهي :  
أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الشَّقَايَا تَحْسَبُ الْهَمْعَ خَلْفَةً فِي الْمَأَقِي (٣)  
وله مواضع أخر كثيرة لا حاجة إلى ذكرها .

ومن محاسن الابتداءات التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته  
في كتاب الروضة لأبي العباس المبرِّد ، فإنه ذكر غزوة غزاهما الرشيد هارون  
رحمه الله في بلاد الروم ، وأن حَقَقُورَ ملك الروم خضع له وبذل الجزية ، فلما عاد عنه

---

(١) (الديوان ١٦٧/٤) يقول : من حلف أن عاقبة الحرب له كانت عاقبة التدم ،  
لأنه ربما لا يظهر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى أن  
الطريق السلي إلى شقيق أقسم عند ملك الروم أنه لا يد أن يظهر بسيف الدولة ، وسأله  
أن يتجده يطارقه وبالمدد والمدد ، ففعل ، فطلب عنه واتهمزم .  
(٢) الديوان ٣٣٣/٤ .  
(٣) مطلع قصيدته في مدح أبي العتاتر الحسين بن علي بن الحسين بن مهران  
(الديوان ١٧١/٣) يريد أنها لكثرة معانيها الباكين يحوم أن القسم خلفه في العيون  
ملا ترحم من يبك .

واسقط مدينة الرقة وسقط الثلج قض تقور العهد ، فلم يجسر أحد على إعلام  
الرشيد ، لمكان هيته في صدور الناس ، وبذل يحيى بن خالد للشعراء الأموال  
على أن يقولوا اشماراً في إعلانه ، فكلهم أشفق من لقائه بمثل ذلك ، إلا شاعراً  
من أهل جُدَّة يكنى أبا محمد ، وكان شاعراً مقلِّعاً ، فنظم قصيدة وأنشدها الرشيد ،  
أولها :

بَئْسَ الَّذِي أَصْلَبَتْهُ تَقْقُورُ ضَلِيلِهِ دَارَةُ الْهَوَارِ تَدُورُ  
أَبْشَرُ أَمِيرٍ لِلزَّمَنِ نَائِهٍ فَضَحَّ أُنَاكَ بِهِ الْإِلَهِ كَبِيرُ  
تَقُورُ إِنَّكَ حِينَ تَنْذِرُ أَنْ نَأَى عَنْكَ الْإِبَامُ لِنَاجِلٍ مَغْرُورُ  
أَطْلَعْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلِتٌ هَبْلَتَكَ أُمْلَكَ ، مَا ظَنَنْتَ غُرُورُ  
فلما أنهى الأبيات قال الرشيد : أو قد فعل ؟ ثم غزاه في بقية الثلج وفتح  
مدينة مِرْقَلَةَ .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ما رواه من شعر سُذَيْفٍ  
في تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بني أمية فقال : قدم سُذَيْفٌ من مكة  
إلى الحيرة والسفاح بها ، ووافق قدومه جلوس السفاح للناس ، وكان بنو أمية  
يجلسون على الكراسي تكرمة لهم ، فلما دخل عليه سُذَيْفٌ حَسَرَ ثَمَامَهُ ، وأنشده  
أبياتاً من الشعر ، فالتفت رجلٌ من أولاد سليمان بن عبد الملك ، وقال لآخر  
إلى جانبه : قَتَلْنَا وَلِلَّهِ الْعَبْدُ . فلما أنهى الأبيات أمر بهم السفاح فأخرجوا  
من بين يديه ، وقُبِلُوا عَنْ آخَرِهِمْ ، وكتب إلى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل  
من وجدوه معهم .

ومن الأبيات :

أصبح الدين ثابجا في الأساس بالبهاليل من بني القساس  
أنت مهدى هاشم ومُدها كم أنس رجوك بمد إياس  
لا تُقبلن عَبدَ شمس عِذاراً والقطرُ كُلُّ رَقْلَةٍ وغراس  
أزولوها حيث أنزلها الله بدار الهوان والإتساس  
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كَحُرِّ التماس  
أقسيم أيها الخليفة وأخيم عك بالسيف شأقة الأرجاس  
واذكرني مَعْرِعَ الحسين وزيد وقهلا بجانب الميراس  
ولقد سادني وساء سوائي قُرْبهم من مناير وكراس<sup>(١)</sup>  
وهذه الأبيات من فخر الشعر وفادره افتتاحا وإجداً، وتبريقاً وتالياً،  
ولو وصفتها بما شاء الله وشاء الإسماعيل والإطراب لما بلغت مقدار ما لها من الحسن .

ومن لطيف الابتداءات ما ذكره ميتار ، وهو :

أما وهوها عذرة وتصلها لقد قل الراشي إليها فأنتملا  
سَيَّ جُودَه لَكِن تَجَاوِزَ حُدَّه وَكَثُرَ فَارَاتَيْتَ وَلَوْ شَاءَ قَلَّلَا<sup>(٢)</sup>

(١) الأبيات من قصيدة بالأغاني ٩٧/٤ مع تغيير لطيف . زيد : المراد زيد بن طي  
زين العابدين بن الحسين . وكان قد خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك ، فقتل وصلب  
سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ . القاتل الذي بجانب الميراس ( وكانت بأصل الميراس ) المراد  
حزرة بن عبد المطلب ، قتله وحفي غلام جبير بن مطعم يوم أحد ، والميراس ماء بأحد ،  
وقد نسب العامة قل حزرة إلى بني أمية لأن قائد الناس يوم أحد كان أبا سفيان بن حرب ،  
ولأن وحشياً قتله بصرى عند أم معاوية ، وقالوا إنها لاكت قطعة من كبد حزرة .  
وله : نخلة . طالت ولبت اليد . والمراد القى على كبريم وعمل مستعرج .

(٢) الديوان ٩٩٤/٣ حلوة : سنودة . أمعل : بالغ في مكره وكينه .  
كان قد روى به بعض حساده في أمر يصل بالملك هاشمهاه جلال الدولة إلى طاهر بن  
يويه ، ثم تبينت براءته وأتم الملك عليه ، فألفاً قصيدة يمدحه بها ويعرض بالرائي .

فإنه أبرز الاعتذار في هيئة النزول ، وأخرجه في معرض السبب ، وكان قد وُثِّقَ به إلى المدوح ، فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن .  
وعما جاء على نحو ذلك قول بعض المتأخرين من العراقيين :  
قدراءك أقوال الوشاة القواجر ودونك أحوال القرامر المغلر  
ولولا ولوع منك بالصد ما ستموا ولولا التوى لم أنقلب للمعادر  
فسلك في هذا القول مسلك مهبأر ، إلا أنه زاد عليه زيادة حسنة ، وهي  
المناية على الإسماء إلى أقوال الوشاة والاستماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل  
في هذا المعنى .

ومن الحذاقة في هذا الباب أن تُجَمَّلَ التحميدات في أوائل الكتب  
السلطانية مناسبة لمألى تلك الكتب ، وإنما خصصت الكتب السلطانية دون  
غيرها لأن التحاميد لا تصدر في غيرها ، فإنها تكون قد تضمنت أموراً لا تنطق  
بالتحميد ، كفتح مقل<sup>(١)</sup> أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا المجرى .

ووجدت أبا إسحاق الصابى على تقدمه في فن الكتابة قد أدخل بهذا الركن  
الذى هو من أركان الكتابة ، فإذا أتى بالتحميدة في كتاب من هذه  
الكتب لا تكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب ، وإنما تكون في وادٍ والكتاب  
في وادٍ ، إلا ما قل من كتبه . فما خالف فيه معناه أنه كتب كتاباً يتضمن  
فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها ، وكان ذلك فتحاً عظيماً ، فابتدأ بالتحميد  
قَالَ : « الحمد لله وبه المآلين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلى المجيد

---

(١) كانت بالأصل مقل .



الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُفْتى إلا برفع النوت ، الأزل  
بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا مُنْذَ أَمَدٍ محدود ، الدائم لا إلى  
أَجَلٍ مَعْدود ، الفاعل لا من مادة استعدها ، ولا بآلة استعملها ، الذى لا تدركه  
الآعين بلمحاضها ، ولا تحسّه الألسن بألفاظها ، ولا تخلفه العصور بمرورها ،  
ولا تهرمه الدهور بمرورها ، ولا تصارعه الأجسام بأقطارها ، ولا تجانسه  
الصُّور بأعراضها ، ولا تجاربه أقدام النظر أو الأشكال ، ولا تزاحمه مناقب  
الفرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذى لا كُفء له ، والقد الذى لا تَوَام  
معه ، والذى لا تخزيمه التَّنُون ، والقيوم الذى لا تُشغله الشئون ،  
والقدير الذى لا تؤدّه المضيلات ، والظهير الذى لا تغيبه المشكلات .

وهذه التعميدة لا تناسب الكتاب الذى افتتح بها ، ولكننا نصلح أن  
توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ، ككتاب الشامل للجوينى  
أو كتاب الاختصار أو ما جرى مجراها ، وأما أن توضع فى صدر كتاب  
فتح فلا .

وهو وإن أساء فى هذا الموضع فقد أحسن فى مواضع أخرى ، وذلك أنه  
كتب كتاباً عن غليظة الظالم - رحمه الله تعالى - إلى الأطراف ، بعد عزمه إلى  
كرسى ملكه ووزوال ما نزل به وبأبيه المطيع - رحمه الله تعالى - من فادحة الأثر  
قال : « الحمد لله ناظم النسل بعد شتاته ، وواصل الحبل بعد بقاته ، وجابر  
الرحمن إذا انشلم<sup>(١)</sup> » ، وكاشف الغلب إذا أظلم ، والقاضى للسليهن بما يضم  
نشرهم ، ويشدُّ أزرهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويحفظ الأئمة عليهم ، وإن

شابت ذلك في الأحيان شوائب من الخدثان ، فمن نتجاوز بهم الحد الذي يُوقَّظُ غافلهم ، ويُنبِّهُ ذاهلهم ، ثم إنهم عائدون إلى فضل ما أولاهم الله وعودهم ، وثوقهم لم ووعدهم ، من إيمان سيرهم وإعذاب سيرهم ، وإعزاز جانبهم ، وإذلال مُجانبهم ، وإظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون .

وهذه نصيحة مناسبة لموضوع الكتاب ، وإن كانت المأني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب ، وقدمت القول فيه في باب السجع ، فليؤخذ من هناك .

ومن المبادئ التي قد أُخْلِقَتْ وصارت مزدرة أن يقال في أوائل التقليديات إن أحقَّ أن يُدعى بأن تُرتقى خدمة كذا وكذا ، وإن أحقَّ من قُلْد الأعمال من اجتمع فيه كذا وكذا ، فإن هذا ليس من المبادئ المستحسنة ، ومن استعمله أولاً فقد ضَمَفَ فكرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ ، والذي تهمة في ذلك إما مُقلِّدٌ ليس عنده قدرة على أن يختار لنفسه ، وإما جاهلٌ لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردى .

وأهل زماننا هذا من الكتاب قد قَصَرُوا مبادئ تقاليدهم على هذه القائمة دون غيرها ، وإن أتوا بتحبيدة من التحاميد كانت مهيئة لمخى التقليد الذي وُضِعَتْ في صدره .

وكذلك قد كان الكتاب يستعملون في التقليديات مبدأ واحد لا يتجاوزونه إلى غيره ، وهو « هذا ما عهد فلان إلى فلان » والتحميد خير ما افتتح به التقليديات وكُتِبَ الفقوح وما جرى مجراها ، وقد أنكرت ذلك على استعماله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية والي فقلت : « كانت التقليديات تفتتح بكلام ليس

بذى شان ، ولا يوضع في ميزان ، ولا يُحْتَقَى من أُنْفَان ، وغاية ما يقال هذا ما عهدَ فلان إلى فلان ، وتلك فاعمة لم تسكن جديدة فتخلق<sup>(١)</sup> بتناول الأيام ، ولا حسنة النظم فيمتلئ بها من ذوات النظم ، وهذا التقليد مفتوح بحمد الله الذى تسكفل لحامده بالزيادة ، وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله بالإعادة ، وهو الذى بلغ بنا من مآرب الدنيا منتهى الإرادة ، وسلم إلينا مآكدها فنللت لنا بها كل مفادة ، ووسد الأمر منا إلى أهله فاستوطأت الرحاب منه على وسادة ، ونرحو أن ينجح لنا بين سعادة الأولى والأخرى حتى تتصل هذه السعادة بخلق السعادة . ثم فصل على نبيه محمد الذى ميزه الله على الأنبياء بشرف السعادة ، وجعل الشقاق القمر له من آيات النبوة والشقاق الإبروان من آيات الولادة ، وكفى له وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا في الإشادة ، وبسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة . أما بعد كذا وكذا ثم أجهت التقليد إلى آخره .

ومن الحذقة في هذا الباب أن يجمل الهداء في أول الكتاب من السلطانات والإخوانيات وغيرها متضمناً من اللغى ما بنى عليه ذلك الكتاب ، وهذا شيء اقررت بإبداءه ، وترأه كثير فيما أنشأته من الكتابات ، فإني توخيه فيها وتصدته . فمن ذلك ما كتبه في الهداء بفتح وهو « هذا الكتاب مشكفة بخدمة الهداء للمجلس السامى القلاى جدد الله له في كل يوم فتحاً ، وبذل عرش كل ذى سلطان لديه صرحاً ، وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضى ، وكتب له على لسان الإسلام ولسان الأيام ثناء خالداً ومدحاً ،

والسكنة بعد العمر الطويل داراً لا يفلأ فيها ولا يفتنى ، ثم أخذت بعد ذلك في إنشاء الكتاب المتضمن معنى ما يقتضيه ذلك الفتح .

ومن ذلك ما ذكرته في الهناء بمولود وهو « جَدَّدَ اللهُ مَسَرَّاتِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْفَلَانِ وَوَصَلَ صَبُوحَ هَنَاءِهِ بِفُتُوهِ ، وَأَمْتَمَهُ بِسَلِيلِهِ الْمُبَشِّرِ بِطُورِهِ ، وَأَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَعِضَ بِنُورِهِ ، وَتَرْنَمَ عَنْ فُتُوهِ ، وَسَرَّ بِهِ أَبْكَارَ الْعَالَمِ حَتَّى تَخْلُقَ أَعْظَافُهَا بِخُلُقِهِ ، وَجَمَلَ كَزْرَجٍ أُخْرِجَ شَطَاءُ فَازَرَهُ فَاسْتَفَاطَ فَاسْتَعْوَى عَلَى سَوْفِهِ » ثم أخذت في إتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى .

فأقبل ما أوردته ها هنا من هذين اللتئين ، وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعاني التي تبي عليها كتبك ، فإن ذلك من دقائق هذه الصناعة .

وأما فوائع الكتب التي أنشأها فمنها ما اخترعته اختراعاً ولم أسبق إليه ، وهي عدة كثيرة ، وقد أوردت ها هنا بعضها .

ومن ذلك مفتاح كتاب إلى ديوان الخلافة وهو « نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز النبوي ، جعل الله الخلود لمولته وأوطاناً ، والحدود لها أركاناً ، ونصَّبَ أيامها في أيام الدهر أعياناً ، وصورها في وجهه عيناً وفي عينه إنساناً ، ومدَّ ظلالها على الناس هدلاً وإحساناً ، وجمع الأمم على دين طاعتها وإن تفرقوا أدياناً ، وآتاه من معجزات سلطانه ما لم يترك به لغيرها سلطاناً ، فارتاح الخدام لافتقارها ، وبَسَطَ يده لاستسقامها ، وقال رحمةً مرسلة لا تُخَفَى رُحُودُهَا ، وَلَا تُخْلَفُ وَعُودُهَا ، وَمِنْ شَأْنِهَا تَرْوِضُ الصَّنَائِحَ الَّتِي تَهَيَّ آثَارُهَا ، لَا الْغِثَالَ الَّتِي تَذْوِي أَزْهَارُهَا ، وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنْ الْكِتَابِ وَنَائِلِهِ بِالسَّحَابِ وَوَائِلِهِ ، فَإِنْ صَدَّرَ عَنْ يَدِ كَيْدِ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ قَدْ وَقَعَ الْتَشْبِيهِ مَوْقِعَ الصَّوَابِ ، وَصَدَّقَ حِينَئِذٍ قَوْلَ الْقَائِلِ : إِنَّ الْبَحْرَ عَصْرُ السَّحَابِ ،

لكن فرق بين ما يجوز بمائه وما يجوز ببقائه ، وبين ما يسم الأرض للراحة ،  
وبين ما يسم الأقدار الخالصة ، وما زالت كتب الحيوان العزيز تُضرب لها  
الأمثال ، وتُصرفُ نحوها الآمال ، ويُرى الحمد فيها حسناً وإن عد في غيرها  
من سوء الأعمال ، وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتاح كتب كتبه إلى بعض الإخوان ، وأرسلته  
إليه من الوصول إلى أرض الشمال من بلاد الروم ، وهو طبع كوكب من أفق  
المجلس الساسي لا خلت سيادته من علو وحاسد ، ولا شئت بنوام يُخرجها من  
حكم الواحد ، ولا حِدَّتْ ضُحْبَةُ الجلود المعقطة في الزمن الرائد ، ولا أَوْحَشَتْ  
الدينا من ذكره الخالد ، الذي هو عر خلد ، ولا زال مرفوعاً إلى الملأ الذي  
يُسَمُّ به أن الدهر للناس خالد ، والكواكب تختلف مطالعها في الشمال والجنوب ،  
فمنها ما يطلع دائماً في أحدهما وهو في الآخر دائم التروب ، وكتب المجلس  
كوكب لم يُرَ بهلته الأرض تطفئة ، وإن عُليم من العياء ابن موضه ، ولا ظهر  
الآن للخدام سبَّح له حامداً ، ونخر له ساجداً ، وقال قد عُبِلَتْ الكواكب من  
قبل فلا صَبَّحَ أن أكون لهذا الكوب عابداً ، وها أنا قد أصبحت بالكوف  
على عبادته مُتَرَمِّى ، وقال الناس هذا ابن أبي كبشة الكتاب لا ابن أبي كبشة  
الشعري ، وهذا طبع غريب ، والسابقة التالية لمطالعة أقرب .

وبن أقرب ما فيها قول « وها أنا قد أصبحت بالكوف على عبادته مغرى ،  
وقال الناس هذا ابن أبي كبشة الكتاب لا ابن أبي كبشة الشعري » وللرأد  
بذلك أن أبا كبشة كان رجلاً في الجاهلية بعد الشعري ، غالف ذلك دين  
قومه ، ولا بحث النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش هذا قد خالف ديننا ، وسموه

ابن أي كبشة ، أي أنه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه في عبادة الشجرى ،  
فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء كتابه مبدعاً غريباً .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كبشة إلى بعض الإخوان وهو  
« طلعت من الغرب شمسٌ هليل قد أذنت أشراطُ الساعة بالاقتراب ، ولم يُسلم  
أن تلك الأنوار إنما هي أنوارُ الكتاب ، لم تألف الأبصارُ من قبله أن تغلغ  
لشمسٍ من الغرب ، وليس ذلك إلا كتاب المجلس لا سلبه الله منزلة هذا  
الوصف الكريم ، وآتاه من الفضل ما يقال منه وتفرق كل ذى علم عليم ، وأخيه  
النفوس من كدِّها بروح كليله كما شفى غلظها من أفلامه بسقيا الكلم ، ولما  
ورد عن الخادم صوابه نهاراً ، وأصبح الناس في الحديث به أطواراً ، وللوصف  
منهم يقول قد جرت الشمس إلى مستقرها ، والشمس لا نجد قراراً » وهذا  
الكتاب في الحسن والقراءة كالقلى قبله .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كبشة إلى الإخوان وهو  
« تأوَّب زورٌ من جانب المجلس السامى أدنى الله داره ، وجعل كلماته الثمامة جاره ،  
وأنتهد أفعالُ التقوى ليله وأفعالُ المكارم نهاره ، ووعبه من أعمار العمر  
حلوته ، ومن أعمار العيش قصاره ، ولا أقدرُ الساجدين إلى المالى أن يجزوا  
منه ، ولا أن يشقوا غباره ، وليس ذلك الزورُ إلا سطوراً فى قرطاس ،  
ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله فى ملاطفة الإيثار ، والله لا يصنعُ بتمشى  
هذا الزورُ ويُقره عفى بروجه حتى لا أزال به قرير الناظر ، ومع هذا فأتى حاتم  
لتأخره ، وها هنا مظنة العتاب ، ومن تأخر عنه كتب صديقه فلا بد أن ينظر له  
خاطر الارتباب ، والظنين بالموودة لا يرى إلا ظنينا ، وقد قيل إنها وديعة وتظيلا  
ما نجد على الودائع أمهناً » وهذا فصل من الكتاب .

ومن جهة الكتب للشار إليها مفتوح كتاب كعبته إلى بعض الإخوان وهو  
 « منحت روضة من جانب المجلس السامى جل الله المالى له رداء ، ونهايات  
 المسامى له ابتداء ، وفداء بمن يُقصر من درجته حتى تكون الأكارم له فداء ،  
 وهدى الحامد لأفاده وأهدى البقاء لأيامه ، حتى يجتمع له الأمان له هدى  
 وفداء ، وآتاه من السيادة ما يحل أعباده أصدق ، ومن السيادة ما يحل  
 أصدقائه أعباء ، فاستغنى الخادم ربها » ، وتلقى بالتحية بحياها ، واستمع  
 بأزهارها التى أنبتا سغيا الأقلام ، لاسقى الفم ، وقال هذا ربيع الأرواح  
 لا ربيع الأجسام ، ولو ربح الإحاطة بوصفها لسكانت الأحوال المطوَّعة فيها  
 مختصرة ، ولكنه اكتفى بأن ربحها على رأسه حتى يمثل أن الجنة فى شجرة ،  
 ومن أوصافها أنها جاءت رائدة ، وبين شأن الروض أن يرتاد ، وحلت محاسنها  
 التى هى فى غيرها من حظ البصر ، وفيها من حظ السمع والبصر والقواد ، ولما  
 سرح فيها نظره وجد شوقه حامية تُتردُّ فى أكنافها ، وتردد الشَّبَّابُ لهُشْدانها ،  
 إذا رددته الحالمُ لقرب ألانها ، وهذا قول عند إخوان الصفا علامة ، وإذا تمثل  
 كتاب الحبيب روضة فهل يمثل شوق عبه إلا حامة ؟ وأى فرق بين هذه وبين  
 أخواتها من ذوات الأطواق ، إلا أنها تُنلِّ شَجْوَهَا على صفحات القلوب وتلك  
 تملية على حَذَبَات الأوراق .

وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب ، وفيه مثنيان مهملتان ،  
 وأعجبهما وأفرهما قولى « حتى يمثل أن الجنة فى شجرة » وهذا مستخرج من  
 الحديث النبوى .

ومن جهة الكتب للشار إليها مفتوح كتاب كعبته إلى بعض الإخوان وهو  
 « تَضَوَّتْ تَفَحُّ من تلقاء المجلس السامى دعى الله عليهم وسقاه ، وصان رده

وَوَقَّاهُ ، وَيَسْرَى إِتْقَانَهُ بِمُقَاتَلَةِ ، فَتَقَطَّرَتِ الطَّرِيقُ الَّتِي سَارَتْهَا ، وَالرَّيْحُ الَّتِي  
جَاوَرَتْهَا ، فَأَفْرَشَتْهَا خَشْيٌ ، وَضَمَّتْ عَلَيْهَا وَدْئٌ ، وَجَلَّتْهَا رُدْنًا<sup>(١)</sup> لَطِيفٌ .  
وَلَطِيفَةٌ لِرُدْنِي ، وَيَحَابًا<sup>(٢)</sup> لِيَقْدِي ، وَهَلَّتْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِتَفْجَةِ طَلِبٍ ، وَلَكِنَّمَا  
كَتَابٌ حَبِيبٌ ، فَإِنْ مَنَاشِقُ الْأَرْوَاحِ غَيْرُ مَنَاشِقِ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَسْتَوِي عَرَفُ  
الطَّلِبِ وَعَرَفُ الْأَقْلَامِ ، ثُمَّ مَدَدَتْ يَدِي إِلَى الْكِتَابِ بَعْدَ أَنْ صَاغَتْ يَدَ مُوصِّهٍ .  
كَأَنَّ صَاغَتْ عَيْنَ بَنْدَةٍ<sup>(٣)</sup> ، وَقُلْتُ أَهْلًا بِنِ أَدْنَى مِنَ الْحَبِيبِ مَزَارًا ، وَأَهْدَى  
لِعَيْنِ قُرَّةٍ وَقَلْبِي قَرَارًا .

وهذا في التراب كآخراته التي تقدمت ، ولم أقتصص ما اخترعته من هذا  
الباب في مطالع السكف .

وأما ما أنبت فيه بالحسن من المعنى ولكنه غير مخفوع ، فن ذلك مطلع  
كُتِبَ كِتَابُهُ مِنَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ بْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْمَلِكِ  
الْأَفْضَلِ عَلِيِّ بْنِ يُونُسَ يَتَضَمَّنُ تَمْزِيَةً وَتَهْنِئَةً ، أَمَّا التَّمْزِيَةُ فَيُودَعُ أَخِيهِ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ  
عُمَانُ صَاحِبُ مِصْرَ ، وَأَمَّا التَّهْنِئَةُ فَيُودَعُ الْمَلِكُ مِنْ بَيْدِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ الْقَلَمُ أَنْ يَنْطَرِقَ  
بِلِسَانِ التَّمْزِيَةِ أَمْ بِلِسَانِ التَّهْنِئَةِ ، لَكِنَّهُ جَعَلَهَا جَمِيعًا فَأَتَى بِهِمَا عَلَى حُكْمِ التَّهْنِئَةِ .  
وَفِي مِثْلِ هَذَا انْخَلَطَ يَظَلُّ الْقَلَمُ حَارًّا ، وَقَدْ وَقَفَ مَوْقِفَ الدُّخَانِ وَالرَّيْحُ فَخُذَتْ  
أَوَّلًا ثُمَّ رَضِيَ آخَرًا ، وَهَذَا الْبَيْتُ الْفَارِسِيُّ يَتَدَاوَلُ دَرَجَاتِ الْمَلِكِ فَا تَغْنَى إِلَّا وَإِلَيْهِ  
تَرْجِعُ ، وَشَوْهٌ وَأَقْلَامُهُ تَتَنَاقَلُ مَطَالِعُ السُّعُودِ فَا يَنْصِبُ مِنْهَا غَائِبٌ إِلَّا وَآخِرُ يَطْلُعُ .  
وَالنَّاسُ إِنْ نَجَّوْا بِمَاجِدٍ ، رَدَّاهُ مِنْ بَيْدِهِ مَاجِدٌ ، وَإِنْ قِيلَ إِنْ الْمَاضِي كَانَ وَاحِدًا

(١) كَانَتْ فِي الْأَصْلِ رَدْنًا

(٢) الصَّخَبُ عَلَى وَزْنِ كِتَابٍ فَلَادَةٍ مِنْ مَسْكٍ ( لَوْحٍ مِنَ الطَّلِبِ ) وَفَرَقْلٍ وَعَلَى

بَلَا جَوْهَرٍ .

(٣) الْمُبْقَى : مَقْدَرُ عَيْنِ الطَّلِبِ إِذَا فَاحَتْ رَائِحَتُهُ ، وَكَانَتْ فِي الْأَصْلِ ( مَبْقَاةٌ )

الْمَنْسَلُ : عَلَى وَزْنِ مَقْدَرِ الْبُودِ أَوْ أَجْرِهِ كَالْمَنْسَلِ .



تقبل بل الآتى هو الواحد ، وهذا فصل من أول الكتاب .  
ثم كتبت في هذا المبنى كتابين آخرين وفي الآتى أوردته من هذا الفصل مقبج .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه ، وكانت  
الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا وهو ( لقاء كُتُب الأُحباب لقاء الأُحباب ،  
وقد تأتى بعد بأس منها فيشته دمع السرور بدمع الاكثاب ، ومن أحسنها كتاب  
المجلس السامى الثلاثى جمل الله الهال له صفها ، والمعانى له عفاها ، ورفع مجده  
غرق كل ما جد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ، ولا زال اسمه فى الأنواء  
هذا ، وذكره فى الألسنة رطباً ، ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا ،  
ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا القسنى ، وإنما ذكرت ها هنا مبدأه لأنه  
الغرض المقصود فى هذه الموضع .

ومن ذلك ما كتبه إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه وهو « البشرى .  
تمسلى الكتاب كأنه نصلى لرسوله ، وكل منهما يوقى حق قدره ينزل فى منزله ،  
وكذلك فصل الخادم بكتاب المجلس السامى الثلاثى لا زال معه أنيسا ، وذكره لفرقدين  
جلسيا ، وسمّيه على المسكارم حبيبا ، ومجده جديد الملابس إذا كان المجد لبيبا ،  
وهنا ذكرت فى هذا الكتاب كما ذكرته من الذى قبله ، فإني لم أذكر  
إلا مبدأه الذى هو الغرض .

وبما ينظم هذا السالك ما كتبه فى صدر كتاب بعضين تمزيده وهو « لو لم  
يلبس قلبي ثوب الخداد لمجر مداده ، وتَصَانَعته سواده ، وبُذِلَ عن قريته ، وعاد  
إلى طينته ، وحرم على نفسه أن يتعطى يدا ، أو يجرى إلى مدى ، لسهه أحد  
فقلب وبكى فسكّب ، وسطر هذا الكتاب من دموعه ، وضَمَّنه ما حلت أحواله  
ضلوه ، وإنما استمار ذلك من صاحبه الذى أعداه ، وأبدى إليه من عزيه .

ما أبداه ، وهو نائب عنه في تمزية سيدنا أحمد الله صبره ، ويسر أمره ، وأرضى عنه :  
دوره ، ثم أنهيت الكتاب إلى آخره .

ومن محاسن هذا الباب أن يفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم ، أو  
بغير من الأخبار النبوية ، أو بيت من الشعر ، ثم يبنى الكتاب عليه ، فمن ذلك  
ما كتبه في ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو :

ومن طلب الفتح الجليل فلانما مفاتيحه البيضاء الخفاف الصوام<sup>(١)</sup>

وقد أخذنا قول هذا الشاعر الحكيم ، وجعلنا السيف وسيه إلى استفتاح  
المالك القيم ، ورأية الجدلا تنصب إلا على النصب ، والراحة الكبرى لاتنال  
إلا على جسر من النصب<sup>(٢)</sup> ، وكتابنا هذا وقد استولينا على ملكة فلاة وهي  
للملكة التي تسمى الآمال دونها سرقى ، وإذا قيس إليها غيرها من المالك  
كانت أصلا وكان غيرها فرما ، وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه في افتتاح تقليد بالحسبة وهو : ولتكن منك أمه بدعون  
إلى الخلد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم القحون<sup>(٣)</sup>

(١) من قصيدة الخليلي في مدح سيف الدولة ، التي مطلعها .  
على قدر أهل الزم قات الزائم وقأت على قدر العكرام الكرام  
الديوان ١٢٧/٤ .

(٢) من قول أبي تمام :

جبرت بالراحة الكبرى ظم زحما تنال إلا على جسر من النصب  
من قصيدته في مدح للمصم بعد فتح حمورية التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده المسد بين البلد والصب  
الديوان ٤٥/١ .

(٣) قرآن كريم سورة آل عمران ١٠٤ .

هذا أمر يشتمل على معنى المخصوص دون الموم ، ولا يختص به إلا ذوو الأوامر المطاعة وذوو العلوم ، وقد جمع الله لنا هذين الوصفين عليهما ، وجعلنا من المستحقين عليهما ، فهذا أولاً بحمد الله الذى هو سبب الزيد ، ثم لناخذ فى القيام بأمره الذى هو على كل نفس منه رقيب عتيد ، ولارب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونها ، وتنام عيونها ، ويشترك فى بركات السماء ساكنها ومسكونها ، والأمر بذلك جليل إن لم تتوزعه الأكف ، فقل على الرقاب ، وإذا انشرفت أطراف البلاد فلها تنفر إلى مساعدة من مستغيب ومُستغاب ، وقد اشترنا لمدينة ثلاثة رجال لم نال فى اختصاره جهدا ، وقد مناهه خير الله الذى إذا صدقت نيتها صادقت رُشدا ، وهو أنت أيها الشيخ فلان ، قابسط يدك بقوة إلى أخذ هذا الكتاب ، وكن كخصة من حساننا التى يرجع بها ميزان الثواب ، وحقق نظرنا إليك فإنه من الله الذى ليس دونه حبيب .

فأمل كيف فلت فى هذه الآية التى بنيت التقليد عليها ، وهو من محاسن للبادئ الافتتاحات .

وكذلك فلت فى موضع آخر وهو مفتتح كتاب كنهه إلى شخص كلفه السفارة إلى مخدومه فى حاجة عرضت وهو « إن أؤتى الناس بأوامر الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا » . هذا القول مختم بأقلامه ، وتتمثل عليه أنظاره ، وأولى الناس بسيدا من شاركه فى الحمة أدبه ، وإن لم يشاركه فى الحمة نفسه ، فإن للناقب أقارب ، وللسائر أوامر :

وليس يعرف لي فضل ولا أدبي إلا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بحثُ خُلُقِهِ السَّكِيمِ على عوارف أفضله ، واستهداه  
صَنِيعَةً جَاهَهُ الَّتِي هِيَ أَكْرَمُ مِنْ صَنِيعَةِ مَلِكٍ ، وَلَا تَجَارَةُ أَرْجَحُ مِنْ هَذِهِ التَّجَارَةِ ،  
وَالسَّامِيُّ فِيهَا شَرِيكَ فِي السَّكْسَبِ بِرِيءٍ مِنَ الْخَسَارَةِ .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ فَيُسَلِّكُ بِهَا هَذَا الْمَسْلَكُ ، بَأَن يَذْكُرَ الظَّاهِرَ فِي أَصْدَرِ  
الْكُتَابِ ، ثُمَّ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا وَلَوْ سَمَّاهَا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَوْقِيعُ كُتُبِهِ لِرَجُلٍ  
رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ ، وَتَوَقَّى وَاللَّهِ وَقَلَ مَا كَانَ بِاسْمِهِ إِلَيْهِ قُتِلَتْ : « قَالَ النَّبِيُّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَرَكَعًا لَا قِيَّوَرَتَهُ ،  
وَمِنْ رَكَعَتَيْنِ أَوْ كَلًّا أَوْ ضِيَاعًا قُلْتُ وَعَلَى » وَهَذَا خُلُقُ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ  
لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهِ ، وَأَسَالِيبِ الْمَسْكَاتِمِ بِأَمْرٍ مُوَضُوعَةٍ فِي ضَمْنِهِ ، وَنَحْنُ نَرْجُو  
أَن نَعْرِضَ عَلَى أَرْبِهِ ، فَتَنْتَزِلَ مِنْزَلَةُ رَدِيفِهِ ، أَوْ تَنْشَبُ بِهِ فَنَبْلُغَ بِلُغَتِهِ أَوْ تَنْصِيفِهِ ،  
وَقَدْ أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ فِي قَوْمٍ صَحْبُونَا فَأَسْعَفْنَاهُمْ بِمَهَابَةِ الْإِسْلَامِ ، وَاحْتِدَامِ صُحْبَةِ الْعَالِي  
وَالْأَبَامِ ، وَتَكَلُّفِنَا أَيْتَانَهُمْ مِنْ بَدَمٍ حَقٍّ وَدَوَانٍ يَكُونُوا أَمَّ الْأَيْتَامِ ، وَهَذَا  
ابْنُ فُلَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ كَانٍ لَهُ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ قَدَمٌ صِدْقِي وَأَوْلِيَّةٌ سَبْقِي ،  
وَحَظِّظَ كِتَابَ الْحَفَاطَةِ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي تَلَاوُثِهِ أَقْرَأْ وَارْقُ .

ثُمَّ أَنْهَيْتُ التَّوْقِيعَ إِلَى آخِرِهِ ، فَتَأَمَّلْ مُفْتَتِحَ هَذَا التَّوْقِيعِ ، فَإِنَّهُ تَصْنِيعُ نَصِ  
الظَّاهِرِ مِنْ غَيْرِ تَنْصِيفٍ ، وَقَدْ ضَمَّنْتُهُ بِحُضْرِ خَيْرِ آخَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ  
اقْرَأْ وَارْقُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقُ وَرَبُّكَ  
كَأَنَّكَ تَرْتِلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنْ مِيزَ لَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا .

وَقَدْ مَثَلَتْ لَكَ هَاهُنَا أَمْثَالًا يُقْتَدَى بِهَا فَاحْذُ حَذْوَهَا وَامْضِ عَلَى سَهْبِهَا ،  
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْمُصَوِّبِ .

## النوع الثالث والعشرون في التخلص والاختصاص

وهذا النوع أيضا كالذي قبله في أنه أحد الأركان الخمسة التي تقدمت الإشارة إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب ، وينبغي أيها المتوسع لهذه القضية أن تصرف إليه جل همك ، فإنه منهم عظيم من مهمات البلاغة . .

### [التخلص]

أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فهنا هو فيه إذا أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه أخذًا برتاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا ، وذلك مما يدل على خلق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيئ عليه ، ويكون معجا للوزن وللقافية فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته ، وأما التائر فإنه مطلق المعنى ، متى حيث شاء ، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على التائر .

وأما الاختصاص فإنه ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون الثاني علاقة بالأول ، وهو مذهب العرب ومن يليهم من المختصين .

وَأَمَّا الْخُذَنُونَ فَلَهُمْ تَصَرُّفُوا فِي التَّخْلِصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ،  
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

يَقُولُ فِي قَوْمَيْسَ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ الشَّرَّيَ وَخُطَا الْمَهْرَبَةِ الْقَوْدِ  
أَمْ طَلَعَ الشَّمْسُ تَبَيَّنِي أَنْ تَوَّمَّ بِمَا قُلْتُ كَلًّا وَلَكِنْ تَطَّلَعَ الْجُودُ (١)  
وهذان البيتان من بديع ما يأتي في هذا الباب ونادره .

وكذلك قوله أيضاً في وصف أيام الريح ثم خرج من ذكره وما وصفه به  
من الأوصاف فقال :

خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرِّيحِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَذَبُهُ لِلتَّيَسْرِ  
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدْلِهِ الْإِمَامُ وَجُودِهِ وَمِنْ التَّيَبَاتِ الْقَضَى سُرُجٌ زُيْهَرُ  
تَفَسَّى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودُهُ أَبْدَأَ عَلَى مَرِّ الْهَالِي يُذَكِّرُ (٢)  
وهذا من اللفظ التخلصات وأحسنها .

(١) في مدح عبد الله بن طاهر لما خرج إليه ( الديوان ١٣٢/٢ ) قوس : بد بين  
البراق وخراسان وطبرستان بالقرب من أصفهان . المهربة : الإبل السكرية نسبة إلى مهرة  
ابن حيدان . قود : طويولات الأضلاع للفرد لونهاء . والقي بالديوان ( تبني أن  
توَّمَّ بنا ) .

(٢) من قصيدته في مدح النعمان ( الديوان ١٩١/٢ ) والقي بالديوان ( بروض  
شله ) بدلا من جوده ، وفي الأصل ( حل من الزمان وينسحر ) فأصلها القطر  
من الديوان . يريد أن الرياض تنسى وتذبل أما قلعة فلا يتنى ولا ينسى .

وكذلك قوله في قصيدته لقافية التي أولها: أما الرسوم فقد أذكرن ما سقا .  
قال فيها<sup>(١)</sup> :

غَيْدَاهُ جَادَ وَلَّى الْحَسَنَ سُنْبَهَا      فَصَافِئَهَا يَدِيهِ جَنَّةُ أَهْلِهَا  
يُضْحِيهِ الْمَذُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَلِفًا      بُدِّرَ مَنْ كَانَ مَشْفُوعًا بِهَا كَلِفًا  
وَدَعَ فَوَادِكَ تَوَدِّعَ الْفِرَاقِ فَا      أَرَاهُ مِنْ سَقَرِ التَّوَدِّعِ مُنْصَرِفًا  
يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ      جِهَادُهُ لِلْقَوَائِي فِي ابْنِ دُلْفَا

وهذا أحسن من الذي قبله ، وأدخل في باب الصنعة .

وكذلك جاء قوله :

زَعَمْتَ هَوَاكَ حَقًّا التَّدَاةَ كَمَا حَفَّتْ      عَنْهَا طُلُوبُ بِالْقَوَى وَرُسُومُ  
لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ الْقَوَى      صَبْرٌ وَأَنَّ أَلْبَا الْحُسَيْنِ مَكْرِمُ  
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا غَدْتُ      قَمِي عَلَى إِبْنِ سَوَاكَ نَحْوُ<sup>(٢)</sup>

وهذا خروج من غزل إلى مدح أغزل منه .

(١) من قصيدته ل مدح أبي دلف التلمس بن عيسى السجل ( الديوان ٢/ ٢٥٩ ) .  
لنى مطلقا .

أما الرسوم فقد أذكرن ما سقا      لا تكن من هابيك أو يكفا  
وفي الديوان ( روضة أهلها )

ولي الحسن : الحسن للقوائى للتأج ، من الول وهو للطر بعد الطر .

(٢) من قصيدته ل مدح أبي الحسن محمد بن أبيهم بن هبالة ( الديوان ٣/ ٢٨٩ ) .  
لنى مطلقا :

أبقى طوبى لهم أجش حزم      وغفت عليهم قسرة وغيم  
كان الأصل ( التوى أجش ) و ( ما حلت عن سنن الوداد ) .

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة:  
التي أولها « أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورٌ » فقال عند الخروج إلى ذكر  
السلوح :

قَولَ الّتي مِن بَيْنِهَا خَفَّ مَرَكَبِي      عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ تَرَكَ تَمِيرُ  
أَمَّا دُونَ يَمِيرٍ لِّتَنْتَهَى مَقْلَبُ      بَلَى إِنْ أَسَابَ الْغَنَى لَكُنْهِرُ  
قَاتَ لَهَا وَاسْتَمَجَلَهَا بَوَادِرُ      جَرَّتْ غَيْرِي فِي سُرْبَيْنِ تَمِيرُ  
ذَرَيْتُ أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بَرَحَةً      إِلَى بَلَدٍ فِيهَا الْخَصْبُ أَمِيرُ<sup>(١)</sup>

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية  
التي أولها « عَوَاضِلُ ذَاتِ الْغَالِ فِي حَوَاسِدِ » :

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُتَنَدُّ فِي يَدِي      مَوَارِدَ لَا يُصْدِرُونَ مِنْ لَا يُجَالِدُ  
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْصِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ      عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَخْلُ الْكَفُّ سَاعِدُ  
خَلِيلُ إِلَى لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ      فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنْ التَّصَانِدُ ؟  
فَلَا تَمَجِّبُنَا إِنْ السُّيُوفُ كَثِيرَةٌ      وَلَكِنْ سَيْفُ الدُّوَّةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ<sup>(٢)</sup>

(١) الديوان (٤٨٠) من قصيدته في مدح الخصب . بالديوان (من بيتها) و (ن) (الخصب) . بوادير : موضع مستنقعات . حيدر : راقعة خشبية ، أي اختلط جسمها بحيرها .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عَوَاضِلُ ذَاتِ الْغَالِ فِي حَوَاسِدِ      وَإِنْ ضَجَّعَ الْغُودَ مِنْ لِحَاجِدِ  
(الديوان ٣٠٥/١) .

لَا يُصْدِرُونَ مِنْ لَا يُجَالِدُ : أورد نفسي في الحرب موارد حلائك لا يرجع واردها حيا . ومعنى البيت الثاني أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالسيف ؛ فإذا لم تقو السيف بقوة القلب إليها لا تنوى بقوة الساعد .



وهذا هو الكلام الآخذ بعينه برقاب بعض .

الآ ترى إلى الخروج إلى مدح للمدح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ، ثم إن أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة بيت واحد من بدائعه المشهورة .

وكذلك قوله أيضاً وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات ، وهو في تصديده الثانية التي أولها « يَرْبُ عَاشَهُ حُرِمَتْ ذَوَاتُهَا » فنزل في اثنتان :

وَمَطَالِبٍ فِيهَا لِلْمَلِكِ أَتَيْتُهَا	تَبَّتَ الْجَفَانِ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا
وَمَقَابِرٍ بِمَقَابِرٍ غَادَتْهَا	أَفْوَاتٌ وَخَيْشُ كَنْ مِنْ أَفْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا فَرْدَ الْجِيَادِ كَأَنِّي	أَيْدَى بَنِي حِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا
لثَّائِبِينَ فَرُوسَةً كَلْبُودَهَا	فِي ظَهَرِهَا وَالْقَنْوَ فِي لَبَّاتِهَا
فَكَأَنِّي قَتَيْتُ قَهْلًا نَحْتَهُمْ	وَكَأَنَّهُمْ وَلُّوا عَلَى صَبَوَاتِهَا
تِلْكَ النَّفُوسُ الْقَاتِلَاتُ عَلَى الْعِلَا	وَالْمَجْدُ يَنْلُهَا عَلَى شَبَوَاتِهَا
سَيِّتٌ مَنَابِقُهَا الَّتِي سَقَتْ الْوَرَى	بِيَدَيَّ ابْنِ أَيُّوبَ خَيْرَ كِبَاتِهَا <sup>(٢)</sup>

== ومعنى البيت الرابع أنه في العراء ممتاز فكيف الدولة في السيوف ، فكل منهما متعلم الظفر وإن كان له أشباه وظنائر في القسمة .

(٢) من تصديده في مدح أبي أيوب أحمد بن حمران ( الديوان ٢٥٥/١ ) .

مقاب : جمع مقب وهو الطائفة من الشيل تجتمع للقارة . أفوات : مغلول ثان لغادتها يقول رب جيش من الفرسان لقيه بجمله من صهي فركته قوتا للوحوش التي كانت قوتا له بسببها وبذبحها وبأكلها .

أقبلتها فرج الجياد : جعلتها قبل فرج جيادها التي أوسطها إلى أوسطها وحشتها بيدورها عنهم ، كأن هذه الفرر أيدي بن حمران . نحت : ولدت . صولاتها : جمع صولاتها وهي مقعدا الفارس على الحصان .

فانظر إلى هذين التخلّصين البديعين ، فالأول خرج به إلى مدح قوم المدح ،  
والثاني خرج به إلى نفس المدح ، وكلاهما قد أغرب فيه كل الإغراب ،  
وعلى هذا جاء قوله :

إذا ضُتُّ لم أترك مَصَالاً لِمَاضٍ وإن قُلتُ لم أترك مقالاً لِمَاضٍ  
والا نفاكتني التواني وما كُفِي عن ابن هبّيد الله ضَعْفُ الصَّامِ (١)  
والشراء متفاوتون في هذا الباب ، وقد يُقصرُ عنه الشاعر المفلق للشيور  
بالإجادة في إيراد الألفاظ واختيار المعاني ، كالبحتري فإن مكانه من الشعر  
لا يُجَبَل ، وشعره هو السهل للمتعمق الذي رآه كالشمس قريباً ضوءها بعيداً  
مكانها ، وكافتنة لُبّكاسها شيناً سينانها ، وهو على الحقيقة نقيضُ الشراء في الإطراب ،  
وعتقوهم في الإغراب ، ومع هذا فإنه لم يُورَقْ في التخلّص من الغزل  
إلى المدح ، بل التضييق التضييق .

وقد حفظت شعره فلم أجده من ذلك شيئاً مرضياً إلا اليسير ، كقوله  
في قافية الباء من قصيدة .

وكفاني إذا الحوادثُ أظف من شهاباً بفرقة ابن شهاب (٢)

وكقوله في قافية الدال من قصيدة :

قَصَدَتْ لِلْبَحْرَانِ الرَّاقِ رَكَابُنَا يَطْلُبُنْ أَرْحَبَهَا حَلَّةٌ مَا جِدْ

(١) من قصيدته في مدح أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج ( الديوان ١ / ٢٠٣ ) ...  
كان الأصل ( مصالاً لِمَاضٍ ) .

(٢) من قصيدته في مدح أحد ابن إسماعيل بن عتيب التي مطلعها :

ما على الركب من وقوف الركاب في مغالي الصبا ووسم الصبا

الديوان ١ / ٢١١ .

أَلَيْتُ لَا تَلْتَمِيزَ جَدًّا صَاعِدًا فِي مَغْلَبٍ حَتَّى تَنْتَحِنَ بِصَاعِدٍ<sup>(١)</sup>  
 وكثره في قصيدته التي أولها « حَانَتْ لَهَا مَالِي يَوْمَ التَّضَرُّقِ » فإنه تشوق  
 فيها إلى العراق من الشام ، ووصف العراق ومنزله ورياضه فأحسن في ذلك كله ،  
 ثم خرج إلى مدح القتيص بن خاقان بسبب آخذة بعضها برقاب بعض فقال :  
 وَيَبْعُ مِنَ النَّصِصِ بَنَ خَاقَانَ لَمْ تَزَلْ غَنَى قَدِيمٍ أَوْ فَسَاكَ يَلُوتُوقِرُ<sup>(٢)</sup>

ثم أخذ في مدحه بمد ذلك بضروب من اللعاني ، وكذلك ورد قوله  
 في قصيدته التي أولها : « مِيلًا إِلَى الدَّارِ مِنْ كَيْلِي تُخَيِّبُنِيهَا » فإنه وصف البركة  
 غابض في أوصافها ، ثم خرج منها إلى مدح الخليفة المتوكل فقال :

كَأَنَّهُ جِئْتَ لِبَيْتٍ فِي تَدْفِئِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا<sup>(٣)</sup>  
 وأحسن ما وجدته له ، وهو عَمَّا تَلَطَّفَ فِيهِ كُلُّ الْقَائِفِ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ  
 لَقِيَ يَمْدَحُ بِهَا ابْنَ بَسْطَامٍ وَمُظْلَمًا « نَصِيبُ هَيْبِكَ مِنْ سَعٍ وَتَسْجَامِ » قال  
 عند ختامه إلى اللديج :

هَلِ الشَّهَابُ مُلِمٌّ بِي فَرَاجَةٌ أَيْلَهُ إِلَى فِي أَقْصَابِ أَمَامٍ ؟  
 لَوْ أَنَّهُ بَابِلُ حَرٍّ يَجَاذِبُهُ إِذَا تَغَلَّبَتْهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامٍ<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدته في مدح صاعد بن غطف ( الديوان ١/١٥٨ )  
 في الأصل ( فَتَلَكْ أَزْجِيهَا عَمَلٌ مَا جَدَ ) ولا معنى له ، وبه ( حتى تناخ ) والديوان  
 أصوب .

(٢) تكة اللطع : وبالوجد من قلبه بها التعلق ( الديوان ٢/١٧٧ ) والديوان  
 ( سَكَكَ لَمْ يَمُقْ ) .

(٣) تكة اللطع : ثم وسألها عن بعض أهلها ( الديوان ٧/٣١٨ ) .

(٤) لم يثر عن القطر ولا طي الجين في حيوانه . وقوله ( لو أنه بابل حمر ) فيه  
 تحريف وضوض .

وهذا من الملاحظ في هذا الباب .

وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره .

وقال أبو الملا محمد بن غانم المعروف بالذاني<sup>(١)</sup> إن كتب الله خال من التخلّص . وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلّص إعا هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطفية تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالتخرج من الوعد والتذكير والإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعد ، ومن يحكم إلى مشابه ، ومن صفه نهي مرسل وتلك منزّل إلى ذم شيطان مريد وجبار عبيد ، بلطاف . دقيقة وسمان أخذ بعضها برقلب بعض .

فما جاء من التخلّص في القرآن الكريم قوله تعالى واتلّ عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نتبدّأ بآبائنا فقالوا ما كنتم . قال هل ينسون ما كنتم تعبدون أم يؤثّرهم آياتنا كذلك ؟ فقالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أم وآبائكم الأفتدون عنهم عدو إلى الربّ العالمين الذي خلقهم فهو يهدين ، والذي هو يطغى ويستهين ، وإذا مرّست فهو يستهين ، والذي يستهين ثم يستهين ، والذي أحطع أن يغيّر لي خلقتي يوم الدين ، ربّ هبّ لي حكماً وألقني بالسّالين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبي إنه كان من الضّالين ، ولا تغزني يوم يهتدون . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، كذّبت الجنة للمتقين ، وبرّزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون

(١) أبو الملا محمد بن غانم ، كان من شعراء عصره وفضلائه ، وهو من شعراء نظام للباب لابن الأمير ١٦٦/٣ .

من دون الله هل ينصرونكم أو يمتنعون ، فكيف كانوا فيهم والفازون ،  
وچنود إبليس أجمعون ، فالوازم فيها يمتنعون : إله إن كنا في ضلال مبين ،  
إذ نسويكم رب السالمين ، وما أضلنا إلا الجرمون ، فإنا من شافعين  
ولا صديق رحيم ، فلو أن لنا كرة ففكون من المؤمنين » (١) .

هذا كلام يبكر القول ، و يستتر الأكاب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة ،  
فإنه منق الم في نظره ، وتدر أثنائه ومطاري حكمة علم أن في ذلك غنى عن  
تصحيح الكتب المؤلفة في هذا الفن ، ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه  
السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال  
مستفهم ، ثم أغنى على آلتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنفع ولا تنفع ، ولا تنصر  
ولا تسم ، وعلى تقليد آباءهم الأقدمين فكسره ، وأخرجه من أن يكون  
شبهة فضلا عن أن يكون حجة ، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي  
لا تجب العبادة لإله ، ولا يبنى الرجوع والإجابة إلا إليه ، فصور للساعة في  
نفسه دونهم بقوله : « فإنهم عدائي » ، على معنى أني ذكرت في أمري فرايت عبادتي  
لها عبادة لعدو وهو الشيطان فاجتنبها ، وآزت عبادة من أظهر كل في يده ،  
وأوام بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه ، لينظروا فيقولوا ما نصحا إبراهيم  
إلا بما أصبح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى القبول لقوله ، وأبث على  
الاستماع منه ، ولو قل فإنهم عدو لكم لم يكن بذلك للثابة ، فخلص عند تصويره  
المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى ، فأجرى عليه تلك الصفات النظام من تفخيم

شأنه ، وتمديد رَحْمَتِهِ ، من لَدُنْ خَلْقِهِ ، وإنشاءً إلى حين وفاته ، مع ما يُرَجَى في الآخرة من رحمة ، ليعلم من ذلك أن مِنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ حَقِيقٌ بِالْعِبَادَةِ ، واجب على الخلق الخضوعُ له والاستكانة لمظلمته .

ثم خرج من ذلك إلى ما يلائمه ويُناسبه ، فذما الله بدعواتِ الخلقين ، وإِهْتِلَ . إله إِبْتِهَالِ الْإَوَّابِينَ ، لأنَّ الطَّالِبَ مِنْ مَوْتَاهُ إِذَا قَدِمَ قَبْلَ سَوَالِهِ وَتَضَرَّعَهُ الْاعْتِرَافَ بِالْعَمَةِ كَانَ ذَلِكَ أَنْسَجَ لِلْإِجَابَةِ ، وَأَنْجَحَ لِحُسُوبِ الطَّالِبَةِ . ثم أدرج في ضمن دعائه ذَكَرَ الْبَحْثَ ، ويومَ الْقِيَامَةِ وَبِحَازَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّقَاهُ بِالْجَنَةِ وَمِنْ ضَلَّ مِنْ عَهْدِهِ بِالْفَارِ ، ليجمع بين التَّوْبَةِ فِي طَاعَتِهِ ، وَالتَّوْبَةِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ .

ثم سأل للشركين عما كانوا يفعلون سؤالاً ثانياً عند معاينة الجزاء ، وهو سَوَالُ مَوْجِ لَمْ يَسْتَهْزِءْ بِهِمْ ، وَذَكَرَ مَا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ النَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ ، وَتَمْنَى التَّوْبَةَ لِيُؤْمِنُوا . . .

فانظر أيها القائل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقابِ نصوص ، مع احتوائه على ضروب من اللغز ، فَتَخَلَّصُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى الْآخَرِ بِطَاطِفَةِ مَلَأَةٍ ، حَتَّى كَأَنَّهُ أَفْرِخٌ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ ، تَفْرُجُ مِنْ ذِكْرِ الْأَصْنَامِ وَتُفْقِدُ أَبِيهِ وَتُؤْمَرُ مِنْ عِبَادَتِهِمْ . إِيَّاهُ ، مع ما هي فيه مِنَ التَّسَرُّعِ عَنْ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، حَيْثُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَسْمَعُ ، إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فوصفه بصفاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَظَلَمَ شَأْنَهُ ، وَعَدَّدَ دِينَهُ ، لِيُحْكَمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِهِ . ثم خرج من هذا إلى دعائه إِذْهَ وَخُضُوعَهُ لَهُ ، ثم خرج منه إلى ذِكْرِ يَوْمِ

القيامه ومواب الله وعقابه ، فغدر هذه التخلصات العظيمة للودعة في أثناء هذا الكلام .

وفي القرآن مواضع كثيرة من التفصيلات ، كالذي ورد في سورة الأعراف ، فإنه ذكر فيها قصص الأنبياء والأسم الخالقية من آدم إلى نوح عليها السلام ، وكذلك إلى قصة موسى عليه السلام ، حتى انتهى إلى آخرها الذي هو :

وَإِذْ أَخَذَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيقَاتًا ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشَّقَاءُ فِعْلًا ، إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تُشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ، أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . وَارْكَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُعَذَّبُونَ ، قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ ، وَرِجْقِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَأَنَا كَابِهَا الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الشُّرَاةِ . وَالْإِنجِيلَ ، يَأْمُرُهُم بِالْحُرُوفِ وَبِهِم مِّنَ الْفِكَرِ ، وَيَهْدِيهِمْ لِمِ الْطِبْيَاتِ . وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الْغُلْبَاتِ ، وَيَقَعُ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمُ وَالْأَعْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢١) .

هذا تخلص من التخصصات الحسان ، فإن الله تعالى ذكر الأنبياء والقرون

للأخيرة إلى عهد موسى عليه السلام ، فلما أراد ذكر نبينا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بـمخلص انتظم به بعض الكلام ببعض .

ألا ترى أنه قال قال موسى عليه السلام « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة » فأجيب بقوله تعالى قال هذا بي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين آمنوا وحالهم كذا وكذا ، ومن صفتهم كيت وكيت ، وم الذي يتيسر الرسول الذي الأمل ، ثم وصف صلوات الله عليه بصفاته إلى آخر الكلام .

ويأتي التسبب كيف يزعم الثاني أن القرآن خالي من التخصيص ؟ ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام ، فإنها قصة برأسها ، وهي مضمنة شرح حاله مع إخوته من إدارل أسرهم إلى آخره ، وفيها عدة غفصات في الخروج من معنى إلى معنى ، وكذلك إلى آخرها .

ولو أخذت في ذكر حاق القرآن الكريم من هذا النوع لأطلت ، ومن أنتم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة<sup>(١)</sup> .

وقد جاني من التخصيص في الكلام للشور أشياء كثيرة ، وسأذكر هاهنا نبذة يسيرة منها ؛ فن ذلك ما أوردته في كتاب إلى بعض الإخوان أضيف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الأشواق قلت « وكما أن هذه

(١) أورد الزركلي في كتابه البرهان في علوم القرآن ٤٣/١ - ٥٥ دعوى الثاني التي ذكرها ابن الأثير ، ودسك أمثلة من التخصيص في القرآن الكريم ، بعضها ذكره ابن الأثير ، ويرجع أن الزركلي قل من ابن الأثير لأن الزركلي توفي سنة ٧٩٤ وابن الأثير توفي سنة ٦٣٧ .



الأوصاف في شأنها بديعة ، فكذلك شوق في شأنه بديع ، غير أنه لحظه فصل صيف وهذا فصل ربيع ، فإنا أملى أحاديث الصبية على الشوى ، وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أستغض حديث من قتله الهوى .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه إلى بعض الإخوان أيضا وأرسلته إليه من بلاد الروم ، وهو كتاب يتعقل على وصف البرد وما لاقته منه ، ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الشوق قلت « وما أشكوه من بردها أن القرو لا يلبس إلا في شهر ناجر ، وهو قائم مقام الظل الذي يُقَرَّدُ به من لتفتح المواجر ، ولقرط شدة لم أجد ما يخففه ، فضلا عما يذهب به ، فإن النار المدة له تطلب من الدفء أيضا ما أطلبه ، لكن وجدت نارا أشد حرا » فاصطابت بحمرها التي لا تزد كثير بزاد ، ولا تؤل إلى رمد ، ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشد من حرّ الفؤاد . غير أني كنت في ذلك كن سدة خلة بخلة ، واستشعنت من حلة بقة ، وأقتل ما أعانك ما شفاك ، فاعطيك بمن يصطلي نار الأشواق . وقد قمع من أخيه بالأوراق ، فصن عليه بالأوراق .

وما ينظم في هذا المقام ما ذكرته في مفتتح كتاب يتضمن رعاية ببعض للتظلمين فاستطردت فيه إلى ذكر المكتوب إليه وهو « هدايا للكرام أنفس من هدايا الأموال ، وأبقى على تصاقب الأيام والالال ، وقد حل هذا الكتاب منها هدية نورث تحدا ، وتكسب تحدا ، وهي خير ثوابا وخير مرءا ، ولا يسير بها الاستحبة طعت على الكرم ، وخلفت من عنصر القديم ، كسبية مولانا أعلاه الله علوا تفخر به الأرض على السماء ، وتحسده شمس النهار ونجوم الظلام ، ولا زالت أيادي تحبته صوب النام ، مُعْدِيَةٌ على نوب الأيام ، مديونة بشرف فضلها على شرف الأخوال والأعمام . وتلك الهدية هي تجديد الشفاء في أصم

فلان ، ومن إيمان المرء صعبه في حاجة أخيه ، وإن لم يسه بشئ أسهل أو أخيه .  
فإن للأومدين إخوة وإن تباينت ملبسهم ، وتفاوتت مراتبهم ، ومن صفاتهم أنه  
يسمى بلمتهم أديانهم ، ويؤثرون من عتاه من الأسر ما عتاهم . ثم مضيت على  
هذا التهج إلى آخر الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه من كتاب إلى صديق استحدثت مودته ، وهو من  
أهل العراق وكنت اجتمعت به بالوصل ، ثم سار عني فسكرت إليه أسند به  
وملأه ، قلت « هذه للكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذي ترف كليلته زرف  
الأوراق ، وتنبج سجع ذوات الأطواق ، وتهف وهي مقبلة بالوصل  
فدسج من هو مقبلة بالعراق ، وأبرج الشوق ما كان من فراق غير بعيد ،  
وود استجدت حلقه ، واللذة مقبلة بكل شئ جديد . وأرجو ألا يبلى قدم  
الأيام لهذه الميدة لباسا ، وأن يصاد في نظرة الجن والإنس حتى لا يخشى جنة  
ولا لباس . وقد قيل إن اللوات طسا ، كما أن لها وشما ، وأن ذا القب يصادق نسا  
قبل أن يصادق جسا . وإن لأجد لودة سيدنا حلوة يستقل دوائها ، وقد  
أذكرني الآن بحلوة الرطب الذي هو من أرضها ، وغير عجيب لمناسبة  
الأشياء أن يذكر بعضها ببعضها ، إلا أن هذه الحلوة تنال بالأفواه ، وتلك  
تنال بالأسرار ، وفرق بين ما يُفترس بالأرض وما يُفترس بالقلب في  
شرف الثمار ، فلا ينظر سيدنا على في هذا التمثيل ، وربما كان ذلك تعريضا  
ينوب عناب التقليل . »

وهذا من التخلصات البديعة ، فانظر أيها القائل كيف سقت الكلام  
إلى استبداء الرطب ، وجعلت بعضه آخذا برقاب بعض ، حتى كأنه أنفرغ  
في قالب واحد ، وكذلك فليكن التخلص من معنى إلى معنى .  
وهذا القدر من الأمثلة كاف للتعليل .

ومما استغرف من هذا النوع في الشعر قول ( ابن الزمكرم )<sup>(١)</sup>  
للوصلى وهو :

وليل كوتجيه البرقيدي مظلم ورز أغانيه وطول قرويه  
سريت ونوى فيه يوم مشرد كفل سليمان بن قهد ودينه  
على أوتق فيه التفات كأنه أو جابر في خبطه وجنونه<sup>(٢)</sup>  
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه<sup>(٣)</sup>

وهذه الأبيات لها حكاية ، وذلك أن هذا المدح وهو شرف الدولة قرواش  
ملك العرب وكان صاحب الوصل ، فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من  
ليالي الشتاء وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاء الشاعر ، وكان البرقيدي شنيا

(١) ذكر ياقوت هذه الأبيات غير منسوبة إلى قائمها ( مادة برقيدي ) .

ورجنا إلى كثير من مکتب الأدب ، لعلنا نجد إلى نصوب اسم القائل ( ابن  
الزمكرم ) كما ذكره المؤلف ، فلم ندر على خالفنا . ثم رجنا إلى الكامل في الفلرخ لابن  
الأثير ، وفتنا كل ما ذكر من قرواش الذي جاء ذكره في الأبيات ، فوجدناه يذكر  
أن الشاعر اسمه ابن الزمكرم ( الكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧ ) أما فوات الوفيات لابن عاكر  
٢٦٥/٧ فهو يذكر الأبيات منسوبة لطاهر الجزري .

(٢) أولى : الولي : النلة السرية ، والأولى : الجنون وهبه ، وله ذكر  
( الأولى ) مرينا به التذكير ليدل به على الجمل السبع ، وإن كانت اللة لا تلاومه  
في هذا .

(٣) البرقيدي : منسوب إلى برقيدي ، بلد من أعمال الوصل ، منه بنو مدان الفلخيون  
سيف الله وأهله . والأبيات في هجاء سليمان بن قهد الوصل ومدح قرواش ابن الفلخ  
أمير بني قحيل ، مع تغيير يسم ( معجم البلدان مادة برقيدي ) .

والأبيات في الكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧ كما هي ، عدا ظلة بدلا من مظلم . وهي  
كما قال في قرواش وابن قهد والبرقيدي وابن جابر ، وقد أجمع أهل البيان على أنها غاية في  
الجلوة ، لم يقل أحد خيرا منها في مناسها .

وقد مات قرواش أو قتل سنة ٤٤٤ ( فوات الوفيات ٢٦٥/٧ ) ،

أو سنة ٤٤٢ ( البداية والنهاية ١٢/٦٢ ) .

دسليمان بن فهد وزيراً ، وأبو جابر حاجباً ، فاقسم شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجوهم للذكورين ويعدده ، فأشدد هذه الأبيات ارتجالاً ، وهي غريبة في بابها لم يُسمع بمثلاً ، ولم يرخص قائلها صناعة التخصيص وحدها حتى رقى في معانيه للتصوّد إلى أعلى منزلة ، فاجدأ البيت الأول بهجو البرقيدي ، فجاء في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها ، وهي الظلمة والبرد والطول ، ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شُبهت به مطابقة له ، وكذلك البيت الثاني والثالث ، ثم خرج إلى المدح بألف وجه وأدق صنعة ، وهذا يسى الاستطراد ، وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات .

وما يجري على هذا الأسلوب ماورد لابن الجعّاج البندادي وهي أبيات لطيفة جداً :

الا ياماه دجّة لست أدري      بأنى حايّدك طول عمرى  
ولوائى استطعت سكّرت سُكراً      عليك فلم تكن ياماه تجرى  
قال الماء : ما هذا عجب      بما استوجبت ياليت شرى  
قلت له : لأنك كل يوم      تترى على أبى الفضل بن بشر  
تراه ولا أراه وذاك شئ      يضيئ عن أحمالك فيه صبرى<sup>(١)</sup>

وما علمت معنى في هذا التقصّد أظف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ ، ويكفى ابن الجعّاج من القضيّة أن يكون له مثل هذه الأبيات .

(١) معتمد التتبع ٢٥٣/٤ وفيه البيت الثالث هكذا :

قال الماء قل لي كل حسنا      بم استوجبت ياليت شرى  
وفي البيت الأخير كلمة صبرى بدلا من صبرى .

ولا تظن أن هذا شيء ائرد به المحدثون لما عديم من الرقة والطاعة ،  
وفات من تقدمهم لما عديم من قسّفت العيش وظلف الطبع ، بل قد تقدم أولئك  
إلى هذا الأسلوب وإن أنلوا منه وأكثر منه المحدثون ، وأى حن من محاسن  
البلاغة والقصاحة لم يسبقوا إليه ؟ وكيف لاوم الله وسنهم حليم وعهم أخذ ؟

فمن ذلك ما جاء لفردق وهو :

وركني كأن الرمح نطلب عديم لها رقة من جذنها بالمساب  
سروا يخبطون الليل وهي تلتفهم على شسب الأكوار من كل جانب  
إذا ما رأوا نارا يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نارا غالب<sup>(١)</sup>  
فانظر إلى هذا الاستطراد ما ألهه وأغله .

واعلم أنه قد قصد الشاعر التخلص فإني به قبيحا ، كما فعل أبو الطيب اللثي  
في قصيدته التي أولها [ميك القحطر أعيشها ربوعا] فقال عند الخروج من  
المنزل إلى اللدج :

هذا بك كل خيلو متتهاما وأصبح كل مستور خيلما  
أحبك أو يقولوا جر تمل سيرا وإن إبراهيم ريس<sup>(٢)</sup>

(١) الديوان ٣٠/١ وكان البيت الأول بالأصل ( عندما ، لها قوة ) والبيت الثاني  
( يخبطون ) أما البيت الثالث فقد كات بالأصل ( إذا آسوا ) وهي رواية معاهد النصب  
وفي الأمانى ( إذا استوحوا ) .

(٢) الديوان ٤٢٧/٢ في مدح علي بن إبراهيم النخعي . ملت القطر : للطر الدائم .  
الغار : الغالي من المعوى : للمتهم : القاهب القاب من المعوى . الفلج : القى ترك الحياء  
وتبتك في المعوى . أو يقولوا : إلى أت يقولوا . نير : جبل بالمجاز . ريع : أخيف . إن  
إبراهيم . هو علي المدوح .

هذا بخلص كما تراه وارد ليس عليه من مسحة الجمال شيء ، وها هنا يكون  
الانقباض أحسن من التخلص .

فيبقى لسالك هذه الطرق أن ينظر إلى ما يصفوه ، فإن واثقه التخلص حسناً  
كأنيبي ، وإلا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو العلي .  
ولهذا نظائر وأشباه ، وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي أولها :  
« أحيا وأيسر ما قسيت ما قتلا » فقال :

« قلّ الأمل برى ذلّ فيشفع لي إلى التي تركني في الموى مثلاً »  
والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره ، وما ألقاه في الموى  
إلا أبو نواس فإنه قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هوائك لعل الفضل يجمع بيننا<sup>(١)</sup>  
على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح ، لكنه أفسده ولم يأت  
به كما أتى به قيس ، ولذلك حكاية وموائع لها هام بلقي في كل واد وجن بها  
رق له الناس ورحموه ، فسي له ابن أبي عتيق إلى أن طلقها من زوجها وأعادها  
إلى قيس ، فزوجها إياه ، فقال عند ذلك :

جزى الرحمن الفضل ما يجازي على الإحسان خيراً من صديق  
قد جرّبت إخواني جميعاً فما ألفتُ كابن أبي عتيق  
سعى في جمع شعلي بعد صدغ وراي حذتُ فيه من طريق  
وأطفأ لومة كانت بقلبي أخصني حرارتها برقي<sup>(٢)</sup>

(١) الديوان ٣/٣٥٧ في مدح سعيد بن عبد الله بن الحسن السكالي الشجعي .

(٢) الديوان ٤٧٤ .

(٣) الأغانى ١٢٩/٨ كان في الأصل ( وقد جرّبت ) و ( رأى حرت )

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بَوْنٌ بريد ، وقد حكى عن  
ابن أبي عمير أنه قال : يا حبيبي أَمَيْكَ من هذا للديع ، فإِ يسمه أحد  
إلا ظننى قَوَّاداً .

### [انقطاع]

وأما الانقطاع فهو الذى أشرنا إليه فى صدر هذا النوع ، وهو قطع الكلام  
واسئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه .

فمن ذلك ما يقرب من التخلّص وهو فصل الخطاب ، والذى أجمع عليه  
المحققون من علماء البيان أنه أما بعد ، لأن التكلم يفتتح كلامه فى كل أمر دعى  
شأن بذكر الله ونعمه ، فإذا أراد أن يخرج إلى الترضّ للموق إلى فصل  
بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد .

ومن التصل الذى هو أَحْسَنُ من الوصل لحظة هذا ، وهى علاقة وكيدة بين  
الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله تعالى : ( واذكر عبادا إبراهيم  
واسحق ويعقوب أولى الأياد والأبصار ، إنا أخذناهم بميثاقهم فذكروا ما  
وعدناهم من الأمان ، واذكر إسماعيل وإسحاق وذو الكفل وكل  
من الأنبياء ، هذا ذكرهم وإن الذين أحسنوا مآب ، جنات عدن مفتحة لهم  
الابواب (١) ) .

ألا ترى إلى ما ذكره قبل ( هذا ) ؟ ذكر مَنْ ذَكَرَ من الأنبياء عليهم  
السلام ، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال  
« هذا ذكر » ثم قال « وإن الذين أحسنوا مآب » ثم لما أتى ذكر أهل الجنة وأراد

أن يقبه بذكر أهل النار قال « هذا وإن لطافين لشرّ مآب » وذلك من فصل  
الخطاب الذي هو ألفت موقفا من التخلّص .

وقد وردت لفظة هذا في الشعر ، إلا أن ورودها فيه قليل بالنسبة إلى البهكلام .  
المثبور ، فن ذلك قول الشاعر المروفي بالخباز البليدي<sup>(١)</sup> في قصيدة أولها :  
« الدبش قضّ والزمان غرير » .

لاني ليمجني الزمان في سُررةٍ      وُبروق لي بالجارِ شريرةٍ زير<sup>(٢)</sup>  
وأكاد من قَرَحِ السرور إذا بدا      ضوء الصباح من الستور أطير  
وإذا رأيتُ الجوّ في رَفْضَةٍ      لفنّيم في جَنابها تكسر  
مفوضةٍ صَدَرَ البُرّةِ كأنه      فَيُورِجُ قَد زانه بلور  
فادت ب اللذات وَيَحْكُ فَاكْتَمَزُ      فَرَصَ المني يا أبها للفرود  
يُلْ ب لي إلى جُودِ السقاَةِ فإني      أغوى نَفَقَةَ الكأس حين سَجُور  
هذا وكم لي بالجنينة سَكْرَةٍ      أنا من بقايا شُرْبها غمور  
باسكرتها وقصوها مفزورةٌ      وللاء بين مُروّزها<sup>(٣)</sup> مدمور  
في رِقة : أناد والدديم وقتينةٌ      والكأسُ والزمارُ والأطنبور

(١) من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزائر التي تبعد عن تونس . اسمه أبو بكر محمد بن  
أحمد بن عدان . وكان أبيا ، وعمره كله ملحق وتحت وطرف ، ولا تفلو مضطومة له من  
مضى حسن أو مثل سائر ( بقيمة النحر ٢ / ٢٠٨ ) .

(٢) الجزائرية : شرب مع الصبح ، وهي أيضا الشعر . الزور : وترمن  
أوتار للعود .

(٣) المرز بالفتح الملبس الذي يهوى للواء ، فارسي معرب ( هاشم التاموس مادة  
مرز ) والمرز هم مرز ، يريد أن الأفسان متعابكة تهوى للواء . مفزورة : أسابها مطر  
هزير أو ماء كثير .



هذه الأبيات حسنة وخروجها من شفق هذا الرجل الخلباز عجب ، ولو  
احاطت في شعر أبي نواس ثرائف ديوانه .

والانقصاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى ، والتخلص بالنسبة إليه قطرة  
من بحر ، ولا يكاد يوجد التخلص في شعر الشاعر المجيد الاقليلا بالنسبة إلى  
للقنص من شعره .

فن الانقصاب قول أبي نواس في قصيدته الدونية التي أولها .

« يا كثير النوح في الدمين »

وهذه القصيدة هي عين شعره ، والملاحاة للحيون ، وهي تنزل منه منزلة  
الألف لامنزلة النون ، إلا أنه لم يُكْمَلْ حسناتها بالتخلص من النون إلى المدح ،  
بل انقضت اقتضاها ، فيها هو يصف الحجر ويقول :

فاسقيني كأساً على عذلك كرهت مسؤومته أذى  
من كسيت اللون صافية خير ما سلت في بدى  
ما استقرت في فؤاد فقى قد رى ما لوعة الحزن  
حتى قال .

تضحك الدنيا إلى مالك فام بالآثار والسنين  
سن للناس الندى فندوا فكان الهزل لم يكن<sup>(١)</sup>  
فأكثر مدائح أبي نواس مقتضبة هكذا ، والتخلص غير ممكن في كل  
الأحوال ، وهو من مستصعبات علم البيان .

ومن هذا الباب الذي نمن بصدده ذكره قول البحارى في قصيدته المشهورة  
بالجودة التي مدح بها الفصح بن خالان وذكر لقاء الأسد وقتله إياه ، وأولها

(١) الديوان ٤١٢ ومطلعا :

يا كثير النوح في الدمين لا عليها بل على الكن

« أجذك ما يفك يسرى زينا »

وهي من أسهل شعره ، ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من النزول إلى المدح ، فإنه يباهي فوق تنزهه وهو يقول :

هبتك إن منبت منبت موعدا جهاها وإن أبرقت خلبا  
وكنت أرى أن السدود الذي مفعى دلال فا إن كان إلا تبجها  
فوا أمقا حقام أمال مانا وآمن خوانا وأغيب مذكرها ؟

حتى قال في أثر ذلك :

أقول لك كبير متقنين تذكروا على عجل قطعا من الليل قمتا  
وكنوا نائل الفصح بن خالان إنه أعم لدى فيكم وأيسر مطلبها<sup>(١)</sup>

فخرج إلى المدح بنهر وصلة ولا سب .

وكذلك قوله في قصيدته المشهورة بلجودة التي مدح بها ابن خالان أيضا ، وذكر نجاحه عند انخفاف الجسرة وقد أغرب فيها كل الإغراب ، وأحسن كل الإحسان ، وأولها ( متى لاح برق بداطلل نقر ) :

فيباهي فوق غزلها حتى قال :

لمسك ما الدنيا بنا قصة البدي  
إذا بقى الفصح بين خالان والقطر<sup>(٢)</sup>  
فخرج إلى المدح مقصضا له متعلقا به ، وأمثال هذا في شعره كثير .

(١) الديوان ٥٥/١ وفي الديوان ( هبتك إن منبت ) و ( أغرب مطلبها ) .

(٢) الديوان ٢١٧/١ ومطلع القصيدة .

متى لاح برق أو بدا طلل نقر جرى مستهل الدم لا يكم ولا تزر

## النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني

ويقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول في المطابقة، وهذا النوع يسمى "البديع" أيضا ، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ ، لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا هو أن يكون للمعنيان ضدّين

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبهاض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب ، قال : المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصفة مختلفين في المعنى . وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه ، غير أن الأسماء لا مشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة .

ولننظر نحن في ذلك وهو أن نكتشف عن أصل المطابقة في وضع اللفظة ، وقد وجدنا الطباقي في اللفظة من طابق البعير في سوره إذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لاضدّها ، والموضع الذي يقفان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد ، قدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا عما سمي به ، وذلك مناسب وواقع في موقعه ، إلا أنه جعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ، ولا بأس به إلا إن كان متّنه بالضدين كالسواد والبياض ، فإنه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثل الذي مثله <sup>(١)</sup> .

(١) ذكر قدامة أن الناس يسمون من صفات الصغر الطباقي والمهاشي ، وهما داخلان في باب التلاف اللفظ والمعنى . ومنهما ما أن تكون في الصغر معان متفارقة قد اشتركت في اللفظة =

وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فأنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة لنهر اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مُسمَّاه ، هذا الظاهر لنا من هذا القول ، إلا أن يكونوا قد علموا لتلك مناسبة لطيفة لم نصلها نحن .

ولنرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته فنقول : الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة ، لأنه لا يخطر الحال فيه من وجهين ، إما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضده ، وليس لنا وجه ثالث ، فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فإنه ينقسم قسمين : أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى ، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ .

### ( المقابلة في اللفظ والمعنى )

أما المقابلة في اللفظ والمعنى فكقولهم تعالى « قَلِيلٌ مِّمَّا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَاتِلَةُ » وقابل بين الضحك والبكاء والتقليل والكثير . وكذلك قولهم تعالى « لَكِلَا نَاسٍ عَلَى مِثْلِ نَاسٍ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

---

واحدة واللفظ متجانسة معقفة . ثم عرف (المطابق) بأنه ما يفتقر في لفظه واحدة بينيهما ، وعرف (المجانس) بأن تكون اللفظ اشتراكيا في اللفظ متجانسة على جهة الاشتقاق ( قد انظر ٩٧ طبعة برل . ليند ) .

وقد سبق الأمدى ابن الأثير إلى هذه القسمة في تصريفه في المصطلحات ، قال الأمدى : وهذا باب — أصح المطابق — لقبه قسمة ( التماثل ) وسمى ضربا من المتجانس (المطابق) . وما علمت أن أحد فعل هذا غيره ... ولم أكن أحب له أن يخالف من قسمته مثل صيد الله ابن التمر وغيره من تكلم في هذه الأنواع وألف فيها ( للوازنة بين ابن تمام والبحري ١ / ٢٧٥ طبعة دار المعارف ) .

(١) التوبة ٨٢ .

(٢) الحديد ٢٣ .

ومن الحسن المطبوع الذي ليس بمحكف قول علي رضي الله عنه لثمان رضي الله عنه : « إن الحق ثقيل مرئي ، والباطل خفيف ورسى ، وأنت رجل إن صدقت سيخطت ، وإن كذبت رخصت » قابل الحق بالباطل ، والثقل المرئ بالخفيف الوبي ، والصدق بالكذب ، والسخط بالرضا ، وهذه خمس مقابلات في هذه البكليات القصار .

وكذلك ورد قوله رضي الله عنه : لما قال الخوارج لاحكمم إلا لله تعالى : « هذه كلمة حق أريد بها باطل » . وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضي الله عنه وقد أخضره بين يديه ليقفه ، فقال له ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير ؟ قال ، ما أنت شقي بن كسير . وقد كان الحجاج من القصاص المدودين ، وفي كلامه هذا مطابقة حسنة ، فإنه نقل الاسمين إلى ضدهما ، فقال في سعيد شقي وفي جبير كسير .

وهذا النوع من الكلام لم يختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات . وبما وجدته في لغة الفرس أنه لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره : « حَرَّ كُنَّا بِسُكُوهِ » .

وأول كتاب الفصول لأبقراط في الطب قوله : المرقصير والصناعة علوية وهذا الكتاب على لغة اليونان .

ومن كلامي في هذا الباب ما كتبه في صدر مكتوب إلى بعض الإخوان وهو : « صدر هذا الكتاب من قلب قيمير ، وجديد سائر ، وصغير ملهم ، وجيزع هذر ، وخاطر دعهشة لوحة الفراق فليس غ خاطر » .

وكذلك كتبت إلى بعض الإخوان أيضا قائمت : « صدر هذا الكتاب من قلب مأنوس بقلائه ، وطرف مستوحش لقرائه ، ربهذا روع يكابا إظلامه ، وهذا ممتع بهجة إشرائه ، غير أن لقاء القلوب لقاء حُبَّيت بمنله خواطر

الأفكار ، وتتأجج به وراء الأستار ، وذلك أخو الطيف الملم في المنام ، الذى يموت بقاء الأرواح على لقاء الأجسام .

ومن هذا النوع ما ذكرته فى كتاب أصف المسير من دمشق إلى الموصل من طريق المناظر فقلت فى جملة : « ثم زلت أرض الخابور ففرقت الأرواح وشرقت الجسوم ، وحصل الإعدام من المسار والإزال من المدموم ، وطالبتى النفس بالسود والهدنة مقلنة ، وأويت إلى ظل الآمال والآمال مشننة . »

ومن ذلك ما ذكرته فى جملة كتاب إلى بعض الإخوان وعرضت فيه بذكرة جماعة من أهل الأدب فقلت : « ومسنولون الأيسونى فى نادى فضلهم الذى هو منبع الآمال وملقط الآل ، فوجوه الفاظه مشرقة بأيدى الأفلام المنسودة ، وقلوب معانيه مستنيرة بنار الخواطر المتروقة ، والواغل إليه يشكر من خروته التى تنبه العقول من إغفائها ، ولا يشر بها أحد غير أكفائها » وهذه القصود المذكورة لاختفاء بما تضمنته من محاسن القافية .

ومما ورد من هذا النوع شراً قول جرير :

وأحور من قبهان أنا نهاره فاعمى وأنا آله فبصير<sup>(١)</sup>  
وكذلك ورد قول الفرزدق :

قبح الإله بنى كليب إنهم لا ينفذون ولا يفون لجار  
يدققون إلى نهبى حارم وتنام أعينهم عن الأوتار<sup>(٢)</sup>

فقال بين الندى والوفاء ، وبين التيقظ والنوم ، وفى البيت الأول معنى يسأل عنه .

(١) من قصيدته فى حياء أحور بيهان ( الديوان ٢٦٤ ) يريد أنه فى النهار أعمى من الحشرات ، وفى الليل يصير بالسيئات .

(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٤٤٨ فى حياءه لجرير من قصيدة مملوها :  
يا بنى للرافة إنما جارىنى بمسكين لى القتال قصار  
وكان بالأصل ( بجار ) .

وكذلك ورد قول بعضهم :

فلا الجودُ يُنْفِي لِلَّالِ وَالْجُدُّ مُقْبِلٌ      ولا البخلُ يُبْقِي لِلَّالِ وَالْجُدُّ مُذِيرٌ  
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع ،  
فن إحصائه قوله :

ما إن ترى الأحسابَ بيضاً وُضْعَا      إلا بمحِثٍ تَرَى لِلنَّايَا سودا  
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضاً :

شَرَفٌ عَلَى أَوَّلَى الزَّمَانِ وَإِنَّا      خَلَقُ الْمَنَاسِبِ أَنْ يَكُونَ جَدِيداً<sup>(١)</sup>  
وعلى هذا النهج ورد قوله :

إذا كانت الثَّمَنِي سَلُوباً من امرئ      خلت من خلجتي كنهه وهي مُنْبِيعُ  
وإن عَزَّتْ سودُ الليالي وبيضا      بوَحْدَتِهِ أَلَمِيَّتِهَا وهي تَجْتَمِعُ  
ويوم يظلُّ المرءُ يُحْفَظُ وَرَثَتَهُ      بِمُزْرِ التَّوَلَّى وَالنَّفُوسُ تُضَيِّعُ  
بِصَيْفٍ مِنَ الْهَيْجَا وَمِنْ جَائِمٍ الْوَقَى      وَلَكِنَّهُ مِنْ وَابِلِ الْهَمِّ مَرَّعٍ<sup>(٢)</sup>  
ومن هذا الأسلوب قوله أيضاً :

تُقَرِّبُ الشُّفَّةَ الصُّوَى إِذَا أَخَذَتْ      سِلَاحَهَا وَهُوَ الْإِرْقَالُ وَالرَّمْلُ  
إِذَا تَغَالَمَتْ مِنْ أَرْضٍ فَصَلَتْ بِهَا      كَانَتْ هِيَ الرِّزُّ إِلَّا أَنَهَا ذُلُّ

(١) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الغساني ، ومطالعها ،

طلال الجحيم لقد علوت حيدا      وكفى على رزئي بذلك دهيذا

(الديوان ١/٤١٠) كان في الأصل (سوف) بدلا من شرف ، ويريد أن ما كان حديثا جديدا كان خلقا لا يفكر فيه

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري (الديوان ٢/٣١٧) كان

في الأصل (وهو تبع) و (هيجاء) و (حاجم) ، السلوب : التي سلب منها ولدها . التبع التي يلعبها ولدها . خليجي كفه المراد الكف الواحدة . يقول : إذا كانت التهمة من منعم واحدة فإن نعمة هذا المدح يلعبها غيرها من التعم . مصيف من الهيجا : هذا اليوم صيف من حر الحرب . مريع : مجتمِع .

الْمَرْمِيَاتُكَ مَا أُرْتَعَتْ آقَتَهَا وَالْمَالِيَاتُكَ وَهِيَ الشُّرُكُ الْفُضَّلُ<sup>(١)</sup>

وعلى هذا النحو ورد قوله :

وفاخرة الصبا حين استبكرت طلاع الرط والذرع اليدى

تمسكى الأين من نصف مريع إذا قامت ومن نصف بعل<sup>(٢)</sup>

وقد جاء لأب نواس ذلك قال :

ألقى قد تدرت على القنوب والإقرار عذت من الجحود

أنا استهديت عفوك من قريب كما استعفيت سخطك من بعيد<sup>(٣)</sup>

فقابل بين الأضداد من الجحود والإقرار والنفو والسخط والقرب والبعد .

وعلى نحو من ذلك ورد قول على بن جبلة فى أبى دلف الجبلى<sup>(٤)</sup> وهو :

أبى التميمير ونكاح الأيم يومك يوم أبوس وأنهم

وجمع تجدي وندى مقسم

وكذلك قوله أيضا :

هو الأمل لليسوط والأجل الذى بُير على أيامه الدهر أو يَحْشَأُو

(١) من مقطوعة يصف فيها عدة البرد بخراسان ويصف الإبل (الدروان ٣٦٠) والبيت الأخير بالدروان قبل الأول . والذى بالدروان (وهى الرعد والفضل) والإرقال والرميل ضربان من السج . ذلل : مطيعة متفاعة .

(٢) من قصيدته فى مدح الحسن بن وهب (الدروان ٣ / ٣٥٩) .

استبكرت : تم شبها . طلاع الرط : ملأه بهج مرط المرأة .

اليدى : الواسم ، ويروى باليدى بالياء وهو اليديم الجيب .

نصف سريم : يريد ضميرها الرقيق . نصف بعل : يريد ردها الثقيل

(٣) الدروان ٤٠٣ وليس البيت الثانى به ، وبعد البيت الأول :

وإن نصف لإحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

(٤) يعرف على بن جبلة بالسكوك ، كان مداحا مجيدا ووصافا بارعا ، وكان غزيراء ،

مدح للأموه وحيد بن عبد الحميد الطوسى وأكثر من مدح أبى دلف وأجاد ومدح غير هؤلاء (طبقات الشعراء لابن المتر ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٥٠ وتاريخ بغداد ٣٥٩/١١) وشذرات الذهب ٣٠/٢ .



ولا تحسن الأيام تفضلُ فيه وإن كان في نصريها التفضل والتفضل  
فيس واحدًا أنا الشراء فوسم مُباح وأما الجار فهو يحيى يسئل  
وبما جاء من هذا القسم قول البحري :

أحسن الله في ثوابك عن قنسر مضاع أحسن في البلاء  
كان مستضعفاً قنرٌ وغرو ما فأجدي ومُظلماً فاضاً<sup>(١)</sup>  
ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله :

أشكو إليك أنايلاً ما تنطوي بخلًا وإملاً تُقصُّها اليد  
أرضيمُ قولاً ولا يرؤوني فضلاً وتك قضية لا تُقصِّد  
فأدُم منهم ما يَدُم ورءسا صاعتهُم فعيدتُ مالا يُحمد<sup>(٢)</sup>  
وعلى هذا التهج ورد قوله :

وتوقفي منك الإمامة جاهدًا والسيد أن أتوقع الإحسانا  
وكنا بمرتك لين مته راضيا فكذلك فأنش غشوني غشيانا<sup>(٣)</sup>  
وأما أبو الطيب اللثبي فإنه استعمل هذا النوع قليلا في شعره ، فن ذلك  
قوله :

يُقال إذا لاقرأ خفاف إذا دُهِوا كثر إذا شدة وأقليل إذا هدوا<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ( الديوان ٢/١ ) .  
(٢) من قصيدته في مدح أبي أيوب بن أخت أبي الوزير الديوان ( ١٢٦/١ ) والنس  
بالديوان ( ما تنطوي يسا ) والضمير في أرضيم مائد على الناس في قوله :  
الناس حولك روضة ما ترقى ربا الثبات ومنهل ما يورد  
(٣) من قصيدته في خطاب أبي العباسي بن بطلم الديوان ( ٢٢٩/٢ ) .  
(٤) من قصيدته في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي ، التي مطلعها : =

وكذلك قوله :

إلى ربِّ مالٍ كما شئتَ شئتُ      نجمع في شئتيه لَمُلا شَمْلُ (١)

ومما استشهد به قوله في هذا الباب :

كان سُهَادَ الليلِ يَمْشِقُ مُقَاتِي      فبينهما في كلِّ هَجَرٍ لنا وصل (٢)

ومما جاء من هذا الباب :

لما احتفنا لوداعٍ وأغرَبَتْ      هَبْرَاتُنَا عَنَّا بدمعٍ ناطقٍ

فَرَمَقَتْ بَيْنَ مَسَاجِرٍ وَتَحَاكِرٍ      وَجَمَعْنَ بَيْنَ بَنَفْسَجٍ وَشَقَاتِي (٣)

وهذا محته معنى يسأل عنه غير للقبالة ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخذ المرأة ، لأن من المادة أن يشبه العارض بالبنفسج . وهذا قول غير سائغ ، لأن العارض إذا يشبه بالبنفسج عند أول ظهوره ، فإذا طرأ وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شُبَّه بالبنفسج ، لأنه يكون بين الأخضر والأسود ، وليس في الشعر ما يدل على أن نلَوْدَع كان شابا قد طرأ عارضه ، والذى يقتضيه المعنى أن المرأة قامت لوداع فزقت خمارها ، ولطمت

== أكل ضال به أكثره يجد      وهذا الجملية فلتأم لم أكل جد  
الديوان ١٠٨/٢ ) قال : قلت للمصنف في البيت السابق له ، يريد أنهم قال الوداع  
على . المدح . خلف : سريو الإجابة لتجدة . كثير إذا شعروا دلالة على أن الواحد منهم بسد  
سدد الجماعة .

(١) من قصيدته في مدح هجاء بن محمد الطائي اللبكي ، التي مطلعها :  
عزيز أسي من دأؤه المنقذ النجل      عياه به مات المحبون من قبل  
(الديوان ٣٧٠/٣ ) هت : تفرق . الفصل : الاجتماع ، أي كلما تفرق شمل ماله  
اجتمعت ماله .

(٢) من القصيدة نفسها .

(٣) المساجر : جمع معجر على وزن منبر توبر به المرأة .

المساجر : جمع معجر على وزن مجلس وهو قمين .

حدها ، فجمعت بين أثر العلم ، وهو شيه بالهتسج ، وبين لون الخلد وهو شيه  
الشقائق ، وقرنت بين خاوها وبين وجهها بالتمزيق ولها وموجدة على الوداع ،  
هذا هو معنى البيت لا مذهب إليه هذا الرجل .

[المقابلة في المعنى ووجه اللفظ] :

وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فمما جاء منه قول المتنعي الكندي  
من شعراء الحامسة :

لم جُلِّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قلَّ مالى لم أكلُّنهمُ وفداً<sup>(١)</sup>  
فتتبع لى غنى معنى قوله كثر مالى ، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من  
جهة اللفظ ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هى فى المفردات من الألفاظ نحو قام  
وقعد وحل وعقد وقل وكثر ، فإن القيام ضد القعود ، والحل ضد العقد ، والقليل  
ضد الكثير ، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابله باللفظ متركب كان  
ذلك مقابلة معنوية لا لفظية ، فاعرف ذلك .

[مقابلة الشئ بما ليس بضمه] :

وأما مقابلة الشئ بما ليس بضمه فعلى ضربين : أحدهما ألا يكون مثلاً  
والآخر أن يكون مثلاً ، فالضرب الأول يفرع إلى فرعين :  
الأول : ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب ، كقول قزوين  
ابن أبين :

---

(١) اسم الشاعر محمد بن ظفر بن ميم . من شعراء الدولة الأموية وكان فيما قالوا  
جيلاً مفرق الوجه ، فكان يستوجهه لجماله ، فسمى المتنعي . وهذا البيت من أبيات اختارها  
أبو تمام فى الحماسة ، أولها .

يساهي فى الدين قوسى ولما دوى فى أحياء تكسبهم<sup>٢</sup>  
( شرح ديوان الحماسة للرزوقي ١١٧٨/٣ .

يَتَجَزَّوْنَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَادَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا<sup>(١)</sup>  
 فَمَقَابِلُ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَلَيْسَ ضِدًّا لَهَا ، وَإِنَّا هُوَ ضِدُّ الْعَدْلِ ، لِأَنَّهُ  
 لَمَّا كَانَتِ الْمَغْفِرَةُ قَرِيبَةً مِنَ الْعَدْلِ حَسُنَتِ الْمَقَابِلُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ ، وَعَلَى هَذَا  
 جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَشِدُّ أَوْ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ »<sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ لَيْسَتْ ضِدُّ  
 الشَّدَةِ ، وَإِنَّا ضِدُّ الشَّدَةِ الْإِنِّ ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ مَسَبِّبَاتِ الْإِنِّ  
 حَسُنَتِ الْمَقَابِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الشَّدَةِ .

وَكَذَلِكَ رَدُّ قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ »  
 يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ<sup>(٣)</sup> . فَإِنَّ الْمَصِيبَةَ سَيِّئَةٌ ، لِأَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ سَيِّئَةٌ  
 وَلَيْسَ كُلُّ سَيِّئَةٍ مُصِيبَةٍ ، فَالْمَقَابِلُ هَا هُنَا مِنْ جِهَةِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ .

النوع الثاني : مَا كَانَ بَيْنَ الْمَقَابِلِ وَالْمَقَابِلِ بِهِ بُدْءٌ ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ  
 كَقَوْلِ أُمِّ الدُّعَيْنِ وَهُوَ سَمْدٌ قُرْطٌ وَقَدْ زَوَّجَ امْرَأَةً كَانَتْ تَهْتِكُهَا فَقَالَتْ مَنْ  
 آيَاتٍ تَذَمُّهَا فِيهَا :

تَرَبَّعْنَ بِهَا الْأَيَّامَ حُلَّ سُرُوفِهَا سَقَمَى بِهَا فِي بِلَاحِمٍ مُتَسَمَّرٍ  
 فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ مَنَّا إِلَهُهُ بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِعَةِ الْحِرِّ<sup>(٤)</sup>

(١) مِنْ آيَاتِ فِي الْحَلَسَةِ ، يَمْرُقُ فِيهَا قَوْلُهُ عَلَى تَطْلِيلِهِمْ مِنْ نَصْرَتِهِ ، أَوْ لَمَّا :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَصْبِحْ إِلَى بَنِي الْقَيْطَةِ مِنْ دَعَلِ بْنِ شَيْبَانَ

(٢) مَرْحُ الْحَلَسَةِ لِلرُّزْوَاقِ ٢٧/١ وَالتَّبَرِزِيِّ .

(٣) الْقَتْمِ ٢٩ .

(٤) التَّوْبَةِ ٥٠ .

(٥) فِي الْأَسْلِ أُمُّ الْهَنْفِ ، وَابْنُ قُرْطٍ ، لَكِنْ أَدَّى فِي مَرْحِ الْحَلَسَةِ لِلتَّبَرِزِيِّ ٣٠٧/١ :

وَلِي مَرْحُهَا لِلرُّزْوَاقِ ١٨٦٧/٤ هُوَ مَا أَهْتَأَهُ .

قولها بمذومة الأخلاق واسعة الحرمن المقابلة البعيدة ، بل الأولى أن كانت قالت بضيقة الأخلاق واسعة الحر ، حتى تصح المقابلة ، وهذا مما يدل على أن العربي غير مهتد إلى استكمال ذلك بصلته ، وإنما يحىء له منه ما يحىء بهطيمه لا بكلفه ، وإذا أخطأ فإنه لا يعلم ولا يشعر به ، والدليل على ذلك أنه لو أبدلت لفظة مذومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة ، وإنما يُقَدَّرُ من يُنْذَرُ في ترك المقابلة في مثل هذا المقام إذا كان الوزن لا يواتيه . .

وأما المحدثون من الشعراء فإيهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه ، لا جرّهم أنهم أشدُّ ملامة من العرب .

فمن ذلك قول أبي الطيب التّنبّي :

لَسَنَ تَطْلُبُ الدِّهْنَ إِذَا لَمْ تُرَدِّهَا سِرْوَرٌ مَحَبٍّ أَوْ إِسَادَةٌ مَجْرَمٍ (١)

فإن اللّناية الصحيحة بين المسحب والمبغض لا بين المحب والمجرم ، وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها ، وإنما هي بعيدة ، فإنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضالك .

[المواخاة بين العائى .]

ومما يتصل بهذا الغريب ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين العائى وللواخاة بين المباءى ، وكان ينبغي أن نقصد له بالامفردا ، لكننا لما رأينا أنه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به .

(١) هذه هي رواية الديوان ( ٣٤٣/٤ ) وفي الأصل يطلب ويرد وساءة . والبيت من قصيدة في مدح كالدور .

أما الملاحظة بين اللغتين فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لا مع الأجنبي ،  
مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرّنه بما يقرب منه ويلتزم به ، فإن  
ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة ، وإن كان جائزا .  
فمن ذلك قول السكيت :

أم هل طمان باللياء رافعة وإن تكامل فيها الدل والشنب<sup>(١)</sup>

فإن الدل يذكر مع التفتح وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللبس وما  
أشبهه ، وهذا موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا ، وهو مغلط الغلط ،  
لأنه يحتاج إلى ثاقب فكرة وحذق ، بحيث توضع اللغتين مع أخواتها لا مع  
الأجنبي منها .

وقرأت في كتاب الألفاني لأبي الفرج أنه اجتمع نصيب والسكيت وذو الرمة  
فأنشد السكيت « أم هل طمان » البيت ، فمقد نصيب واحدة ، فقال له  
السكيت : ماذا تعني ؟ قال خطأك ، فإنك تعادلت في القول ، أين الدل  
من الشنب ؟ ألا قلت كال ذوالرمة :

لغاه في شفتيها حوّة ، لَمَسَ وفي أثنائه وفي أيلها شنب<sup>(٢)</sup>

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الهيك :

له اعتدال وانكساب قد وجلده يشبه ونقى الجود

(٢) ليس البيت بلعاشيات . الغيب : ماء ورقة وعذوبة ويرد في الأسنان .

(١) الألفاني ١/١٣٤ مع بعض تغيير . الشنب : ماء ورقة وعذوبة ويرد في الأسنان .  
ليساء : سمراء الففة . الحوة : حرة مشوية بسواد . اللس : سواد يستحسن  
في الفلة .

كانها الرَّدَابُ في القِرْدِ مُخَدَّوْدُبُ الظَّهْرِ كَرِيمُ الْبَدَنِ<sup>(١)</sup>  
 فإنه ذكر الظَّهْر وقرنه بذكر الجَدَةِ ، وهذا لا يناسب هذا ، لأن الظَّهْر من  
 جِلْدِ الْخَلْقِ ، والجَدَةُ من النِّسْبِ ، وكان ينبغي أن يذكر مع الظَّهْر ما يقرب منه  
 ويواخيه .

وكذلك أخطأ أبو نواس في قوله أيضاً :

وَقَدْ حَلَقْتُ . بَيْنَا مَبْرُورَةً لَا تُكَذِّبُ  
 رَبُّ زَمْزَمَ وَالْحَوَّضِ وَالصَّافِ وَالْمَحْصَبِ<sup>(٢)</sup>

إن ذكر الحَوْضِ مع زَمْزَمَ والصَّافِ والمَحْصَبِ غير مناسب ، وإنما يذكر  
 الحَوْضِ مع الصَّرَاطِ والمِيزَانِ وما جرى مجراهما ، وأما زَمْزَمَ والصَّافِ والمَحْصَبِ فيذكر  
 معها الرِّكْنُ والحَطِيمُ وما جرى مجراهما .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله أيضاً :

أَحْسَنُ مِنْ مَنْزِلِ بَنِي قَارِ مَنْزِلُ خَمَارَةٍ وَخَمَارِ  
 وَشَمِ رَجَائِيهِ وَرَجِيئِهِ أَحْسَنُ مِنْ أَيْتُكَ بِأَكْوَارِ<sup>(٣)</sup>  
 فالبيت الثاني لامقارنة بين صدره وجعزه ، وأين شم الرِّيحَانِ مِنَ الْإَيْتِ

(١) في الديوان تحقيق النزال (٦٤٥) مقطوعة في وصف ديك هندي وأولها :  
 أَمْتُ دَيْكَا مِنْ دَيْكِ الْمُنْدِ كَرِيمِ هَمٍ وَكَرِيمِ جَسَدِ  
 وَلَيْسَ بِهَازِلِ الْبَيَانِ . لَكُنْهُمَا فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَسِيْمَةٍ فِي وَصْفِ دَيْكِ (الطَّبْعَةُ السُّومِيَّةُ)  
 (٢) من مقطوعة مطلعها :  
 حِجْدَانُ مَالِكٍ تَلْضُبُ عِلَّ فِي غَيْرِ مَنْضَبِ

(الديوان ٧٢٤) .

(٣) اللطام في الديوان (١٦٠) :  
 أَحْسَنُ مِنْ مَنْزِلِ بَنِي قَارِ مَنْزِلُ خَمَارَةٍ بِالْأَبَارِ  
 الْأَكْوَارِ : جمع كَوْرٍ وهو الرجل .

بالأكوار ؟ وكان ينبغي له أن يقول ثم الرمان أحسن من ثم الشيع والتيصوم ،  
وركوب الثقبان الرود أحسن من ركوب الأبنق بالأكوار ، وكل هذا  
لا يعطن موضعه في مواضعه في كل الأوقات . وقد كان يخلط على السهم في بعض  
الأحوال حتى أسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ، ثم إلى  
كنت أتأمل ماضته بعد حين فأصلح ماسهوت عنه .

### [ المواجهة بين المعاني ]

وأما المواجهة بين المعاني فإنه يتعلق بمعاني الألفاظ .

فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح :

مُتَقَفَاتُ سَلَبِ الرُّبِّ سُمِّتَتْهَا <sup>(١)</sup> وَالرُّومُ زُرْقَتَهَا وَالْعَاشِقُ الْقَضَا  
وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد ، غير أن فيه نظرا ، وهو قوله الرب  
والرؤم ، ثم قال العاشق ، ولوصح أن يقول العاشق لكان أحسن ، إذ كانت  
الأوصاف تجري على (سبح) واحد ، وكذلك قوله سميتها زرقتها ، ثم قال القضا ،  
وكان ينبغي أن يقول قضاها أو وقها .

وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد :

تَفَضَّتْ بِكَ الْأَخْلَاسُ نَفْسَ إِيَّايَ وَاسْتَرْجَعَتْ زُاعِمَا الْأَمْصَارِ  
فَذَقَبْتُ كَمَا ذَقَبْتُ حَوَادِي مُزْنَةٍ يُثْقِلُ عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ <sup>(٢)</sup>

(١) البيت من قصيدة في مدح أبي خلف التميمي بن عيسى الجبل ( الديوان ٣/٣٥٩ )  
ولمعه في الديوان :

مُتَقَفَاتُ سَلَبِ الرُّومِ زُرْقَتَهَا وَالرَّبِّ سَمِّتَتْهَا وَالْعَاشِقُ الْقَضَا  
مُتَقَفَاتُ مَقَامَاتِ . القضا : الضميمة والضمير ، يقول إنها مقومات معدلات ، سمر  
كالرب ، زرق الأسنة كالرؤم ضامرة كالعاشق .

(٢) من رثائه ليزيد بن يزيد ، والبيان في الديوان ٣٩٣ : ===



والأحسن أن يقال السهل والوعر ، أو السهول والأوعار ، ليسكون البناء  
اللفظي واحداً ، أي أن يكون اللفظان واردین علی صیغه الجمع أو الإفراد ، ولا يكون  
أحدهما مجزئاً ، والآخر مفرداً :

وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر :

صَنَرَاهُ يَجِدُهَا مَرَارٍ بِهَا جَاءَتْ عَنِ النَّظَرِ وَالنَّثِيلِ<sup>(١)</sup>

فجمع وأُردف معنى واحد ، وهو أنه قل النظراء مجزئاً ، ثم قل المثل مفرداً .  
وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل ، أو النظراء والأمثال .

وعلى ذلك ورد قوله أيضاً ، والإنكار هوجه فيه أكثر من الأول ، وهو :

أَلَا يَا بَنِي الْإِنِّ فَنُوا فَنَاوَا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لِقَبِيٍّ  
وَمَا لَكَ فاعْلَنْ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكَلْتَ آجَالًا وَرَزَقًا<sup>(٢)</sup>

وموضع الإنكار هاهنا أنه قال آجالاً ورزقاً ، وكان ينبغي أن يقول أرزاقاً  
أو أن يقول أجلاً ورزقاً ، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الأجل فقال آجالاً ، والإنسان  
ليس له إلا أجل واحد ، ولو قال أجلاً وأرزاقاً ، لمصعب ، لأن الأجل واحد  
والأرزاق كثيرة ، لاختلاف ضروبها وأجناسها .

== تلفظ بك الأمال أحلاس التي واسترجعت نزامها الأعماس  
فأذهب كما ذهبت هودى مزة أنني عليها السهل والأوعار  
الأحلاس : هم جلس وهو الذي يوضع تحت الرجل  
(١) من قصيدته التي مطلعها :

كَانَ الْقَبَابُ مَطِيَّةَ الْجِبَلِ وَعَسْنُ الضَّعَكَاتِ وَالْمُزَلِ  
(الديوان ٤٧) للرازب وللرازية هم مرزبان وهو أحد الحكام والقواد الفرس  
(٢) رواية الديوان ٩٨ (الطبعة السوية)

أَلَا يَا بَنِي الْإِنِّ فَنُوا وَيَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا يَادُوا لِقَبِيٍّ  
وَمَا لَكَ فاعْلَنْ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكَلْتَ آجَالًا وَرَزَقًا

وإذا ألقينا في هذا الموضع وجدنا الناس مطالباً به دون العاظم، إسكان إمكانه من التصرف . وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجباً في الاستعمال ، وأنه لا يحسن المحمد عنه ، حتى سرّ بي في القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى في سورة النحل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ ظِلَّاهُ مِنْ الْيَمِينِ وَمِنْ الشَّمَالِ ﴾ (١) . ولو كان الأحسن لزوم البناء العقلي على سنن واحد يلجع اليمن كما جمع الشمال ، أو أفرد الشمال كما أفرد اليمن .

وكذلك ورد قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَبَّحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتُغْمِصُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٢) فجعل القلوب والأبصار وأفرد السمع .

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ تَتْمِيمُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُودُهُمْ ﴾ (٣) فذكر السمع بلفظ الأفراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع .

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ، ولو كان هذا معتبراً في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام ، والأخذ في مقام النصيحة والبلاغة إنما يكون منه والمول عليه .

وينبغي أن يقلل على هذا قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكَ مَكَانًا مِصْرَ يَبُورًا وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ قِبْلَةً وَبِشْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

(١) النحل ٤٨ .

(٢) النحل ١٠٨ .

(٣) فصلت ٢٠ .

(٤) يونس ٨٧ .

وربما قيل إن هذه الآية اشعلت على ثنية وجمع وإفراد ، وظن أنها من هذا الباب ، وليس كذلك لأنها مشتملة على خطاب موسى وهارون عليهما السلام أولاً ، في اتخاذ الساجد لقومهما ، ثم تثنى الخطاب لهما ولقومهما جميعاً ، ثم أفرد موسى عليه السلام بشارة المؤمنين ، لأنه صاحب الرسالة .

[مقابلة الشيء بمثله]

الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يفرع إلى فرعين : أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد ، والآخر مقابلة الجملة بالجملة .

النوع الأول كقوله تعالى « نسوا الله فسيهم »<sup>(١)</sup> وكقوله تعالى « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً »<sup>(٢)</sup> وقد روى هذا الموضوع في القرآن الكريم كثيراً ، فإذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلاً ، كقوله تعالى « من كفر فليحذر كفره »<sup>(٣)</sup> وكقوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »<sup>(٤)</sup> ، وهذا هو الأحسن ، وإلا فلوقيل من كفر فليحذر ذنبه ، كان ذلك جائزاً . لكن الأحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى ، وعليه مدار الاستعمال .

وهذا الحكم يجرى في النظم والنثر من الأسجاع والآليات الشعرية ، فأما إن كان ذلك غير جواب ، فإنه لا يلتزم فيه هذه المراجعة الفظية . ألا ترى أنه قد قبلت الكلمة بكلمة هي في معناها وإن تكن مساوية لها في اللفظ ، وهذا يقع في الألفاظ المترادفة ، ولقد يستعمل ذلك في الوضع الذي ترد فيه الكلمة غير جواب .

(١) التوبة ٦٧

(٢) النمل ٥٠

(٣) الروم ٤٤

(٤) الشورى ٤٠

فما جاء منه قوله تعالى تعالى : « وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ أَهْلُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ »<sup>(١)</sup> ولو كان لا تورد الكلمة إلا يثلاً لقبيل وهو أعلم بما تعلمون .

وكذلك قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخضم إذ تموروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا تخف ، خضمان ، بنسى بعضنا على بعض »<sup>(٢)</sup> فقال لا تخف بعد قوله ففزع ، ولما كان هذا في معنى هذا قول أحدهما بالآخر ، ولم يقابل اللفظ بنفسه .

وكذلك جاء قوله تعالى : « لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أي الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون »<sup>(٣)</sup> فذكر الاستهزاء الذي هو في معنى الخوض واللعب ، وقابل به الخوض واللعب ، ولو ذكره على حد المماثلة وللإسوة قال : أي الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون ..

فإن قيل إنك قد احتجبت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ، ونرى قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها »<sup>(٤)</sup> ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلاً ، فالجواب على ذلك أني أقول أردت أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ، ولكذلك شديده ، والذي ذكرته هو

(١) الزمر ٧٠

(٢) ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) التوبة ٦٥ .

(٤) يونس ٧٧

دليل لي لاك ، ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى « جزاء سيئة بمثلها » وبين قوله « جزاء سيئة سيئة مثليها » ، إذا المعنى واحد لا يختلف ، ولو جاء موصفاً عن السيئة لفظاً أخرى في معناها كالأذى والسوء أو ما جرى مجراها لصح لك ما ذهبت إليه .

وقد ذهب بعض المصنفين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وإن لم يكن جواباً كالذي تقدم ، فينبى أن تُعادَ بينها في آخره ، ومتى مُدُل عن ذلك كان مبيهاً ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب للنتهى ، فقال إن أبا تمام أخطأ في قوله :

بَسَطَ الرَّجَاءَ لَنَا بِرَحِيمِ نَوَاسِرٍ كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الْأَمَالِ (١)  
غيث ذكر الرجاء في صدر البيت فكان ينبى أن يسد ذكره أيضاً في عجزه ، أو كان ذكر الأمال في صدر البيت وعجزه .  
وكذلك أخطأ أبو الطيب الغنى في قوله :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَالْهَيْبُ خَيْرُ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ سَرَّهَتْ غُرُورُ (٢)  
لأنه قال إنى لأعلم والهييب خير ، وكان ينبى أن يقول إنى لأعلم والهييب ملين ، ليكون ذلك تقابلاً صحيحاً .

وهذا الذى ذكره هذا الرجل ليس بشيء ، بل للمعبد عليه في هذا الباب أنه

(١) من قصيدة في مدح الحسن بن رجا ، مغلها :  
كلنى وذاك لائى لله على ليست هواى عزقى جوالى  
(الدريوان ٧٦/٣)  
(٢) من وثائق محمد بن إسحاق التتوخى (الدريوان ٧٧٨/٧)

إذا كانت القطة في معنى أختها جاز استعمالها في المقابلة بينهما ، والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن الكريم ، وكفى به دليلاً ، وهذه الرموز التي هي أسرار الكلام لَا يَقْتَضِيَنَّ لَا سَتَعْمَالُهَا إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إما قتيه في علم البيان قد مارسه ، وإما مَشَقُّونَ اللسان في الفصاحة قد خَلَقَ طارفاً بلطائفها ، مستفنياً عن مطالعة صحائفها ، وهذا لا يكون إلا عربي القطرة يقول ما يقوله طبعاً ، على أنه لَا يُسَدِّدُ في جميع أقواله ، ما لم تكن معرفته النظرية ممزوجةً بمعرفة الترفية .

الفرع الثاني في معابرة الحمد بالحمد :

أَعْلَمُ أنه إذا كانت الجملة من الكلام مُسْتَقْبَلَةً قُوبِلَتْ بِمُسْتَقْبَلَةٍ ، وإن كانت ماضية قُوبِلَتْ بِماضية ، وربما قُوبِلَتْ لِلماضية بِالمُسْتَقْبَلَةِ ، ولِلْمُسْتَقْبَلَةِ بِالماضية ، إذا كانت إحداها في معنى الأخرى .

فمن ذلك قوله تعالى : « قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّا أَضِلُّهُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ لَبِئْسَ الْيُوسُفَى إِلَى رَبِّي »<sup>(١)</sup> فإن هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديت فَإِنَّا اهتدي لها .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضارٌّ لها فهو بسببها ومنها ، لأنها الأداة بالسوء ، وكل ما هو لها مما يرضيها ، فبداية رجا وتوفيقه إياها ، وهذا حُكْمٌ عام لكل مكلف ، وإِنَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أن يَسُدَّ ذلك إلى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل نَحْته مع علوّ تحته وسداد طريقته كان غيره أولى به .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَلَهَبًا مَّهِيمًا »<sup>(٢)</sup> فإنه لم يراعِ التقابل في قوله « ليسكنوا فيه ومهيمرا » ، لأن

(١) سورة صبا ٥٠ .

(٢) سورة النمل ٨٦ .

«فليس يُقضى أن يكون» والنهار يُبصر في «وإنما هو مرادى من جهة الحق لا من جهة القظ» وهذا العظم المعلوم غير المكلف، لأن معنى قوله مبصرا فهو مرادى فيه طرقت القلب في الخبايا.

واعلم أن في تقابل الماني بابا صيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر، وهو مختص بالقواصل من الكلام المنثور وبالأجواز من الأبيات الشعرية.

فما جاء من ذلك قوله تعالى في ذم المنافقين: «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» ألا إنهم م المفسدون ولكن لا يشعرون<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: «وإذا قيل لهم: آتوا كما آمن الناس قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء» ألا إنهم م السفهاء ولكن لا يتلون<sup>(٢)</sup>.

ألا ترى كيف فصل الآية الأخرى بملون، والآية التي قبلها يشعرون. وإنما فصل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل، يحتاج إلى نظر واستدلال، حتى يكسب الناظر العلم والعرفة بذلك، وأما التفات وما فيه من البني المؤقت إلى الفتنة والفساد في الأرض فامر دنيوي مبنى على الماديات، معلوم عند الناس، خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتداول، فهو كالمحسوس عندهم، فلذلك قال فيه «يشعرون»، وأيضا فإنه لما ذكر السفة في الآية الأخيرة وهو جهل، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا، فقال «لا يملون».

وآيات القرآن جميعها فُصِّلَتْ هكذا، كنوله تعالى: «الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير<sup>(٣)</sup>». وكنوله تعالى:

(١) سورة البقرة ١١ - ١٢

(٢) سورة البقرة ١٣

(٣) سورة المجمع ٦٢

« ما في السموات وما في الأرض وإن الله له الوثقى الحميد »<sup>(١)</sup> . وكقوله : « وأمر الله سَخَّرَ لَكُمْ ما في الأرض واثقلَ تجرياً في البحر بأمره ، وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم »<sup>(٢)</sup> .

فإنه إما فصّلت الآية الأولى بلطف خير ، لأن ذلك في موضع الرحمة خلفه بإزالة التمثيل وغيره . وأما الآية الثانية فإنما فصلت ببنى حميد ، لأنه قال : « له ما في السموات وما في الأرض » لا لحجة ، بل هو قبيح عنها جواد بها ، لأنه ليس كل شيء نافعا لمنه ، إلا إذا كان جواداً شئصفاً ، وإذا جادوا أنفسهم هذه المنعم عليه واستحق عليه الحمد ، فذكر الحميد ليدل على أنه الغنى الفاعل بفناء شئله .

وأما الآية الثالثة فإنها فصلت برؤوف رحيم ، لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر بهم ، وتسييرهم في ذلك المول العظيم ، وتخليق السماء فوقهم ، وإسكانها عن الوقوع ، حسن أن يفصل ذلك بقوله رؤوف رحيم ، أي أن هذا الفصل فل رؤوف بكم رحيم لكم .

واعلم أيها القائل لكتابنا هذا أنه قلنا توجد هذه الملائمة والمناسبة في كلامنا العظيم أو ناظر .

ومن الآيات ما تشكّل فاصلة فحتاج إلى فكرة وتأمل ، كقوله تعالى :  
« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنهم فشهدوا أهدم أربع شهادات بالله لمن الصادقين ، والخامسة أن لمة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدبر عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم »<sup>(٣)</sup> .



فإنه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ، وظن الظان أن هذا كذلك ، ويقول إن التوبة مع الرحمة لأمم الحكمة ، وليس كما يظن ، بل الفاصلة بتواب حكيم أو كى من تواب رحيم ، لأن الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التي أمر بها ، وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده ، وذلك حكمة منه ، فقصص الآيات الواردة في آخر الآيات بتواب حكيم ، فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب العصية وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة .

وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه نقما ولا أعظم فائدة وما جاء من هذا الباب قول أبي الطيب للتنبى :

وقفت وما في اللوت شك لواقف كأنك في جفن الردى وقو فائم  
نثر بك الأبطال كئى هزيمة ووجعك وضاح وتفرك باسم  
وقد أخذ على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخر البيت الثانى  
وأخر البيت الثانى آخر البيت الأول لكان أولى .

ولذلك حكاية ، وهى أنه لما استشهد سيف المعوية يوما فصدته التى أولها :  
« على قدر أهل العزم تأتي العزائم »<sup>(١)</sup>.

فلما بلغ إلى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك ، كما انتقد على امرئ  
النيس قوله :

كأى لم أركب جودا لذة ولم أتبن كاهيات خخال

(١) مطلع القصيدة في مدح سيف الدولة لما بيني وبينه المحدث ٣٤٣ هـ  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام للكلام  
لديوان ١٢٢/٤

ولم أشأ الوقت الروي ولم أفلظ كرمي كرمي بعد إقبال (١)  
فبيدك لم يلمظ خطرهما ، كما لم يلمظ خطر ابقى امرى القيس ، وكان يبنى  
فك أن تقول :

وقفت وما في لوت ذلك لوانف ووجهك وضاح وثرك باسم  
تسر بك الأبطال كلى هزيمة كالك في جنن الردى وهو نائم

فقال للفتي : إن صح أن القى استذكر كل امرى القيس هذا أعلم بالشعر منه  
فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، وهولانا يعلم أن الثوب لا يعلم البراز كما  
يعلم الحائك ، لأن البراز يعرف جلته والحائك يعرف نفاصه ، وإنما قرن  
امرؤ القيس النساء بالذرة الركوب الصيد ، وقرن الساحة بسباه : طغر الأضياف  
بالشجاعة في مغازاة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت لوت في صدر البيت الأول  
أنتبهت بذكر الردى في آخره ، ليكون أحسن تلاؤماً ولما كان وجه المهزم الجريح  
عبوساً وعيناه باكية قلت ووجهك وضاح وثرك باسم ، لأجمع بين الأعداء .

### القسم الثاني في صفة التقسيم وفساده :

ولسنا نريد بذلك حالها ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب إليه المتكلمون ،  
فإن ذلك يقتضى أشياء مستحقة ، كقولهم الجواهر لا تغلر إما تكون مجتمعة أو  
مفترقة ، أو لا مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة ، أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة .  
الآخرى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل ، لاستيفاء الأقسام جميعها .  
وإن كان من جعلها ما يستحيل وجوده .

(١) من لم يدره التي مطلها :

وهل يسر من كان في البصر العالي

ألا هم سباحا أيها السلال البالي

(الديوان ٢٧)

وإنما يريد بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه المعنى عما يمكن وجوده ، من غير أن يُترك منها قسم واحد ، وإذا ذُكرتْ قام كل قسم منها بنفسه ، ولم يشارك غيره ، فطارة يكون التقسيم بلفظة إنا ، وطارة بلفظة بين ، كقولنا بين كذا وكذا ، وطارة بلفظة منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا ، وطارة بأن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم يقسم ، كقولنا : فانشعب القوم شعباً أربعا : نشبة ذهب يميننا ، وشعبة ذهب شمالا ، وشعبة وقفت بسكانها ، وشعبة رجعت إلى ورأسها .

فما جاء من هذا القسم قوله تعالى : « ثم أَوْرَثْنَا الكتابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابقٌ بالْغَيْرَاتِ » (١) . وهذه قصة صحيحة ، فإنه لا يَحُلُو العباد من هذه الثلاثة ، فلما عاصر ظالم لنفسه ، وإما مطيع مبادر إلى الْغَيْرَاتِ ، وإما مُقْتَصِدٌ بينهما

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، فَأَصْحَابُ اليمينِ ما أَصْحَابُ اليمينِ ، وَأَصْحَابُ المشْأَمَةِ ما أَصْحَابُ المشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » (٢) . وهذه الآية منطوقة المعنى على الآية التي قبلها ، فَأَصْحَابُ المشْأَمَةِ هم الظالمون لأنفسهم ، وَأَصْحَابُ اليمينِ هم الْمُقْتَصِدُونَ ، وَالسَّابِقُونَ هم السَّابِقُونَ بِالْغَيْرَاتِ .

وعلى نحو ذلك جاء قوله تعالى : « هو الَّذِي يُرِيكُمْ الْآيَاتِ خَوْفًا وَطَمَعًا » (٣) فإن الناس عند رؤيةِ الْآيَاتِ بين خائف وطامع ، وليس لنا قسم ثالث .

فإن قيل إن استيفاء الأقسام ليس شرطا ، وترك بعض الأقسام لا يقدحُ في الكلام ، وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « لا يستوي أصحابُ

(١) سورة طه ٣٢

(٢) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(٣) سورة الزمعة ١٧

النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون «<sup>(١)</sup> فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار ، فالجواب على ذلك أني أقول هذا لا ينقض على ما ذكرته ، فإن استيفاء الأقسام يلزم فيما استقبلهم الإجمال فيه في الأثرى إلى قوله تعالى «ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفتينا من عبادنا فهم» فإنه حيث قال (فهم) لزم استيفاء الأقسام الثلاثة ، ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز ، وأما هذه الآية التي هي «لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة» فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر ، فلم يأمر أصحاب النار لافوز لهم ، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا بالأصحاب الجنة

وكذلك كل ما يجري هذا المجرى ، فإنه إنما يُنظر فيه إلى المستقبلين وغير المستقبين فاعرفه .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يُنتهون بقول بعض الأعراب ، ويرحمون أن ذلك من أصح التفسيرات وهو قولهم : «النعمة ثلاث : نعمة في حال كونها ، ونعمة تُرتجى مستقبله ، ونعمة تأتي غير محسوبة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق عليك فيما يرتجيه ، وتفضل عليك بما لم تحسبه» .

وهذا القول فاسد ، فإن في أقسام النعم التي تقدمها قصدا لا بد منه ، وزيادة حاجة إليها ، فأما النقص فإفحال النعمة الماضية ، وأما الزيادة فتقوله بعد المستقبل «ونعمة تأتي غير محسوبة» ، لأن النعمة التي تأتي غير محسوبة داخلة في قسم النعمة المستقبلية ، وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم قسمين : أحدهما يُرتجى حصوله ، والآخر لا يُحسب ، فتقوله «ونعمة تأتي غير محسوبة» يوم أن هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخل فيه .

وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول: اللهم الثلاث نعمة ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلة ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية ، وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ، وودَّ حظك من النعمة التي تستقبلها .

ألا تراه لو قال ذلك لكان قد ملَّحَّ به مُفَصِّل الصواب ؟  
وفد استوفى أبو تمام هذا اللحن في قوله :

جُئْتُ لَنَا فِرْقَى الْأَمَانِي مِنْكُمْ بِأَرْزٍ مِنْ دُوحِ الْحَيَاةِ وَأَوْصَلِ  
فَصْنِئَةً فِي يَوْمِهَا وَصَنِئَةً قَدْ أَخَوَكْتَ وَصَنِئَةً لَمْ تَحْمِلِ  
كَالْمُزْنِ مِنْ مَائِي الرِّبَابِ فَقَبِلِ مُقْتَفِرٍ وَمُحْتَجِمٍ مُقْتَمِلٍ<sup>(١)</sup>

ووقف أعرابي على مجلس الحسن البصري رضي الله عنه فقال : « رحم الله عبداً أعطى من سعة ، أو أتمى من كفاف ، أو أآثر من قلة » فقال الحسن البصري : ما ترك لأحد طمرا .

وفد عاب أبو هلال العسكري على جميل قوله :

لو كان في قلبي كَقَدَرٍ قُلَامَةٍ حُبًّا وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَيْتُكَ رَسَائِلِي<sup>(٢)</sup>

فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل في جهة الوصل<sup>(٣)</sup> ، وليس الأمر

(١) من مدحه لأحمد بن أبي دؤاد الإيادي (الديوان ٤٩/٣) في الأصل فوق بدلا من فرق .

(٢) قبل هذا البيت أبيات منها :  
فارب مازحة علينا وصالحا  
فأجبتها بالرق بعد فدا  
(الديوان ٨٣)  
(٣) الصامع ٣٤٨ .

كما وقع له ، فلن جيلا إنما أراد بقوله وصلتك أى أتيك زائرا وقاصدا ،  
أو كنت راسلك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين ، إما زيارة  
وإما رسالة .

ومن أعجب ما وجدته فى هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن قاسم  
المعروف بالثانئى وهو قول الهلبي بن الأخنف :

وَصَالِكُمْ حَبْرٌ وَحِمِكُمْ رَقْلٌ وَعَطَقَكُمْ صَدٌّ وَسُكُّكُمْ حَرْبٌ<sup>(١)</sup>  
ثم قال الثانئى : هذا والله أصح من تفسيرات إقليدس<sup>(٢)</sup> .

ويقال العجب ، أين التقسيم من هذا البيت ؟ هذا والله فى واد والتقسيم  
فى واد ، ألا ترى أنه لم يذكر شيئا تحضره القصة ، وإنما ذم أصحابه فى سوء  
صنيعهم به ، فذكر بعض أحواله معهم ، ولو قال أيضا :

وَلَيْسَكُمْ حَنْفٌ وَقُرْبُكُمْ تَوَى وَإِطْأَوْكُمْ مَنَعَ وَصِدْقُكُمْ كَيْدٌ

لكان هذا جائزا . وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ، ولو أنه تقسيم لما احتتمل  
زيادة ، والأولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الثانئى إلى باب المقابلة ، فإنه  
أولى به ، لأنه قابل الوصل بالهجر ، والطف بالصّد ، والسلام بالحرب .

ومن فساد التقسيم قول البحرى فى قصيدته التى مطلعها :

« ذَاكَ وَادِى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا » فقال :

---

(١) الديوان ١٣

(٢) سبق الشرف الثانئى . إقليدس : رياضى متسمى يولانى قدم .

يَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسَدًّا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ حَافِظًا أَوْ حَذُولًا<sup>(١)</sup>.

فإن المشوق يكون حزينًا ، والمسدد يكون معينا ، وكذلك يكون حافِظًا وكثيرا ما يتم الهمز في مثل ذلك .

وكذلك ورد قول أبي الطيب التقي وهو .

فَانْخَرْ فَإِنْ الْعَاسَ فَلَيْكَ ثَلَاثَةٌ مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ<sup>(٢)</sup>

فإن المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما ، ومن شرط التضميم ألا تدخل أقسامه بعضها في بعض .

ومن هذا الأسلوب ما ورد في أبيات الحماسة<sup>(٣)</sup> وهو :

وَكُنْتَ أَمْرًا إِمَّا أَتَمَّنْتُكَ خَالِيَا فَخَنَّتْ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا حِلْمِي

فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتُهُ بِمَنْزِلٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

فإن الخيانة من الإثم ، وهذا تقسيم فاسد .

(١) في مدح محمد بن علي عيسى القمي . والفطر الثاني هو : « مقصرا من صباه أو مطبلا » الديوان ٢/٢١٠

(٢) من قصيدة في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأملاني ، مطلعها :  
لَكَ يَا مُنَازِلَ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلَ أَفْقَرْتُ أَنْتَ وَهِيَ مِنْكَ أَوْ أَهْلُ  
(الديوان ٢/٤٥٥)

ول الديوان ( يا أضر ) يريد بأهذا الضر ، غلب للنادي كقراءة علي بن حمزة ( ألا يا أسجدوا لله الذي يخرج الحب ) أو أن حرف النداء هنا فتلبيه مثل ألا ، كقول ذي الرمة :  
أَلَا يَا أَسْلَى يَادَارِي عَلَى الْبَلِّ وَلَا زَالَ شَيْلَا بِحَرِّ عَاتِكِ الْفَطْرِ  
(٣) ذكر التبريزي أن القائل عبد الله بن جهم السلولي ، وكان قد وضع به واهي إلى زياد بن أبي سفيان ، ثم جهم بينهما زياد ، فقال عبد الله قواني مدين البجين ولي الحماسة ( وأنت امرؤ إِمَّا أَتَمَّنْتُكَ )

( شرح التبريزي لديوان الحماسة ٣/١٤٢ وشرح الرزوقي ٣/١١٣٩ )

ومما جاء من ذلك نرا قول بعضهم في ذكر منهزمين « فمن جريح مُتَضَرِّجٍ  
بدمائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » فإن الجريح قد يكون هاربا ، والهارب  
قد يكون جريحا . ولو قال « فمن بين قتيل ومأسور وثاج ، لصح له التقسيم ،  
أولو قال فمن بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا ، لمدح الناجي بينهما .

وقد أحسن البحري في هذا المعنى حيث قال :

فَاذْرُكْهُمْ أَيْدِي النَّبِيِّ صُغْبًا      بِالْقَتْلِ بَيْنَ رُكْبٍ وَسُجُودٍ  
فَهُمْ فِرْقَانِ بَيْنَ قَتِيلٍ      مُقْبِصَتِ نَفْسِهِ بِحَدِّ الْحَدِيدِ  
أَوْ أَسِيرِ غَدَاهِ السَّجْنِ لَحْدًا      فَهُوَ حَيٌّ فِي حَالَةِ التَّلَاجُودِ  
فِرْقَةُ لِسَيْفٍ يَنْقُذُ فِيهَا السُّكُومُ قَعْدًا      أَوْ فِرْقَةُ لِقَبُودِ<sup>(١)</sup>

ومن فساد التقسيم قول أبي تمام :

وَوُتِّفَ بَيْنَ حُكْمِ الْمَثَلِ مُنْقَطِعٌ      صَالِيهِ أَوْ مَجْهَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ<sup>(٢)</sup>

فإنه جمل صالي هذا الموقف إنما ذليلا عنه أو هالكا فيه ، وهامنا قسم ثالث  
وهو ألا يكون ذليلا ولا هالكا ، بل يكون مُقْدِمًا فيه ناجيا . وفي هذا نظر  
على من ادعى فساد تقسيمه ، فإن أبا تمام قصد التلوي في وصف هذا الموقف ،  
فقال إن الناس فيه أحدُ رجلين : إما ذليل عن تَوَرُّدِهِ ، وإما هالك فيه ، أي  
أنه لا ينجو منه أحد برَّده .

وهذا تقسيم صحيح لانساق فيه .

(١) ليست بديوانه .

(٢) من قصيدته في مدح الحشم بإثارة واقفي الديوان ( وسعد بين حكم القتل )

الديوان ١٦/٣



### ترتيب التفسير

والقسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد .

اعلم أن حجة الترتيب في ذلك أن وَيَذْكُرَ في الكلام معان مختلفة ، فإذا حيد إليها بالذكر لتفسير قدم للقدم وأخر المؤخر ، وهو الأحسن ، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام النصيح ، ولم يُراعَ فيه تقديم للقدم ولا تأخير للمؤخر ، كقوله تعالى : « أفل يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن أنشأ كنعين بهم الأرض أو نستيط عليهم كعفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد مُبِين <sup>(١)</sup> » ولو قدم تفسير القدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقال إن أنشأ نستيط عليهم كعفاً من السماء أو نخسف بهم الأرض .

وكذلك ورد قوله تعالى : « يَوْمَ كَبِيتُ وجوه وكنُود وجوه ، فأما الذين استودت وجوههم أكَفَرُمُ بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . وأما الذين أبيضت وجوههم <sup>(٢)</sup> » قدم للمؤخر وآخر القدم .

والقسمان وردا جهماً في القرآن الكريم .

فما روى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى : « وما يؤخره إلا أجل معهود ، يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سئدوا ففي الجنة خالدين

(١) سورة سبأ ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

«فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» (١)

ومن ذلك قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » (٢).

وكذلك قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرة » (٣) فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التمشي .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب تمزية وهو فصل منه قلت : ولقد أوحشت منه للعالم لنا أوحشت المنازل ، وآمنت السكارم كنا آمنت الحلائل ، وعشت لوعة عطشه فاشتعلت كل إلى ثا كل ، وما أقول لهن عدست الأرض منه حياها ، والحامد تحياها ، فلو لطف الجاد بلسان ، وتصور المعنى لسان ، لأفرقتك عن ظمأ صيدها ، وبرزت هذه حاضرة حول قهقهها .

ومن ذلك ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان قلت « وما زالت أيادي سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكتابها ، لهذه مقطوعة بقرية وردها ، وهذه آخذة بسنة أغنيها ، وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متعلبة بغوازل الإكثار ، وفي الثانية أنها تأتي متعلبة بفضائل الاختصار ، لاختصار هذه في فوائد أفلامها ، كتطوير تلك في فوائد إنسانها ، وقد أصبحت خواطري مستغرقة بإنشاء القول المبكر في شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر ،

(١) سورة هود ١٠٥

(٢) سورة الإسراء ١٧

(٣) سورة يونس ٦٧ كان في الأصل نصيف في الآية .

وما جعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستعمل بأداء حقوق تنقل على الرقاب ،  
ومقابلة بلاغات تنقل على الألباب .

وما جاء من ذلك شعرا قول إبراهيم بن العباس :

لنا إبل كُومٌ يخفي بها القضا وَيَقْتَرُ عنها أرضها ومساؤها  
فمن دونها أن تستباح دماؤها ومن دونها أن تستباح دماؤها  
حيى وقرى ظلمت دونه ترايبا وأمسر خطب يوم حق ههناها<sup>(١)</sup>

وهذه الأبيات من نادر ما يحى في هذا الباب معنى وترتيب تفسيره .

وما جاء منه أيضا قول أبي تمام :

وما هو إلا الرخي أو حدٌ مَرَهَفٍ يُبِيلُ ظَهَاهُ أَخَذَ عَى كُلِّ مَا يَلِدُ  
فهذا دونه الداء من كل عالم وهذا دونه الداء من كل جاهل  
وكذلك قوله أيضا :

وكان لهم فَيْتًا وعلفًا فُسَيْدِمٍ فَيْسَالُهُ أو بِلَحْثٍ فَيْسَالُهُ<sup>(٢)</sup>

وهذا من يديم ما يأتي في هذا الباب .

وماورد منه قول علي بن جبلة :

فَقِ وَقَفَ الأيَّامَ بِالشُّطِّ وَالرَّضَا عَلَى بَذْلِ حُرْفٍ أَوْ عَلَى حَدِّ مُنْصَلٍ

ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس :

(١) ديوان إبراهيم بن العباس بن محمد بن سول ١٦٣ كرم : جمع كوما وهي الثالثة الضمة السنام .

(٢) من صيدته في مدح النعمان والأفريق التي مطلها :

هذا لك مهور الحسى وللتازل منور وحف الروض مذهب للتامل

الديوان ٧٩/٣

(٣) الديوان ٣٧٧ في رواية النعمان بن طوق

يُزْجُو وَيَحْشَى حَالَتِكَ الْوَرَى كَأَنَّكَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ<sup>(١)</sup>

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين ، وهو القاضي الأرجاني :

يَوْمَ الْمُتَيْمِ فِيكَ - وَلَّ كَامِلٌ يَتَعَابُ الْفَصْلَانِ فِيهِ إِذَا أُنِيَ  
مَا بَيْنَ حَرٍّ جَوَى وَمَاءٍ مَدَامَجٍ إِنْ عَن صَافٍ وَإِنْ بَكَى وَجَدَا شَتَا<sup>(٢)</sup>  
وبما أخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله :

قَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوَلَّجَاتٍ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمٍ أَوْ حَامِلًا يُقَلِّ مَفْرَمٍ  
لَأَلَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعًا عِنَّا وَرَأَيْكَ شَرَّارًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ<sup>(٣)</sup>

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول  
في البيت الأول ثانيًا في البيت الثاني ، والأولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبًا ،  
ففسر ما هو أول في البيت الأول بما هو مكان في البيت الثاني .

(١) من تصديده التي مدح بها النباس بن الفضل بن الربيع ، التي مطلعها :

أَمْنُكَ لَمُكْتَوِّمٍ إِظْهَارِ أُمِّ مَنَّاكَ تَغِييبِ وَإِسْكَارِ

الديوان ٤٤٤ تغيب : دفع عني

(٢) من مدحه لقلبي جمال الدين بن الحسن بن سليمان ، ومطلعها :

يَا مَرْعَا قَدْ آتَى أَنْ تَطْلُعَا تَغْيِيبِ قَلْبِي الْمُسْتَهَامِ إِلَى مَقِي

(٣) كان القمطاع بن عوف بن معبد بن زبارة قد أصاب مما في يدي سعد بن زيد مناة

ومرب ، فلكاه بنو سعد إلى والي البصرة حينئذ عبيد الله بن زياد ، فبحث وراءه رئيس  
شرطته هبيرة بن ضمضم الجاهلي ، وقاله : لكن لم تأتني به فتلتك ، فظفر به هبيرة ، فأمتم عليه ،  
فصوب إليه هبيرة الرمح ليمسك وهو لا يريد قتله ، فأصابه الرمح في جوفه فأتى مكانه ،  
وعاد هبيرة خائبًا ، فقال الفرزدق أيتها عرض فيها يضمضم ، مطلعها .

والقائل والدمع هبيرة كطها لئس الذي أجرى إليه ابن ضمضم

والبيان في الديوان هكذا :

لقد خنت قوما لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملا تقل مفرم

لأليت منهم مطلقا ومطاعنا وراءك شزرا بالوشيح المقوم

( الديوان ٧٤٩/٢ شزرا : المراد في ضمضم . الوشيع للقوم : الرمح .

واعلم أن الناظم لا يذكر عليه الذى يذكر على الشاعر ، لأن الناظم يضطره الوزن والقافية إلى ترك الأولى .

وأما فساد التفسير فإنه أفتح من فساد ترتيبه ، وذلك أن يؤتى بكلام ثم يفسر تفسيراً لا يناسبه ، وهو عيب لا تساه فيه بحال . وذلك كقول بعضهم :  
فما أيتها الخمران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا  
تعال إلى تلتقى من نور وجهه ضياء ومن كنهه بجزأ من الندى

وكان يجب على هذا الشاعر أن يقول يلزأ بنى العدا ما يناسبه من النصرة والإحانة أو ما جرى مجراها ليسكون ذلك تفسيراً له ، كما جعل يلزأ الظلمة الضياء ، وفسرها به ، فأما أن جعل يلزأ ما يتخوف منه مجراً من الندى ، فإن ذلك غير لائق .

#### النوع الخامس والشرى

#### فى الاقتصاد والتفريط والإفراط

اعلم أن هذه الممانى الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والإفراط توجد فى كل شئ من علم وصناعة وحُلق ، ولا بد لنا من ذكر حقيقتها فى أصل القصة ، حتى تبين قائلها إلى هذا النوع من الكلام .

فأما الاقتصاد فى الشئ فهو من القصد الذى هو الوقوف على الوسط الذى لا يميل إلى أحد الطرفين ، قال الله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مُقتصد ومنهم سابق بالغفلات »<sup>(١)</sup> فظلم النفس والسبق بالغفلات طرفان ، والاقتصاد وسط بينهما .

: وقال تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَفْتَقُوا لَمْ يُسِرُّوا وَلَمْ يَنْفَرُوا وَكَانَ بَيْنَهُمْ ذِكْرٌ مَّا أُمِرُوا بِهِ » فالإسراف والإفراط طرفان ، والاعتدال وسط بينهما .

وقال الشاعر (١) :

عليك بالاعتدال فيما أنت فاعله إن الفخلق يأتي دونه الخلق  
وأما التفريط فهو التقصير والتقصير ، ولهذا قال الله تعالى : « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » (٢) أي ما أهملنا ولا ضيعنا .

وأما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحد ، فيقال أفرط في الشيء إذا أسرف وتجاوز الحد ، والتفريط والإفراط هما الطرفان اليمينان ، والاعتدال هو الوسط للمعتدل .

وقد قيلت هذه المسألة الثلاثة إلى هذا النوع من علم البيان .

أما الاعتدال فهو أن يكون المعنى للضمير في العبارة على حسب ما يقتضيه المعنى  
عنه في منزله .

وأما التفريط والإفراط فهما ضدان ، أحدهما أن يكون المعنى للضمير في العبارة دون ما يقتضيه منزلة المعبّر عنه ، والآخر أن يكون المعنى فوق منزله .

[ التفريط ]

والتفريط في إيراد المعاني التلطائية تبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه ،  
والإفراط يجوز استعماله ، فنه الحسن ، ومنه دون ذلك ،

(١) سورة الفرقان ٦٧ .

(٢) هو سالم بن وابصة . شرح الحماسة للبرقي ٢/٢٣٦ والريزوي ٧١٠ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨ .

فما جاء من التفريط قول قول الأشي :

وما مُزِيدٌ من خليج القرا ت جَوْنٌ غَوَارُهُ تَلْتَعِيمٌ  
بأَجْوَدَ منه بِمَاعُورِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَنِيمُ<sup>(١)</sup>  
فإنه مدح ملكا بالجلود بما عونه ، وللاعون كل ما يستعمل من قدوم أو  
قصة أو قذر أو ما أشبه ذلك ، وليس للملوك في هذه مدح ، ولا لأوساط  
الناس أيضا ، وفي مدح السوقة به قولان ، ومدح الملوك به مذهب واحد فاحش ،  
وهذا من أفتح التفريط .

وما جرى هذا الجرى قول الفرزدق :

أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا بَيْرِزِينَ لَا نَزِدُ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشْلُ وَنُقَذِفُ  
كَلَانًا بِهِ هَرٌّ يُخَافُ قِرَاهُ  
عَلَى النَّاسِ مَعْلَى الْأَشَامِرِ أَخْشَفُ<sup>(٢)</sup>

(١) من قصيدته في مدح ليس بن سعد يكرب ، التي مطلعها :  
أتهجر غاية أم تلم أم الخيل واه بها منجد  
الديوان ٣٠ .

(٢) من إحدى لغائمه ( الديوان ٢ / ٥٥١ ) والبيان في الديوان هكذا :  
فَالْيَتَنَا كُنَّا بَيْرِزِينَ لَا نَزِدُ عَلَى ضَمَلٍ إِلَّا نَشْلُ وَنُقَذِفُ  
كَلَانًا بِهِ هَرٌّ يُخَافُ قِرَاهُ عَلَى النَّاسِ مَعْلَى الْأَشَامِرِ أَخْشَفُ  
وكان الأصل ( قرانه ) و ( المصارع ) .  
للهم : الماء . نعل : طرد . المرفتح العين : الجرب وبضمها فرح ليست بالجرب .  
الغراف : الخافضة وداء يفتل الجرب . المسامر : أصول الثغزين والإبطين ، لأنها أول  
ما يشتد فيها الجرب . ويروى الأشامير . الأخشف : البعد اليابس من الجرب .  
ولكنه عزة أجنبية مثل هذه في قوله :

أَلَا لَيْتَنَا يَمُزُّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ جِزَاتٍ تَرْمِي فِي الْخَلَاءِ وَتُغْزِبُ  
كَلَانًا بِهِ هَرٌّ فَنَ يَرْمِي مِثْلَ عَلَى حُسْنِهَا جِرْيَاءَ كَعْدَى وَأَجْرِبُ  
لَسْكَونَ قَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مِثْلَ فَلَا هُوَ يَرْمِي وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ  
إِلَّا مَا وَرَدَنَا مِنْهَا سَاحَ أَحْمَدُ عَيْنًا فَلَا تَخْشَى تَرْمِي وَتُغْزِبُ  
( للوهزم ١٥٥ ) .

هذا وجل ذهب عنه حين نظم هذين البيتين ، فإن مراده منهما التفرل  
بمحبوبه ، وقد قصر تنبيهه على أن يكون هو ومحبوبه كحبهين أجريين ،  
لا يقربهما أحد ولا يقرّب أحداً إلا طردما ، وهذا من الأمانى السخيفة ، وله  
في غير هذه الأمانة مندوحات كثيرة .

وما أشبه هذا بقول القائل :

يَا رَبِّ إِن قَدَرْتَهُ انْتَهَلْ غَيْرِي فَلَا فِدَاحَ أَوْ لِلْأَكْثَرِ مِنْ  
وَإِذَا سَكَتَ لَمَّا بَيْنَ مُرَاقِبٍ

في البحر فَلَنُفِكَ مِنْ مُهَوِّنِ التَّرَجُّسِ

فانظر كم بين هاتين الأمانتين .

ومما أخذ على أبي نواس في قصيدته للهمية للوصوفة التي مدح بها الأمين  
محمد بن الرشيد وهو قوله :

أصبحت يا ابن دُبَيْدَةَ ابنة جَنْشَرٍ

أَسْلَمْتُ قَدِ جِئْتُكَ اسْتِغْنَاكُمْ<sup>(١)</sup>

فإن ذكر أم الخليفة في مثل هذا للوضع قبيح .

وكذلك قوله في موضع آخر :

وليس كجَدْتِيهِ أُمُّ مُوسَى إِذَا نُسِبَتْ وَلَا كَالْخَبْرَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) من قصيدته في مدح الأمين التي مطلعها :

يَا دُرَّ مَا خَلَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ ضَامِتُكَ وَالْأَيَّامُ لَيْسَ تَضَامُ

(البرهان ٤٠٧)

(٢) من مدحه للأمين ، التي أولها :

وَضِيئًا بِالْأَمِينِ مِنَ الزَّمَانِ فَأُنْجِي لِلَّهِ مَمُورًا لِلْعَانِ

البرهان ٤١٦



وهذا لقوم من الحديث لا قاعدة فيه ، فإن شرف الأسماء إنما هو إلى الرجال لا إلى النساء . وبالنسبة لشمس أبو نواس قول *مُتَقَبَّة* بنت *الْمُتَقَبَّر* في التي صلى الله عليه وسلم :

اعتمد ولأنت تجلُّ كريمة  
من قومها والنسلُ نحلُّ مُترقُ  
ما كان حرمك لو مَنَعَتْ ودُّها  
مَنْ التَّقَى وهو التَّخِيطُ الْمُتَقَى<sup>(١)</sup>

فإنها ذكرت الأم بفهراسم الأم ، وأبرزت هذا الكلام في هذا البيت الأتيق . وكذلك فليكن للداح إذا مدح ، وأبو نواس مع لطفه طبعه وذكره . وما كان يوصف به من القطة قد ذهب طبعه مثل هذا للوضع مع ظهوره .

وليس لقائل أن يترض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية من موسى وأخيه هارون عليهما السلام « قال يا ابن أمِّ لا تأخذَ بسمي ولا برأسي »<sup>(٢)</sup> فإن الفرق بين اللوضين ظاهر ، لأن للسكر على أبي نواس إنما هو اللفظ باسم الأم وهي زهيدة ، وكذلك اسم الجدة وهي انخيزدان ، وليس كذلك ما ورد في الآية . فإن قيل قد ورد في القرآن الكريم ما يسوغ لأبي نواس نقله وهو قوله تعالى :

(١) وفتت خيلة بنت النضر بن الحارث على التي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بالله عب خذوة بدره فأنعته أيتها أولها :

ياراكبا إن الأئيل مظنة من صبح خامة وأنت موفق  
بلغ به ميما فإن خيمة ما إن تزال بها الزكاتب تخفق .  
سيرة ابن هشام (٣٥٩/١) والإصابة ، وقسم النساء وسيم البلدان (الأئيل) والسيرة ٣٠/١  
وذكر ابن إسحاق في السيرة وأبو الفرج في الأغاني ٩/١ والحصرى في زهر الأدب ٢٧/١  
أنها بنت الحارث ، وتكون إذا أخت النضر لابلته

الأئيل : موضع كان فيه قبر النضر . للغة : النزل العلم ، من صبح خامة : تريد من من صبح لية خامة لية التي تبدأ فيها السير إلى الأئيل وأنت على الطريق غير عاقل منه  
تخفق : تضرب وتتحرك .  
(٢) - سورة طه ٩٤

« وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آتَيْتُكَ النَّاسَ آتِنْدُوكُنِي وَأُمِّي الْكَافِرِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » (١) فناداه باسم أمه ، فقلت الجواب عن ذلك من وجهين .

أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودي باسم أمه ضرورة ؛ إذ لو كان له أب لنودي باسم أبيه .

الوجه الآخر أن هذا النداء إنما هو من الأهل إلى الأدنى ، إذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعبدى عليه السلام عبده ، وهذا لا يكون تفریطاً ، لأنه لم يعبّر عنه بما هو دون منزله .

على أن أبا نواس لم يوقه في هذه العثرة إلا ما سمعه من جرير في مدح عمر بن عبد العزيز كقوله :

وَتَنَبَّأَ الْجَدَّ يَا عَمْرُو بْنَ لَيْلَى وَتَسَكَّنَى الْمُؤَمِّلَ الدَّيْمَةَ الْجَمَادَا (٢)  
وكذلك قال فيه كثيرٌ حزةً أيضاً .

وليس للهب من هذا يخاف ، فإن العرب قد كان يعبّر بعضها ببعضاً بنسبته إلى أمه دون أبيه ، ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حَنْظَلَةَ ، وإنما كان يقول ذلك من ينض منه ، وإنما قول النبي صلى الله عليه وسلم لقرين بن صفيّة « بَشْرُ قَاتِلِ ابْنِ صَفِيَّةَ بِاللَّارِ » فإن صفيّة كانت عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما نسبته إليها رضا لقدره في قرب نسبه منه وانه ابن عمته ، وليس هذا كالأول في النض من عمر رضى الله عنه في نسبه إلى أمه (٣) .

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) من القصيدة التي مطلعها :

أَبَتْ عِيَالِي بِالْمَدِينِ الرِّفَادَا وَأَذْكَرَتْ الْأَسَادِي وَالْبِلَادَا

(الديوان ١٣٤)

(٣) لم يكن الناس إلى الأم تحفيها ، كما توم ابن الأثير .

فقد كانت له بواشيت حق ، منها تسكريم الأم للنجبة وتجيدها ، ومنها الفخر بها لمرادها ، ومنها مدح أبنائها باسمهم إليها ، ومنها أن تكون الأم أعظم شهرة من الأب وعزالة .  
وكان في ذلك من الأعيان الصّغير ( للرواة في الشعر الجاهل الدكتور أحمد الحوفي ٨٠ ) .

وقد طلب بعض من بينهم نفسه بالمرقة قول أبي نولس في قصيدته السينية  
التي أولها « كَبَّةٌ كَدَيْمُكَ قَدْ كَسَسَ » . فقال من جلسها :

وَرِثَ انْطِلَافَهُ خَاسِئًا وَبَهَرَهُ سَادِسُهُمْ سَدَسٌ<sup>(١)</sup>

قال ولي ذكر السادس فظفر ، وباعجبها له مع معرفته بالشعر ، كيف ذهب  
عليه هذا للوضع ، أما قرأ سورة الكهف ؟ يريد قوله تعالى : « ويقولون خمسة  
سادسهم كلهم »<sup>(٢)</sup> وهذا ليس بشيء ، لأنه قد ورد في القرآن الكريم ما يقضيه  
وهو قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ  
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ وَلَا خَشْفَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ »<sup>(٣)</sup> .

وعما حبه على البحري قوله في مدح الفصح بن خاقان في قصيدته للشجيرة  
عند لقاءه الأسد التي مطلعها « أَجِدُكَ مَا يَفُكُّ بِسَرَى لُوبِئَا » . قال :

شَهِدْتُ قَدْ أَتَقَنَّتَهُ حِينَ تَنْبَرِي لَهُ مُصَلِّيًا قَضَا مِنْ الْبَيْضِ بِقَضَائِهَا  
فَلَمْ أَوْضُرْ فَخَامَيْنِ إِسْدَقَ مَعَكُمْ رَاكِبًا إِذَا الْهَيْبَةُ الْفُكْسُ كَذِبًا<sup>(٤)</sup>

قوله إذا الهيباة الكس تقريظ في اللوح ، بل كان الأولى أن يقول إذا  
البطل كذب ؛ وإلا فأى مدح في إقدام القدم في الموضع الذي يفر منه الجبان .

(١) من قصيدته في مدح الأمين ( الديوان ٤١٧ )

واللروف أنه سادس خلفاء بني العباس ، والخمسة هم عبد الله الطحاوي والصور والهادي والهادي  
والرشيد . وسدسهم صار لهم سادسا

(٢) سورة الكهف ٢٣ .

(٣) سورة الجاثية ٧

(٤) مطلع القصيدة :

أَجِدُكَ مَا يَفُكُّ بِسَرَى لُوبِئَا خِيَالُ إِذَا آتَى الظَّلَامُ نَاوِيَا

ولي الأسفل تبرى بدلا من تبرى ( الديوان ٥٦/١ )

ألا قال كما قال أبو نعل :  
 فنى كما ارتاد الشجاع من الردى مفرأ غداة المأزق ارتاد مفرأ<sup>(١)</sup>

وعلى أسلوب البحرى ورد قول بعضهم من شعراء الحاسة :

وأنى لقول لسان مرنحها ولطالب المعروف إنك واجد  
 وأنى لمن أنبط الكف بالندى إذا شيعت كف البخل وسأده<sup>(٢)</sup>  
 وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخل ،  
 وإنما القضية في بسطها عند قبض الكرام أيديهم .

ومن هذا الهلب قول أبى تمام .

بخط وهو أكثر الناس إضنا ، على فائى ه مشرود<sup>(٣)</sup>  
 فإه أراد أن يمدح فم

ومما هو أفتح من ذلك قوله أيضا :

تثنى الحرب مه حين تنلى مراجلها بشيطان دجيم<sup>(٤)</sup>  
 وقد استعمل هذا في شعره حتى أخش كقوله :

(١) من وثاقه لحد بن حيد ، وطلع القصيدة :

أم بك التام وإن كان أسما وأصبح فنى الجود يمدك بالفا  
 وقد قلعت القصيدة .

(٢) الفاتل مولى ابن الأرت (شرح الحاسة لقتبرزى ٤/٢١٨) وللزوي ٤/١٦٨٠  
 العال : طالب المعروف أو الطمام . هتجت كفه وسأده : كتابة عن ظهور الجنب والبخل .

(٣) من قصيدته في مدح أبى سعيد محمد بن يوسف : ومطلبها :  
 ما عهدنا كذا بكاء للفق . كيف واقم آية المفق

الديوان ٢/ ٤٣٠ .

(٤) من مديحه لبلى بن عبد الكريم الطائين (الديوان ٢١٧) ومطلبها :

أرامة كنت مائل كل ريم لو استجعت بالأس للقيم  
 تنى : تجعل لها أنال وهى المجارة التى ينصب عليها القدر . للراجل : القدر ، وفى الأمل  
 ينق الحرب ) . ليست القصيدة بالديوان .

أَنْتَ كَوْنُكَ وَذُو السَّمَاخِ أَوْ مَوْ سَى قَلْبِي وَأَنْتَ ذُو الْقَلْبِ (١)

ومراده من ذلك أنه جعله سبيلا لطاء المشار إليه ، كما أن الدلو سبيلا في استعمال الماء من القلب ، ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب إلى حد يُدُنُّ ذَيْنَ أَبُو تمام حوله هذه الدُّنَّةُ ويقتضيه في هذا المثال الخفيف ، على أنه لم يقطع بهذه الحقة القبيحة في شعره ، بل أوردتها في مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله :

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعِلَالِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ مَحْمُومٌ (٢)

فإنه أراد أن يبلغ في ذكر المدوح بالهيج بالمكارم والعلال ، فقال مازال يهدي ، وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت .

وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين :

وَيْسَعُهُ عَدَدُ الْمَكَارِمِ هَزَّةً كَمَا انْقَضَ لِلْجَبُودِ مِنْ أَمٍّ مَقْدَرٌ (٣)

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسنا ، ولم يكن جارا ول معنى كريما فأساء في التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله .

(١) القلب : البئر . ليست القصيدة بالديوان . البيت بالمتاعين ٣٥٦

(٢) من مدحه لأبي المحسن محمد بن شبابة بن الميثم بن سطلما :

أَسْفَى طَوْلُهُمْ أَجْسَ حَزْمٍ وَغَفَّتْ عَلَيْهِمْ نَصْرَةٌ وَلَيْمٌ

(الديوان ٢٨٩/٣) والبيت في الديوان هكذا :

مَزَالَ يَهْدِي بِالْمَوَاقِبِ حَاتِبًا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ مَحْمُومٌ

ويروي بالمواهب والتندي .

أَجْسَ : يوسف به الزم كان به جفة وقوة . حزم : زهد . دوسوت : أو زهد سمطري .

(٣) أم طهم : الحى .

ومن أحسن ما تخيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي :  
 ذهب الذين تَهَرَّبُوا مُدَّأَحْمَهُمْ تَهَرَّبَ الكُفَّاءُ عَوَالِي الرِّوَانِ  
 كانوا إذا يُدْعَوْنَ رأوا ما فيهمُ فالأَرْحَمِيَّةُ منهمُ بِمَكَانٍ (١)  
 ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا وإلا فليست .  
 ووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت  
 رضى الله عنه قوله :

أنا البَهْغَاتُ الْفَرُّ يَلْتَمِعْنَ فِي الشَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَطْرُقْنَ مِنْ بَجَلَةٍ دَمًا (٢)  
 وقال إنه جمع الجففات والأسياف جمع قِلَّةٍ وهو في مقام غفر ، وهذا مما  
 يحط من المعنى ويضع منه ، وقد ذهب إلى هذا غيره أيضا ، وليس بشيء لأن  
 الغرض إنما هو الجمع ، سواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة .

(١) البروان ٤٧٤ من نصيصة ، مطلقا :  
 لئلا يحسون اليوم أهل زماننا أولى من الحاجين بالحرمان  
 (٢) كان النابتة الذي يأتي تضرب له قبة من آدم بسوق مكافئ ، يهجم إليه الصعراء ،  
 فدخل إليه حسان بن ثابت وعنتيه الأعمى وقد أنفذه شعره ، وأثدته الخلفاء إحدى مراتها ،  
 فقال النابتة : لولا أن أبا بصير أئسدتني قبلك ، لقلت إنك أشعر الناس ، أنت وإفك أشعر من  
 كل ذات مثابة ، فقالت وإفك ومن كل شيء خصيص . فقال حسان : أنا وإفك أشعركم ونبتا  
 قال النابتة : حيث تقول ماذا ، قال حيث أقول :  
 أنا الجففات التي يلمعن بالضحا ولدتا بين النقاء وأبى عرق وأسيافا يطرقن من نبتة دما  
 فأكرم بناخلا وأكرم بنا أبا  
 فقال النابتة : إنك لعاصر ، لولا أنك قلت عدد جفالك ، وفخرت بمن ولدت ولم تنخر  
 بين ولدك . وفي رواية أخرى أنه قال له : قلت الجففات فلقلت الدند ، ولو قلت الجفان لكان  
 أكثر ، وقلت يلمعن في الضحا ، ولو قلت يبرقن بالدم لكان أبلغ في المديح ، لأن الشيب  
 بالليل أكثر طروفا ، وقلت يطرقن من نبتة دما ، فقلت على قلة القتل ، ولو قلت يهرعن  
 لكان أكثر ، لاصطياب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تنخر بمن ولدك . فقام حسان  
 منكسرا منقطعا .

( الألفاظ ١٨٨ / أ واللوحع لمرزباني ٦٠ )

وبدل على ذلك قوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً لا تألفه حينها ولم يكن من المشركين ، شاكرًا لأنمه اجتهاد وهداه إلى صراط مستقيم » <sup>(١)</sup> أقره ثم الله كانت قلبية على إبراهيم صلوات الله عليه ؟

وكذلك ورد قوله عز وجل في سورة النمل « وأذخلك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آياتٍ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ، فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين . وحججوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » <sup>(٢)</sup> قال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة ، وما كان قوم فرعون بالقليل حتى يجمع نفوسهم جمع قلة ، بل كانوا مئتين ألوفاً ، وهذا أيضاً مما يبطل قول الصولي وغيره في مثل هذا للوضوح ،

وكذلك ورد قوله عز وجل « الله يتوفى الأفسس حين موتها والتي لم تمت في منامها » <sup>(٣)</sup> والنفوس كالموتاة والثائمة لا يتبعى إلى كثرتها كثرة لأنها نفوس كُتِل من في العالم .

وأعلم أن للدخ ألقاظاً تخصه ولذم ألقاظاً تخصه ، وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الأدب ألا تخاطب الملوك ومن يقاربه بكاف الخطاب ، وهذا غلط بارد ، فإن الله الذي هو مَلِكُ الملوك قد يخاطب بالسكان في أول كتابه العزيز فيقول « يا آله تَسْبُدْ ويا بك تَسْمَعِينَ » .

وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة ، إلا أني قد راجعت نظري في ذلك فראيت الناس يزمنهم أشبه منهم بآبائهم <sup>(٤)</sup> والعوائد لا حكم لها ،

(٢) سورة النمل ١٢ - ١٤

(٤) كانت في الأصل ( بآبائهم )

(١) سورة النحل ١٧٠ - ١٧١

(٣) سورة الزمر ٤٧

ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التصق في ترك الخطاب بالكاف ،  
لكنني تأملت أدب الشعراء والكتّاب في هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب  
في الشعر ، ويجاب في الكتابة إذا كان الخطّاط دون الخطّاب درجة ، وأما إن  
كان فوقه فلا عيب في خطابه إياه بالكاف ، لأنه ليس من التفريط في شيء ،  
فمن خطاب الكاف قول النابغة :

وإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المقتضى منك واسع<sup>(١)</sup>

وكذلك ورد قوله أيضاً :

حلفت فلم أترك لنفسك ريةً وليس وراء الله للره مذّهب<sup>(٢)</sup>

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضاً فقال أبو نواس :

إليك أبا المصور عذبتُ فالفى زيلةً خيلٌ وامتحانٌ كريم  
لأعلم ما ثماني وإن كنتُ حالاً بأنك معها تأتي غيرةً ملوم<sup>(٣)</sup>

وكذلك ورد قول السّلاسي<sup>(٤)</sup> :

إليك طوسي عرض البسطة جاعلٌ قُصارى المطايا أن يُلوح لها القُصر  
وبُشرت آمالي بملكٍ هو الورى وداري الدنيا ويوم هو الدهر<sup>(٥)</sup>

(١) من قصيدته في الاعتذار إلى التّيمان بن النضر (الديوان ٧١)

(٢) من اعتذاره للتّيمان بن النضر (الديوان ١٧)

(٣) من قصيدة في مدح الفضل بن الربيع ، مطلقها :

لن من زجاده حسن رسوم على طول ما أوتيت وطيب نسيم

(الديوان ٤٤٧)

(٤) من أشهر شعراء الرّاق ولد بكرخ بئداد ٣٣٦ هـ ويتنسب إلى بني عازوم (بقيّة

الدهر ٣٩٥/٢)

(٥) قُصارى المطايا : حدتها وغابتها . وكانت بالأصل نصار الطّايا (بقيّة الدهر ٤٠١/٢) .



وعليه ورد قوله البحرى :

واقْد أَنِيكَ طَالِبًا فَبَسَطْتَ مِنِّ

أَمَلِي وَأَطْلَبَ جُودُكَكَ مُطْلِي<sup>(١)</sup>

وَجُلِّي خطاب الشعراء المدوحين إنما هو بالكاف .

وذلك محذور على الكتاب ، فإنه ليس من الأدب عديم أن يخاطب الأدنى الأعلى بالكاف ، وإنما يخاطبة مخاطبة النائب لا مخاطبة الحاضر .

على أن هذا الباب بجملة يُرَكَّلُ النظر فيه إلى فطانة الخطيب والشاعر ، وإس مما يُوقَفُ فيه على المسووع خاصة .

ومن ألفت ما وجدته أنك إذا خاطبت المدوح أن تترك الخطاب بالأمر بأن تقول افضل كذا وكذا ونفرضه مخرج الاستفهام ، وهذا الأسلوب حسن جدا ، وعليه مسحة من جمال ، بل عليه الجمال كله .

فما جاء منه قول البحرى فى قصيده أولها . « بُوْدِيَّ لَوْ يَهْوَى المذول وَيَسْتَقُ » فقال فيها :

فَهَلْ أَنْتَ يَا ابْنَ الرَّاشِدِينَ مُخَيِّمِي بِيَا قَوْتَوْ تَبْنِي عَلَى وَنُشِيرُ<sup>(٢)</sup>

وهذا من الأدب الحسن فى خطاب الخطيفة ، فإنه لم يخاطبه بأن قال خَتَمْنِي بياقوه على سبيل الأمر ، بل خاطبه على سبيل الاستفهام ، وقد أجهجنى هذا المذهب وحسن عندي .

(١) الديوان ٢٠/١

وفيه ( لِي أَنِيكَ ) . أطلب جودك منك مطلي : أعطاني ما طلبت

(٢) من قصيدته فى مدح المستر باقة ، والشطر الثانى من البيت هو :

نَيْلِمُ أَصْبَابِ المَوَى كَيْفَ تَطْلُقُ

( الديوان ١٧٤/٧ )

تبهى : تحسن وتجميل . ويصح أن تكون تبهى على وزن تطلّى والمضى واحد . . .

وقد حذا حذو البحري شاعر من شعراء عصرنا ، فقال في مدح الخليفة الناصر  
 طهين الله أبي العباس أحمد من قصيدته على قافية الدال ، فقال من أبيات يصف  
 بها قصيدته :

أَمْقُوبَةُ يَا ابْنَ الْخُلَافِ مِنْ قَيْسٍ لَمْ يَكْ بَوْصِنِي هَادَةَ الْبُشَيْرِ رُؤُودُهُ (١)  
 قوله أَمْقُوبَةُ من الأدب الحسن الذي نسج فيه على منوال البحري .

وهذا باب مفرد ، وهو باب الاستفهام في الخطاب ، وإذا كان الشاعر فطناً  
 طامحاً بما يضمنه من الألقاظ والمعاني تَعَرَّفَ في هذا الباب بضروب التصرفات ،  
 واستخرج من ذات نفسه شيئاً لم يسبقه إليه أحد .

واعلم أن من المعاني ما يُعَبَّرُ عنه بألقاظ متعددة ، ويكون المعنى اللندرج تحتها  
 واحداً ، فمن تلك الألقاظ ما يلقى استعصامه بالمدح ، ومنها ما يلقى استعصامه بالذم ،  
 ولو كان هذا الأمر يرجع إلى المعنى فقط لسكانت جميع الألقاظ الدالة عليه سواء  
 في الاستعمال ، وإنما يُرْجَعُ في ذلك إلى العرف دون الأصل .

ولنضرب له مثلاً ، فنقول : هل يجوز أن يخاطب للأك فيقال له بحق دماغك  
 غيلاً على بحق رأسك ؟ وهذا يرجع إلى أدب النفس دون أدب العريس ، فإذا  
 أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذَكَرَ الرَأْسَ والمِائَةَ وَالْكَأِهلَ وما جرى هذا  
 المجرى ، فإذا أراد أن يهجو ذَكَرَ الدِمَاغَ وَالتَّقَا وَالتَّذَالَ (٢) وما جرى هذا  
 المجرى ، وإن كانت معاني الجميع مقاربة . ومن أجل ذلك حَسَنَتِ السَّكْنَاةُ في  
 الموضع الذي يفتح فيه التصريح .

(١) الرُّؤْدُ والرَّأْدُ والرُّدُّ : الثَّابِتُ الحَسَنَةُ . المعنى هل قيل في مدحى الخليفة من شعري

(٢) التَّذَالَ : يجمع مؤخر الرأس

ومن أحسن ما بلغني من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قتيب بن أشيم قال له : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد .

فانظر إلى أدب هذا العربي الذي من شأنه وشأن أمته جفاء الأخلاق ، والهدم عن لطافة الآداب .

ابو فراس :

وأما الإفراط فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرون ، وللذهب عندي استمالة ، فإن أحسن الثمر أ كذب به ، بل أصله أ كذب ، لكنه تفاوت درجاته ، فنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ، ، ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى ، لأنه مهما ذكر به من اللغات<sup>(١)</sup> في صفاته فإنه دون ما يستحقه .

وعما ورد من ذلك في الشعر قول عنزة :

وأنا المذبة في المواطن كلها والطن منى سابق الأجل<sup>(٢)</sup>

وقد يروى<sup>(٣)</sup> بالياء وكلا المصنفين حسن إلا أن الياء أكثر غلوا .

وعما جاء على نحو ذلك قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما<sup>(٤)</sup>

(١) كانت الكلمة بالأصل ( الماملات )

(٢) ديوان عنزة ١٧٩ والبيت بالبروان هكذا :

وأنا للثوب حين تنصير التنا والطن منى سابق الأجل

(٣) يروى سابق الأجل ، أي يسولها .

(٤) روى البيت هكذا بالعم والصراء لابن تلبية ١٧٨ والبيت بالألف ٣١/٣ هكذا

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

ومنه ما يستجيب ، كقول النابغة الذبياني :

إذا أُرْتَمَتْ خاف الجبانُ رماها ومن يَتَقَلَّقُ حيثُ عُلِقَ يَفْرَقُ <sup>(١)</sup>

وهذا يصف طول لابسها <sup>(٢)</sup> لسكته من الأوصاف المنسكرة التي خَرَجَتْ بها  
الشيعة عن حيز الاستحسان .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرني حتى إنه لَتَخَاكَ التَّنْفُ التي لم تُفَلِّقْ <sup>(٣)</sup>

وهذا أشد إفراطاً من قول النابغة .

وبروي أن القتيبي لقى أبا نواس فقال له أما استصحت الله حيث تقول ،

وأشده البيت ، فقال له : وأنت ما رأيت الله حيث قلت :

ما زلتُ في غمرات اللوت مُطَرَّحًا يَغْنِي عني وَسَيْعُ الرأى من حِيلِ  
ظلم تَزَلْ دائماً تَسْمَى بِلُطْفِكَ لي حق اخْتَلَسَتْ حَيَاتِي من يَدَي أَجَلِ

فقال له القتيبي : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ، ولكذلك قد

أعدت لكل ناصح جواباً :

(١) من أبيات له في النزول ، ويده :

وإن ضحكك لقصم ظلت روايا إليها وإن تهيم إلى المنزل يروى  
رمشت : طرشت ، الرعدة : القربط

الدريوان من مجموعة دواوين طبية المطبوعة الأهلية ببيروت ص ٥٦ .

(٢) لأنه يريد طول ثيابها ، لأن البيت كتابته عن طول الرقبة لا طول الثغامة

(٣) من مدحة الرشيد ، مطلبها :

خلق العليبي وشروني لم تخلق ورويت في غرض الزمان بأفوق

الديوان ٣٩٨ خلق على وزن سمع وكرم ونصر : بل . القمرة : الحقة واللفظ . غرضاً : هدف . أفوق : سهم كسر لوقه أي موضع الوتر من السهم .

وقد أورد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال :  
كَدْتُ مُنَادِيَةَ الدَّمَاءِ سُهُوفَهُ قَلَقْنَا نَحْنُهَا الْأَجْنَانُ  
حَقَّ الْقَتْلَى فِي الرِّثْمِ لَمْ يَكْ سُورَةٌ لِنُزَادِهِ مِنْ نَوْبِهِ خَفَقَانُ (١)  
وما يحىء في هذا الباب ما يجري هذا الجرى .

وقد استعمل أبو الطيب المتنبي هذا القسم في شعره كثيراً فأحسن في مواضع  
منه ، فمن ذلك قوله :

عَبَاجًا تَمُتُّ الْيَتَامَانُ فِيهِ كَانَ الْجَوُّ وَمَتَّ أَوْ خَبَرُ (٢)  
ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال :  
هَدَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِيْرًا لَوْ تَبَقَّيْتُ مَنَقًا عَلَيْهِ لَأَمْسَكَا (٣)

(١) من مفعله الرعييد ، مطلقاً :

حس الديار إذ الإيمان زمان ولا الشباك لنا حرى ومعان

الديوان ٤٠٤

الروح ، بكسر الراء وسكون الحاء ، وبكسرهما ، ما مقر الجنين في جفن أمه . الشباك :  
جره شبكة . حرى : خليق بنا . معان : هون . يريد أن شباك الموى فيها مضى كانت تصيب .  
(٢) من مدحة سيف الدولة ، مطلقاً :

طوالها لنا نطافها قصار وفلارك في لدى ووفى بحار

الديوان ٢٤٣

عباجاً : منصوبة على التبعية لا قبلها في بيت سابقين . والعباج : النيار .  
اليتامان : جر مطاب وهو طير جارح . الوعت : المكان السهل البين الذي تنفس فيه  
الأندام . الحبار : ملان من الأرض واسترخى . يريد أن يتعان التي تدير فوق الجيش تتر  
في ذلك الشبار الكثيف ، فكأن الجوار أرض لينة تنفس فيها أرجلها .  
(٣) من قصيدة في مدح بدر بن حمار (الديوان ٤٢٥/٤) السنايك : جر سنبك وهو  
طرف مقدم الحمار . الشير : الثيار . الشقي : سير شهيد .

وهذا أكثر مغلاة من الأول .

ومن ذلك قوله أيضاً :

كَأَنَّمَا تَتَقَلَّامُ لَتَسْلُكِهِمْ فَالطَّنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَانِ مَا يَسَّحُ (١)

وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم :

مَلَكْتُ بِهَا كَفًى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَضَّهَا يَرَى ظَنَّمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا (٢)

لكن أبو الطيب أكثر غلواً في هذا المعنى ، وقيس بن الخطيم أحسن ، لأنه قريب من المسكن ، فإن الطمنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء ، وأما أن يعمل للطنون مسلكاً يسلك كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل ، ولا يقال فيه بعد .

هو فتصاد :

وأما الاقتصاد فهو وسط بين المنزلتين ، والأمثلة كثيرة لا نحصى ، إذ كل ماخرج عن الطرفين من الإفراط والتفريط فهو اقتصاد .

ومن أحسنه أن يحمل الإفراط مثلاً ، ثم يستثنى فيه بل أو يكاد وما جرى مجراهما .

فمن ذلك قوله تعالى « يكاد البرق يخطف أبصارهم » (٣) وكذلك قوله عز وجل : « وأهـ لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً » (٤) وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيراً .

(١) من مدح حبيب الدولة ، مطلع القصيدة :

شيري بأكثر هذا الناس ينضج إن قاتلوا بينوا أو حدثوا شجوا  
الدبران ٣٩٢/٢

(٢) شرح الحماسة للبرزوقي ( ١٨٤/١ ) يصف طمنته لابن عبد القيس :

طمن ابن عبد القيس طمنة نازة لما قدز لولا الصماع أضاءها  
الصماع : يفتح العين المم المخرق ، يريد أن الطمنة كانت تنلج الضوء لولا الدم المنبثق  
من البرج . (٣) سورة البقرة ٢٠ (٤) سورة البقر ١٩

ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق :

يَسْكَدُ يُسْكِكُ مَرَّانَ رَا حَ رُكْنُ الْعَظِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ (١)

وكذلك ورد قول البحتري :

ظَلُّوا نَ مَشَقًّا تَسْكُنُ فَوْقَ مَا فِي وَشْهٍ لَسَى إِلَيْكَ الْمَيْتَرُ (٢)

وهذا هو اللذهب المورط .

### النوع السادس والشعرون

#### في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء البيان يَنْفِصُونَ الاشتقاق من التجنيس ، وليس الأمر كذلك ، بل التجنيس أمر عام لمذنب النوعين ومن الكلام ، وذلك أن التجنيس في أصل الوضع من قولهم : جَانِسُ الشَّيْءِ الشَّيْءَ إِذَا مَا لَمْ يَشَابِهْ ، ولما كانت

(١) من قصيدة منسوبة لفرزدق ، وليست في ديوانه معلما :

هَذَا ابْنُ خَيْرٍ عِبَادَ اللَّهِ كَلِمَهَا هَذَا التَّقِيُّ التَّقِيُّ الطَّامِرُ الْعِلْمَ

وظفه أن مقام بن عبد الله كان يطلب بالبيت ، فأراد استلام الحجر فرفع ، فنصب له منبر ، جلس عليه ، وبينما هو كذلك إذ أتى على بن الحسين فقال ، وأني ليستلم الحجر ، فجنسه الناس حمية وإجلالا ، فقاط ذلك مقام ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي أكرمته الناس وأعطوه ؟ فقال مقام : لا أمر له ، فثلا يظلم في نفوس أهل الشام ، فقال الفرزدق . — وكان حاضرا — هذه القصيدة .

( زهر الآداب ٦٥/١ والأغانى ٤٠/١٩ ) وتروى القصيدة لعز بن الكنانى عمرو بن حيد بن وهب في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وتروى لداود بن سلم في مدح لأم بن العباس بن عبد الله بن العباس . وتروى لعبد القري في طي بن الحسين .

(٢) من قصيدته في مدح التوكل وتهنئته بجد القطر ، معلما :

أَخِي هَوَى لَكَ فِي الضَّلُوعِ وَأَظْهَرَ وَالْأَمَّ فِي كَدِّهِ عَلَيْكَ وَأَعْتَدَ (الديوان ٢١١/١) وبالأصل (لو أن)

الحال كذالك ووجدنا من الألفاظ ما يتماثل ويشابه في صيغته وبنائه عليه  
أن ذلك يُطلق عليه اسمُ التجنيس .

وكذلك لما وجدنا من المائى ما يتماثل ويشابه فلما أن ذلك يُطلق عليه  
اسمُ التجنيس أيضا -

فالتجنيس إذا يقسم قسمين : أحدهما تجنيس في اللفظ ، والآخر  
تجنيس في المعنى .

فأما الذى يتعلق باللفظ فإنه لم يُنقل عن بابه ولا غُيِّرَ اسمه ، وقد تقدم  
ذكره في باب الصناعة اللفظية .

وأما الذى يتعلق بالمعنى فإنه قِيلَ من بابه في التجنيس ، وسمى الاشتقاق  
أى أحد اللغتين مُشتَقٌّ من الآخر . وهو على ضربين : صنير وكبير ، فالصنير أنه  
تأخذ أصلا من الأصول فتجعم بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومعانيه ،  
كتركيب ( س ل م ) فإلك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو سليم وسالم  
وسلمان وسلمى والسليم الذى أطلق عليه ذلك تفادولا بالسلامة .

والأصل في ذلك أن يضع واضع اللفظ اسما أول لمسمى أول ، ثم يجد مسمى  
آخر أو مسميات شبيهة بالمسمى الأول ، فيضع لها اسما كالاسم الأول ،  
كقوله سرير اسم للأحمى ، والضر ضد النعم ، والضرراء الشدة من الأمر ،  
والضر بالضم المزال وسوء الحال ، والضرر الضيق والضررة إحدى  
الزوجين ، فإن هذه المسميات كلها تدل على الأدنى والشر ، واسماؤها متشابهة  
لم تخرج عن الضاد والراء ، إلا أنا الآن لاضم ما هو الأول منها حتى نحكم على  
الثانى أنه مشتق منه ، لكن نظم في السليم الذى أطلق عليه مشتق من السلامة ، لأنه



خذتها ، قبل من أجل الخنزول بالسلامة ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول ،  
كقولنا هَشَمَكَ هاشم ، وحاربك محارب . وسالمك سالم ، وأصاب الأرض  
صَيَّب ، فهذه الألفاظ كلها لفظها واحد ومعناها واحد ، أما هاشم فإنه لم يسم بهذا  
الاسم إلا لأنه هَشَمَ الثريد في عام سَحَلٍ فسمى بذلك ، وأما محارب فإنه اسم  
فاعل من حارب فهو محارب ، وأما سالم فمن السلام وهو اسم فاعل من سلم ،  
وأما الصيَّب فهو المطر الذي يشتد صوبه أى وقته على الأرض .

ولايُقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «أَسَلِمُ سَأَلِمَا الله ،  
وَعَفَّارُ عَفَّرَ اللهُ لَهَا ، وَمُعَصِيَةُ عَصَتْ اللهُ » فإن أسلم وعفار وعصية أسماء  
مقابل ، ولم تسم أسلم من السالة ، ولا عفار من العفرة ، ولا عصية من تصنيه  
حسا . وهذا هو التجنيس ، وليس بالاشتقاق ، والنظر في مثل ذلك يحتاج إلى فكرة  
وتدبر ، كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق .

وعا جاء من ذلك شعرا قول البحري :

أَيَّاهُ سَلِمَى بِكَافَّةً اسْتَلَمَا<sup>(١)</sup>

وكذلك قول الآخر :

وما زال مَمْقُولًا يَحْكُلُ من القُدَى وما زال مَهْبُوسًا عن النهر حَابِسُ<sup>(٢)</sup>

وربما ظن أن هذا البيت وما يجري مجراه تجنيس ، حيث قيل فيه مقول  
وحبال ومحبوس وحابس ، وليس الأمر كذلك .

وهذا الموضوع يقع فيه الاشباه كثيرا على من لم يقض معرفة . وقد تقدم القول

(١) مظم تصديده في مدح أحد وإبراهيم أبي الدبر . وعجزه : ( وتدلنا أن الهوى  
ملصقتا ) الديوان ٢٣٩/٢ .

(٢) جرير في حياء الفرزدق . والبيت في الديوان ( ٣٢٦ ) هكذا .  
فما زال مقولا عقال من اللا وما زال محبوسا من المجد .

أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وقال وسقول وحابس  
ومحبوس اللفظ فيها واحد والمعنى أيضا واحد ، فهذا مشتق من هذا ، أى قد شق منه .  
وكذلك ورد قول هاتره :

لقد علمتم القائل أن قوى لهم حد إذا ليس الجديد<sup>٩٠</sup>  
فإن حدا وحديدا لفظها واحد ومعناها واحد .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتعقد عليه وعلى  
أركبه معنى واحدا يجمع تلك التركيب وما تصرف منها ، وإن تعاهد شيء من  
ذلك عنها رد بطاف الصنعة والتأويل إليها ، ولتفرض كذلك مثلا فنقول إن  
لفظة ( ق م ر ) من الثلاث لها ست أركيب وهي ق م ر ، ق م ر ، ق م ر ،  
م ق م ، م ق ر ، م ر ق فهذه الأركيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدّة .  
فأقرم شدة شهوة اللحم ، وقدر الرجل إذا غلب من يقاربه والرقم الداهية  
وهي الشدة التي تلحق الإنسان من دهره ، وعيش مرتقى أى ضيق ، وذلك ومع  
من الشدة أيضا ، وانقرض شبه العهر يقال أقر الشيء أمره ، وفي ذلك شدة على  
الذائق وكراهة ، وترقى الدهم إذا غدق من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته .  
واعلم أنه إذا سقط من أركيب الكلمة شيء فجاز ذلك في الاشتقاق ، لأن  
الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة ، بل من شرطه أن الكلمة  
كيف تقلبت بها أركيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها .

فهناك ما سقط من تركيب الثلاث لفظ ( و س ق ) فإن لها خمس أركيب  
وهي و س ق ، و س ق ، س و ق ، ق س و ، ق و س ، وسقط من جهة الأركيب

(١) في شرح الهندسة لمرزوقى ٢٨٨/١ نسبة البيت إلى حيان بن ربيعة . وروايته هكذا :

لقد علم القائل أن قوى ذوو جدد إذا ليس الجديد

قم واحد وهو س ق و ، وجميع الخسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا ،  
فالوسق من قولهم استوسق الأمر أي اجتمع وقوى ، والوسق ابتداء الحرب ،  
وفي ذلك شدة على من يجهيه ويلاء ، والوسق متابعة السير ، وفي هذا معناه  
وشدة على السائق والنسوق ، والقسوة شدة القلب وغلظه ، والقوس معروفة ،  
وفيها نوع من الشدة والقوة لزعما السهم وإخراجه إلى ذلك للمرى للتبعاد .

واعلم أنا لا ندعى أن هذا يطرد في جميع اللغة ، بل قد جاء شيء منها كذلك ،  
وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تنقلب على ضرب من  
التقابل ، وهي مع ذلك دالة على معنى واحد ، وهذا من أعجب الأسرار التي  
توجد في لغة العرب وأغربها ، فاعرفه .

إلا أن الاستعمال في النظم والفنر إنما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير .  
وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الألفاظ الواردة عليه ، والاشتقاق  
الكبير لا يكاد يوجد في اللغة إلا قليلا ، وأيضا فإن الحُبْنَ القلبي الذي هو  
النصاحة إنما يقع في الاشتقاق الصغير ولا يقع في الاشتقاق الكبير ، الأثرى إلى  
هذين الأصلين الواردةين حاهما وحا ( ق ر م ) و ( وس ق ) إذا نظرنا إلى  
تراكيبهما ، وأردنا أن نسبكهما في الاستعمال يأتي منهما مثل ما يأتي في  
الاشتقاق الصغير حنا ورونا ، لأن ذاك لفظه فقط تجبئس ، ومعناه معنى  
اشتقاق ، والاشتقاق الكبير ليس كذلك .

## النوع السابع والعشرون

### في التضمين

هذا النوع فيه نظر بين حسن يكتب به الكلام طلاقة ، وبين ميسر عند قوم ، وهو عديم ممدود من عيوب الشعر ، ولكل من هذين القسمين مقام .

#### التضمين الحسن

فأما الحسن الذي يكتب به الكلام طلاقة فهو أن يضمن الآيات والأخبار النبوية ، وذلك يرد على وجهين : أحدهما تضمين كل ، والآخر تضمين جزئ .

فأما التضمين الكل فهو أن تذكر الآية والخبر بجملة ، وأما التضمين الجزئ فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام ، فيكون جزءا منه ، كالذي أوردته في حل الآيات والأخبار في الفصل المباشر من مقدمة الكتاب .

وقد قيل إنه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم في غضون الكلام من غير تبين ، كي لا يشبه ، وهذا القول لا أقول به ، فإن القرآن الكريم أبين من أن يحتاج إلى بيان ، وكيف يتحقق وهو للمعجز الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ، فإن كانت الفأوضة في الفقرة بينه وبين غيره من الكلام إذا أدرج فيه مع جاعل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه ، وإن كان الكلام مع عالم فذاك لا يتحقق منه القرآن الكريم من غيره . ومفعلي في هذا هو ما تقدم ذكره في الفصل المباشر من مقدمة الكتاب ، وهو أحسن الوجهين عندي ، وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكاملها ، بل يؤخذ جزئها ويحمل أولا لكلام أو آخر ، هذا إذا لم يقصد به التضمين . فأما إذا

تَحْدِيدَ التَّضَمُّينِ فَتُؤْخَذُ الْآيَةُ بِكُلِّهَا ، وَتُدْرَجُ تَرْجَا ، وَهَذَا يَسْكُرُهُ مِنْ لَمْ يَلِيقَ مَا ذَقْنَهُ مِنْ طَعْمِ الْبَلَاغَةِ ، وَلَا رَأَى مَلَأَ يَتَهُ .

### التضمين المريب

وأما المريب عند قوم فهو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصائين من الكلام للشور ، على أن يكون الأول منهما مستقدا إلى الثاني ، فلا يقوم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني ، وهذا هو المدحود من عيوب الشعر . وهو عندى غير مريب ، لأنه إن كان سبب صيه أن يُملَأَ البيت الأول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيبا ، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين التقرين من الكلام للشور في تعلق أحدهما بالآخر ، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مُتَقَنَّى دَلٌّ على معنى ، والكلام للسجوع هو كل لفظ ملقى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير .

والفقر المسجوع الذى يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم فى مواضع منه ، فمن ذلك قوله عز وجل فى سورة الصافات « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالَ فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْضٌ إِلَى بَعْضٍ يَقُولُ أَفَأَنْتَ لِمَنِ الصَّدَقَتَيْنِ ، أَتَعْذِرَانِي وَأَكْفُرَانِ » (١) .

فهمه الفقر الثلاث الأخيرة مرتبط بعضها ببعض ، فلا تخم كل واحدة منهما إلا بالتي تليها ، وهذا كالأبيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ، ولو كان عيبا لما ورد فى كتاب الله عز وجل .

وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة الصافات أيضا « فَانكِسِرُوا وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُّقْتَرِنِينَ إِنْ مِنْكُمْ حَسَالُ الْجَحِيمِ » (٢) فالأيهان الأوليان لا تضم أحدهما إلا بالآخرى .

(١) سورة الصافات ٥١ - ٥٣

(٢) سورة الصافات ١٦١ - ١٦٣

وهكذا ورد قوله عز وجل في سورة الشعراء: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَسِّحُونَ»<sup>(١)</sup> ، فهذه ثلاث آيات لا تقسم الأولى ولا الثانية إلا مائتة ، ألا ترى أن الأولى والثانية في معرض استنهام يقتضيان جواباً ، والجواب هو في الثالثة ؟ .

وبما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم :

ومن البؤسَى التي لِي من لها في الداء كُفَّةٌ  
أَنْ مِنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدْعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

ألا ترى أن البيت الأول لم يعم بنفسه ولا يعم معناه إلا بالبيت الثاني ؟  
وقد استعمله العرب مستشهداً ، وورد في شعر لحول شعرائهم ، فمن ذلك قول  
أمرئ القيس :

قلتُ لِمَا تَمْتَلِي بِشَيْئِهِ وَأَرْدَفَ أَهْجَا وَانَاءٍ بِتَكْثُلِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلْ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلِ<sup>(٢)</sup>  
وكذلك ورد قول الفرزدق :

وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدَّوَا حُرُوقَ الْأَكْرَدِينَ إِلَى الثَّرَابِ  
بِمَحْتَفِلِينَ لَنْ تَفْضَلْتُمُونَا عَلَيْهِمْ فِي الْقَدِيمِ وَلَا غِيْضَابِ<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الشعراء ١٠٥ - ١٠٧

(٢) من مملكتي ، في وصف الليل ( الديوان ١٨ ) وليل البعيرين :

وليل كوج البعير أرغى سدوده على بأفواج المعلوم ليل

(٣) من شعر الفرزدق لما اجتمع هو وجبرير وكثير وابن الرفاع عند سليمان بن عبد الملك

وقال لهم : أنشدوا من شعركم شيئا حسنا ، فبدروا الفرزدق فقال :

ولو ربح السحاب إليه قوما ملونا في السماء إلى السحاب

( الأغانى ٢٣/١٩ والديوان ٣٦/١ )

وكذلك ورد قول بعض شعراء الجلساء :

أَتَمَرَى لَرَحْمَتِ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً طَلِبُهُ وَإِنْ قَالَوا بِهِ كَلَّ مَرَّ كَتَبٍ  
من الجانب الأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَائِفِي جَزِيلٍ وَلَمْ يُخَيِّرْكَ يَمْتَلُ بِحَرْبٍ (١)  
الضرب الثاني من التضمين ، وهو أن يضمن الشاعر شعره والتأثر نثره  
كلأما آخر لنثره ، قصدا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك  
التضمين لكان المعنى تاما .

وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بصف بيت أو أقل منه كما قال جسيطة :  
تَمَّ قَاتِلِيهَا بِأَغْلَامٍ وَعَسَى ذَهَبَ الْبَيْنُ يَمَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ (٢)  
الآية أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب البين يماش في أكتافهم لكان  
المعنى تاما لا يحتاج إلى شيء آخر ، فإن قوله تم قاتلها بأغلام وعسى فيه كفاية ،  
إذ لا حاجة له إلى تعيين الفناء ، لأن في ذلك زيادة على المعنى المقصود لامل  
الغرض المقصود .

وقد ورد هذا في عدة مواضع من شعر أبي نواس في الخمرات ، كقوله .  
في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب :

قُلْتُ هَلْ لَكَ فِي الصَّبَاءِ تَأْخُذُهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ حَيْنٍ الْعَيْشُ مُقْتَبِلُ  
جِيرِيَّةٍ كَشَمَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَةٍ يُحِيطُ بِالسَّكَّاسِ مِنْ لَأَلَّهَا شَمَلُ

والرواية في الديوان :

لَمَّا أَحَدٌ مِنَ الْأَقْوَامِ عَدُوا  
يُحْفَظُونَ إِنْ فَضَلْتُمُونَا  
مَحْفُظِينَ : غَضَابُ مِنَ التَّيْلَةِ بِمَعْنَى الْغَضَبِ  
عَلَيْهِمْ فِي الْأَكْرَمِينَ عَلَى الْغَضَابِ طَبِيعُ فِي الْقَدَمِ وَالْغَضَابِ

(١) شرح المَرْزُوقِي لِلْجَيْشِيَّةِ ٣٥٨/١ وَالْقَائِلُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ كَالِ الْمَيُونِ ٢/١٠٣-١٠٤  
وَالْبَيَانُ وَالْبَيِّنُ ٣/٢٥٠

(٢) الْقَطَرُ الثَّانِي صَدْرُ بَيْتٍ لَيْلِي بْنِ رِيعة :

ذَهَبَ الْبَيْنُ يَمَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ وَيَعْتَلِي خَلْفَ كَبِدِ الْأَجْرِبِ

مقال عاتٍ وأسمنا على طربٍ ودفع هريرة إن الركب مرميل<sup>(١)</sup> ،  
وكذلك قوله أيضاً :

وطافى خلوب اللفظ خلوي كلامه      مقبله سهل وجانبه وفره  
نحلت له منها نظره لوتجب      وأمكن منه ما يحيط به الأزر  
قدمت إليه والكرسى كحل عينه      قبلته والصب ليس له صبر  
إلى أن تقلى نومه عن جفونه      وقال: كسبت الدنب قلت: لي الذئب  
فأعرض مژوداً كان بوجهه      تدفق رمان وقد برد الصدر  
فا زلت أدهم وأليم سده      إلى أن تنق راضياً وبه سكر  
ألا تأسلى بأدارتي على الهل      ولا زال مثلاً بجزعائك القطر<sup>(٢)</sup>

وقد استعمل هذا الضرب كثيراً الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله ،  
فن ذلك قوله في بعض خطبه وهو : « فإيا أيها النفقة المطرقون ، أما أنتم بهذا  
الحديث مُصدّقون ، فإلكم منه لا تشفقون ، فورب السماء والأرض إنه لحقى مثل  
ما أنكم تنطقون<sup>(٣)</sup> » .

(١) الديوان ١١٦ كانت بالأصل ( ذات حر ) و ( وتطير بالكس ) و ( ذهبتا حل  
طرب ) ذات من : ذات فرج . مقبل : نصير . حربة : منسوبة إلى الحربة بالعراق . لألأها :  
يريقها والقطر الأخير من مطلع قصيدة الأعمى :  
ودع هريرة إن الركب مرميل      وهل تطيق وداعاً أيها الرجل  
( الديوان ٥٥ )

(٢) الديوان ١٠١

قول الديوان ( سكت له منها ) و ( راضياؤه الفكر ) . نحلت : أعطيت . تدفق رمان: رمان  
مفسر . يربد حرة الوجه من الخجل أو الآثار التي فيه من تلك الليلة . البيت الأخير في  
الرملة . الجرماء : الرمة الطيبة للثبث لا ومونة فيها أو الكتيب باب من رمل وجانب حجارة  
(٣) ( فورب السماء والأرض إنه لحقى مثل ما أنلكم تنطقون ) سورة القارئات ٢٢



وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو: « فيومئذ تندو الخلائق على الله جهنما »  
فوحاسبهم على ما أحاط به علما ، ويتفقد في كل حامل بسمة حكمنا ، وجمعت الوجوه  
للحق الفيوم وقد خلب من نخل ظانا<sup>(١)</sup> .

ألا ترى إلى براءة هذا التضمين الذي كأنه قد رُسم في هذا الموضع رسماً ؟  
وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو: « هناك يقع الحساب  
على ما أحصاه الله كتاباً ، وتسكون الأعمال للشوبة بالخلق سرايا ، يوم يقوم  
الروح ولللائكة صفا ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً<sup>(٢)</sup> »

ومما ينتظم بهذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو: « أسكنهم الله الذي  
إنطقهم ، وأبداً الذي خلقهم ، وصيحتهم كما أخلقهم ، ويحسبهم كما فرغهم ،  
يُسبِّدُ الله العالمين خلقاً جديداً ، ويجعل الظالمين لدار جهنم وقوداً ، ويوم تكونون  
شهداء على الناس ويكونُ الرسول عليكم شهيداً ، يوم نحد كل نفس ما عملت من  
خير فحضرها ، وما تحملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً<sup>(٣)</sup> » .

ومن هذا الباب قوله أيضاً: « هناك يُرفعُ الحجاب ، ويوضع الكتاب ،  
ويُجْعَلُ مَنْ وَجِبَ له الثواب ومن حُقَّ عليه العقاب ، فيُضْرَبُ بينهم بسور  
له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب<sup>(٤)</sup> »

وأمثال هذه التضمينات في خطبة كثيرة وهي من مجلس ما يسمى في هذا النوع .

(١) ( ومنت الوجوه .. ظنا ) سورة طه ١١١ هم : ليس بهم شيء ما كان الدنيا نحو  
البس والرج ، أو مرة ( الفلوس المحيط مادة هم )  
(٢) ( لا من أذن ... صواباً ) سورة النبا ٣٨  
(٣) ( يكون الرسول عليكم شهيداً ) سورة البقرة ١٤٣ ( يوم نحد كل نفس ... أمداً  
بعيداً ) سورة آل عمران ٣٠  
(٤) ( بسور ... العذاب ) سورة الحديد ١٣

## الدوع الثامن والعشرون

### الإرصاد

وحقيقته أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أُرصد لها ، أى  
أُعدّها في نفسه ، فإذا أنشد صدر البيت عرّف ما يأتى في قافيته ، وذلك من  
عمود الصلوة ، فإن خبر الكلام مادل بمضه على بعض .

وفى الافتخار بذلك يقول ابن نُهاثة السدى :

خُذْهَا إِذَا أَنْشَدْتَ فِي الْقَوْمِ مَنْ طَرَسَ صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَائِفُهَا  
يَلْتَمِى لَهَا الرَّاكِبُ التَّجْلَانُ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْفَضْبَانُ يُطْرِبُهَا<sup>(١)</sup>

فمن هذا الباب قول النابغة :

يَدَاهُ لَامِرَى سَارَتْ إِلَيْهِ يَمِذَرُو رَبَّهَا مَهْمَى وَخَالَى  
وَلَوْ كُنَى الْيَمِينُ بَنَتَكَ خَوْفَا لَا فَرَدْتُ الْيَمِينَ عَنِ الشَّالَى<sup>(٢)</sup>  
الآثرى أنه يُعَلِّمُكُمْ إِذَا عَرَفْتِ الْقَافِيَةَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَنَّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي  
حَذَرَ الشَّالَى ؟

وكذلك جاء قول البحترى :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ الْقِيَامِ كَلَامِي  
فَلَيْسَ الْقَدَى حَلَالِي بِمَحَالٍ وَلَيْسَ الْقَدَى حَرَمَتِي بِمَحْرَمٍ<sup>(٣)</sup>

(١) ياتمة النحر ٣٧٩/٧ وكان بالأصل يطويها .

(٢) من مذهب قنيمان بن النذر والاعتذار له

وبالأصل « ولو كفى اليمين ففكك خوفًا »

(٣) من قصيدته في مدح الخوكل ، التي مطلعها .

الأجل أنا ما بالي بسلامي وهل خبرت وجهي بها وخرأي

( الديوان ٢٢٧/٧ )

فليس يذهب على السامع - وقد عرف اليت الأول وصدر اليت الثاني -  
أن مجزؤه هو ما ٤٥ الهجوى .

وقد جاء الإحصاء فى الكلام للشور كما جاء فى الشعر .

فمن ذلك قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا ، ولولا كلمة  
سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » (١) .

فإذا وقف السامع على قوله تعالى (قضى بينهم فيما فيه) عرف أن بعده  
يختلفون ، لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضا قوله عز وجل : « فمنهم من أرسلنا على حاصبنا ، ومنهم  
من أخذناه بالصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أفرغنا ، وما كان  
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٢) وعلى نحو منه جاء قوله تعالى :  
« مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَتُمَلُّوا الْمَسْكُوتِ أَخَذَتْ أَلْبَتَا ، وَإِنْ  
أُوتِيَ الْبَيُوتَ لَبِيتُ الْمَسْكُوتِ » (٣) فإذا وقع السامع على قوله عز وجل  
( وَإِنْ أَوْهِنَ الْبَيُوتَ ) يعلم أن بعده بيت المسكوت .

ورأيت أبا حلال السكوى قد تنبى هذا النوع التوشيح (٤) ، وليس

(١) سورة يونس ١٩

(٢) سورة النكبت ٤٠

(٣) سورة النكبت ٤١

(٤) فى كتاب المناجحين ٣٨٧ « سبى هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة  
بهذا المعنى ، ولو سبى بيتنا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ من مطلعته ،  
وأوله مجزئ آخره ، وصدره يعهد بمجزئه ، حتى لو سمعت همرا ، أو عرفت رواية ، ثم سمعت  
بصدر بيت منه وقتت على مجزئه قبل بلوغ السماع إليه ... » ومن هذا يبدو أن ابن الأثير  
قد وظف لاسم تسمية هذا الفن ( التوشيح ) إلى أبي حلال السكوى ، والحقيقة أن الذى سماه  
بذلك لقدمه بن جسر ، لأنه حمل التوشيح من أنواع اختلاف الغالبية مع ما يدل عليه سطر  
بمعنى البيت ، وقال فى تعريفه : هو أن يكون أول البيت هاءا بقلبيته ومسانما متصلا به ، حتى  
لأن الذى يرف ظلية التسمية إذا سم أول البيت متباغرف آخره ، وبانتة قلبيته ( نقول )

كذلك ، بل سميت بالإرصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم سماءه ولانق به ،  
وأما التوشيح فله نوع آخر من علم البيان ، وسيتأتى ذكره بعد هذا النوع  
إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم  
البيان ، حتى إن أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقاداً منه أن ذلك النوع  
نوعان مختلفان ، وليس الأمر كذلك ، بل هما نوع واحد .

فمن غلط في ذلك الثاني<sup>(١)</sup> ، فإنه ذكر باباً من أبواب علم البيان وسماه  
التبليغ ، وقال : هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون الثقافية  
فيا ذكره صريح ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها ، حتى يتم وزنه ، فيبلغ بذلك  
الثانية القصوى في الجودة ، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ عُمُونَ الرِّخِيصِ حَوْلَ نِيْهَاثَا وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ أَقْبَى لَمْ يُقْبَبِ<sup>(٢)</sup>  
فإنه أتى بالتشبيه تاماً لئلا يفتقر ، ولما جاء بها بلغ الأمد الأقصى في المبالغة .

ثم إن الثاني ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه الإشباع ، فقال : هو  
أن يأتي الشاعر بالبيت مُكْتَفًى الثقافية على آخر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك  
إلا الحدائق الشعراء ، وذلك أن الشاعر إذا كان بارعاً جلبَ بقدرة وذكائه  
وضغطه إلى البيت - وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه - فأنه متممة  
لأغراضه ووزنه ، فجاءها فتاً للذكور ، كقول ذي الرمة :

(١) أبو العلاء بن غان المعروف بالثاني كان من فضلاء عصره وشعرائه  
البيان ١٦٦/٣

(٢) الدهوان ٥٣ الجزع أقبى لم يقب : شبه عيون الوحش لما فيها من سواد وياض  
بمزج فيه مثقب لأن ذلك أصنى له وأتم لحسنه .

قِفْ العيس في اطلال مئة فاسأل رُسوما كاخلاق الرداء للسنسلي»

هذا كلام الغاني بهيه ، والهابان المذكورين سواء ، لا فرق بينهما بحال .

والله لعل حل ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيه ، وكذلك بيت ذي الرمة ، ألا ترى أن امرأ القيس لما قال : «كأن هون الوحش حول خباتنا ، وأرسلنا الجزع» أتى بالثبته قبل القافية ، ولما احتاج إليها جاء زيادة حسنة ، وهي قوله لم «يقب» .

وعكذا ذو الرمة فلما قل :

قف القيس في اطلال مئة فاسأل رُسوما كاخلاق الرداء ...

أتى بالثبته أيضاً قبل أن يأتي بالقافية ، ولما احتاج إليها جاء زيادة حسنة وهي قوله : السلسل .

واعلم أن أبا هلال العسكري قد سمي حين القيسين بهنهما الإيهال<sup>٢٧</sup> ، وقال هو أن يعقوب الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقصده ، ثم يأتي بالقطع

(١) ديوان ذي الرمة ٧٢ القيس : التوق القيس . أخلاق الرداء : الرداء الذي سار

خلفاً وتعلماً

(٢) الصناعتين ٣٨٠ « هو أن يعقوب معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقصده ، ثم يأتي

بالقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وغموضاً وتوكيداً وحسنًا ، وأصل الكلمة من قولهم وغل في الأمر إذا أبعد الغماب فيه .

وقد وقع ابن الأثير هنا أيضاً في نسبة تسمية هذا الفن (الإيهال) إلى أبي هلال العسكري .

والحقيقة أن هذا الفن من مستخرجات القامة ، وهو واضح قلبه ، وجعله من أنواع

التمثيل القافية مع سائر معنى البيت ، وروى قليلة أن محمد بن يزيد النحوي قال : حدثني

التوزي قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى الملقى القيس فيجعله

بلفظه كبيراً ، أو إلى الكبير فيجعله خسيماً ، أو يعقوب كلامه قبل القافية ؟ فإذا احتاج إليها أتاده

بها معنى . قال : قلت نعم من ؟ قال : نحو ذو الرمة ، وأورد البيت المذكور هنا . ثم قال :

فتم بكلامه قبل « السلسل » ثم قال « السلسل » فزاد شيئاً . ثم قال ذو الرمة

أظن الذي يمدى منك سؤالي سموها كتبه يد الجبان الفصل

ثم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « الفصل » فزاد شيئاً

تزيد فيه معنى آخر ، وأصل الإيصال من أوغل في الأمر إذا أبعد القهاب فيه ، ثم مثل أبو حلال ذلك بقول ذي الرمة ( قف العيس في أطلال مئة فأسأل ) وهذا أقرب أمدأ من الثاني ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه باسم واحد ، ولم يذكره في باب آخر كما فعل الثاني .

وليس الأخذ من الثاني في ذلك مناقشته على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن ينصب لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخل في الآخر فيذهب عنه ويحذف عليه <sup>(١)</sup> ، وهو أشهر من فأن الصباح .  
وهاهنا ما هو أقرب من ذلك ، وذلك أنه قد سلك قوم في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة من موضوع علم البيان ، وهي بتجوة عنه ، لأنها في واد وعلم البيان في واد .

فمن فعل ذلك الحريري صاحب المقامات ، فإنه ذكر تلك الرسالة <sup>(٢)</sup> التي هي

(١) في الأصل ( لينصب عليه ويحذف عنه ) لرجعنا هذا التصويب .

(٢) في اللقمة الخفية ( السادسة والأربعون ) عشر مقطعات من الأبيات في كل مقعدة لاصب لغتي . فن ذلك الأخيال أي كلمة مهمة وأخرى مهمة مثل قوله :

أصبح لبث السباح زين ولا تحب أكلا تضيف

ولا تظن الفهور تبق مال شنين ولو تلف

ومن ذلك المواصل أي الغالية من الحروف المهمة ، مثل :

أعد لحائك حد السلاح وأورد الأمل ورد السباح

ومن ذلك الرائي أي المهمة كلها مثل :

شفتي يلمن ظي شفيش هنج يفتض تفتض جفتي

الخ

وفي المقاومة السمر قنينة ( الثامنة والعشرون ) خطبة مهمة الحروف مثل قوله :  
أحد مد موحد سمل ، وأدوره دماء مؤمل مسلم ، وهو اقة لا إله إلا هو الواحد الأحد ،  
المال الصمد ، لا والده ولا ولد ، ولا دره منه ولا ساعده أرسل عبدا للسلام مبهدا ،  
والله مولدا

وفي اللقمة الرطاة ( السادسة والعشرون ) رسالة مكونة من كلمات حرف مهملة وتاليه مهمم ، مثل :

أخلاق سيدنا تحب ، وبقوته يلب ، وقربه تحف ، وقأبه تطف ، وخلقه لسب ، وقطيعته نصب ، وقربه ذلق ، وعهبه تألق الخ

أكله معجبة وكلمة مهمة ، والرملة التي حرف من حروف ألقائها معجم والأخر  
سهر معجم ، ونظم غيره شعراً آخر كل بيت منه أول البيت الذي يليه ، وكل هذا  
وإن تضمن مشقة من الصناعة فإنه خارج عن باب القصاحة والبلاغة ، لأن القصاحة  
هي ظهور الألفاظ مع حسنها على ما أشرت إليه في مقدمة كتابي هذا ، وكذلك  
البلاغة فإنها الانتهاء في محاسن الألفاظ والمعاني ، من قولنا بلغت المسكان إذا  
انتهت إليه .

وهذا الكلام المصنوع مما أتى به الحروري في رسالته وأورده ذلك الشاعر  
في شعره لا يضمن فصاحة ولا بلاغة ، وإنما يأتي ومعانيه غثة باردة ، وسبب  
ذلك أنها متكررة استكرها ، وتوضّع في غير مواضعها ، وكذلك ألقائه  
فإنها نجي ، متكررة أيضاً غير ملائمة لأغوائها ، ولم البيان إنما هو القصاحة  
والبلاغة في الألفاظ والمعاني ، فإذا أخرج عنه شيء من هذه الأوضاع المشار إليها  
لا يكون معهوداً منه ولا داخل في باب .

ولو كان ذلك مما يوصف بحسن في ألقائه ومعانيه لورد في كتاب الله عز  
وجل وهو مدح القصاحة والبلاغة ، أو ورد في كلام العرب القصحاء ، ولم نره  
في شيء من أشعارهم ولا خطبهم .

وقد رأيت رجلاً أديباً من أهل المغرب وقد تنقل في شيء هجيب ، وذاك  
أله شجرة شجرة ونظماً شعراً ، وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضرب من  
الأساليب انماها لشعب تلك الشجرة وأغصانها ، فتارة تقرأ كذا وتارة يكون  
جزء منه هاهنا ، وتارة هاهنا ، وتارة يقرأ مقلوباً ، وكل ذلك الشعر وإن كان له  
معنى إلا أنه ضرب من الهذيان ، والأولى به وإماتاً أن يُلْحَقَ بالشعبيّة والمعالجة  
والمصارعة لا بدرجة القصاحة والبلاغة .

ورأيت أبا محمد بن عبد الله بن سنان أنغلجى قد ذكر بابا من الأبواب في كتابه<sup>(١)</sup> قال : ينبغي ألا تُستعمل في الكلام المتكلم والمشهور ألفاظ المتكلمين والحمويين والمهندسين ومعانيهم ، ولا الألفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم ، لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة<sup>(٢)</sup> ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :

مودة ذَهَبَ أَثَارُهَا شَبَهَ وَهْمُهُ جَوْهَرٌ مَرْوِيٌّ غَرَضٌ<sup>(٣)</sup>

وبقوله أيضا :

نَرَاهُ يَمْلِكُ بِالْقَوْلِ حَبَابُهَا كَكَتَلِبِ الْأَفْهَامِ بِالْأَسْمَاءِ<sup>(٤)</sup>

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين للمروق في هذه الصناعة .

إن الذي تكرر منه هو الذي يشبهه قلمي

وسأبين فساد ما ذهب إليه فأقول : أما قوله إنه يجب على الإنسان إذا خاض في علم أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل العلم وأصحاب تلك الصناعة ،

(١) سر الصناعة ١٥٩

(٢) بكلمة كلام الغلجى : وهذا شرف كلام أبي سنان الملاحظ ، وذلك أنه إذا كاتب لم يبدل من ألفاظ الكتاب ، وإذا صنف في الكلام لم يخرج من عبارات المتكلمين ، فكانت في كل علم يتوخى فيه لا يعرف سواء ، ولا يحسن فيه (١٥٩)

(٣) من قصيدته في عتاب عياش بن لهيعة التي مطلعها :

فَلَا دَوْلَ شَيْءًا فِي الْخَلْقِ مَعْرُوضٍ مِنْ دَوْلِهِ شَرٌّ مِنْ نَعْمِهِ جَرُّشٍ  
الدُّيُؤَانُ ٤٠٠ طيبة محمد جمال .

الجواهر والفرش من اصطلاحات علماء الكلام . الجرش : القصة .

(٤) الديوان ٣٣/١ من قصيدته في مدح محمد بن حمدان الضبي ، وهذا البيت من خبراته فيها ، خرفاء : وصف الخمر بالخرق وهو في الأصل البجور من إحسان العيقل ، يقال للمرأة خرفاء ، أي أن الخمر لا تحسن أن تعمل شيئا لكنها تطلب بالمفروق ، وبغيرها من حال إلى حال ، كانت مل الألفاظ بالأسماء ، فترفعها تارة وتنصبها تارة . الحباب : طرائق الماء ، وبها إذا مزجها



فهذا مسلم إليه ، ولكنه شذعه أن صناعة المنظوم والنثر مستعملة من كل علم ، وكل صناعة ، لأنها موضوعة على الخوض في كل معنى ، وهذا لا ضابط له يضبطه ، ولا حاصر يحصره ، فإذا أخذ مؤلف النثر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من الجاني وأداه ذلك إلى استعمال معنى قهري أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحمد الله ، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى القهري قصده .

الآن نرى إلى قول أبي تمام في الاعتذار :

فإن يك جُرْمٌ عَنِّي أَوْ تَكُ مَقْوَةٌ      على خطأ مني فذُرِّي على عَمْدٍ<sup>(١)</sup>

فإن هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار عن القبح ، وكان ينبغي له على ما ذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستسيه سموت فيه لفظاً غلطاً والعمد القائل ما من أخس ألفاظ التقية .

وكذلك قول أبي الطيب للشبي :

وقبْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّا      رَدُّ إِلَهِ نُفُوسِهِم وَالْأَخْصَرَا  
نُتِقُوا لَنَا لَتَقَى الْحَسَابَ مَقْدَمًا      وَأَتَى فُلُوكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا<sup>(٢)</sup>

(١) الديوان ١١٧/٢ من مدحه لأبي الفتح إرراقي واهتداه له

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفضل محمد بن السيد ، التي مطلعها :

بَادِ عَوْدَكَ صَبْرًا أَمْ لَمْ تَصْبِرْ      وبكأنك إن لم يجر صمك أو جرى

وقوله قبْتُ كل الفاضلين ، مطوف على كلام سابق يحدث فيه عن قتل فلاحه وعلاء وعطاء وكرمال شخص ابن السيد. (الديوان ٣١٦/٢) نسوا : سرهوا . فذلك : حكاية قول الحاسب إذا أجل حاسبه ، فهو فاعل آتَى أي أن هؤلاء الفاضلين تبايعوا مطعنين عليه . في أزمالك ، فلما أتيت بدمج صحت ما كان فيهم من فضائل ، فكنت بمثابة إجمال الحساب الذي يذكر تفاصيله أولا ، ثم تجهل فيكتب في آخرها فذلك كنا وكنا

(الديوان ٣١٦/٢)

وتعدا من التاني الجديدة ، وما كان ينبغي لأبي الطيب أن يأتي في مثل هذا  
الوضع بالفتنة ذلك التي هي من أقطاب الحساب ، بل كان يترك هذا المعنى الشريف  
الذي لا يتم إلا بتلك الفتنة موافقة لابن سنان فيما أراد وذهب إليه ، وهذا محض  
الخطأ وعين الخطأ .

وأما أنكره على أبي تمام في قوله :

مَوَدَّةٌ نَحَبٌ أَمَّارُهَا شَبَّةٌ وَهَيْئَةُ جَوْهَرٍ مَعْرُوفُهَا حَرَضٌ

فإن هذا البيت ليس معكرا لما استعمل فيه من أقطاب الجواهر والتمريض  
التيين عام من خصائص أقطاب المتكلمين ، بل لأنه في نفسه ركبة ، لتضمنه  
قطعة الشبهة فلها لفظة عامة ركبة وهي التي أسخفت بالبيت بجملة ، ورب  
قليل أسند كثيرا ، وأما أقطاب الجواهر والتمريض فلا عيب فيها ولا ركبة عليهما .

وأما البيت الآخر وهو :

خَرَقَهُ يَنْصَبُ بِالْقَوْلِ حَبَابُهَا كَقَلْبِ الْأَفْئَالِ بِالْأَسْمَاءِ .

فليس بمنكر ، وهل يشك في أن التشبيه الذي تضمنه واقع في موقعه ؟ ألا  
تري أن الفعل ينقل الاسم من حال إلى حال ، وكذلك تفعل الحرف بالقول في  
تنقل حالاتها ، فما الذي أنكره ابن سنان من ذلك ؟  
وقد جاء لبعض اللغويين من هذا الأسلوب عمالا يدافع في حسنه ، وهو قوله :

عَوَامِلُ رَزَقٍ أَهْرَبَتْ لَهْ الرَّدَى فَجَنِمَ لَهُ خَفَضُ وَرَأْسِهِ نَصَبٌ

فإنه لما حصل له التشابه في الاسمية بين عوامل الرياح والعوامل التحوية  
حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب ، وعلى ما ذكرنا ابن سنان فإن ذلك  
غير جائز ، وهو من مستحسنات المعاني هذا من أعجب الأشياء

وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم :

وفى من مازين فاق أهل البصرة  
أله مفرقة وأبوه نكيره

وهل يشك في حسن هذا المعنى ولطافته ؟

وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين يهجو طليبا ، فقال :

قال حمار الطليب توما لولا لصنوني لكنت أركب  
لأنى جاهل بسط وراكى جبهه مركب

وهذا من المعنى الذى أقرب في الملاحه ، وجمع بين خفا السخرية ووقار النصيحة .

وقد تقدم القول في صدر كتابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يعلق بكل علم وبكل صناعة ، ويخوض في كل فن من الفنون ، لأنه مكلف بأن يخوض في كل معنى ، فاضمم إليك على ما ذكرته ونصت عليه ، وأترك ماسواه ، فليس القائل بطله واجتهاده كالقائل بطله وتقليده .

وهذا النوع إذا استعمل على الوجه المرعى كان حسنا ، وإذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا ، كما جاء في كلام أبى الملاء بن سليمان المري وهو قوله في رسالة كتبها إلى بعض إخوانه « حرّس المأساة ما أدبخت اللاد في الظاء ، وتلك سعادة ينهر انتهاء » وهذا من القث البارد ، لكن قد جاء في الشعر ما هو حسن فائق كقوله :

قدونكم خفّض الحياة لئانا نصبنا المطايا في القلاة على التاعم<sup>(١)</sup>

(١) شرح التنوير على سقط الزند ١٠٩/٧ نصبنا المطايا : أعددناها للسير . خفّض الحياة : لينها ونعيمها .

والخفض والنصب من الإعراب النحوي ، والخفض رفاعة البيت ، والقطع من منصوبات النحر ، والقطع قطع الشيء يقال قطعه إذا بقرته .

### النوع التاسع والعشرون

#### في التوشيع

وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحر من مختلفين ، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيا من بحر على عروض ، وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيا من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى البيت كالوشاح ، كذلك يجزى الأمر في المقتربين من الكلام المنشور ، فإن كل فقرة منهما تصاغ من سبعة بيتين ، وهذا لا يكاد يستعمل إلا قليلا وليس من الحسن في شيء ، واستعمله في الشعر أحسن منه في الكلام للنثر .

فإن ذلك قول بعضهم :

اسلم ودُمّت على المواقف مارتا      دكنا قيهير أو هصكبُ حراء<sup>(١)</sup>  
وكَلِ المرادُ مُحمّكنا منه على      دغم الدهور وفز بطول بقاء

ودنا الجيد الذي يأتي في هذا النوع ، إلا أن أثر التكلف عليه مادي ظاهر ، وإذا نظر إلى هذين البيتين وجدواهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ، وذلك أن يقال :

(١) بئر : جبل بظاهر مكة . حراء : جبل بمكة . فلر تحت فيه رسول الله .

أسلم وُدَّتْ على الحواث ملزماً ركنا ثم  
وَلِلرَّادِ مِمَّا مَكَّنَا مِنْهُ عَلَى وَغَمٍ . المَعْرُورِ .

وقد استعمل ذلك الحريري في مقابته نحو قوله :

يا خالِيبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ إِنِّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ  
دَارِ مَقَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَهَكَتَ غَدًا بُدْأَ لَهَا مِنْ دَارِ  
وَإِذَا أَظْلَلَتْ سَحَابُهَا لَمْ يَلْقَ قَعْمٌ مِنْهُ صَدَى . لِبَهَائِمِ الْقَرَارِ (١)

واعلم أن هذا النوع لا يستعمل إلا متكلفاً عند تعامل التمكن من صناعة  
النظم ، وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة .

ألا ترى أنه لو نُظِمَ عليه قصيد من أوله إلى آخره بعضن غزلا وزديحاً على  
ما جرت إرادة التصانيد أليس أنه كان يجيء بهرذاً غثاً لا يسلم منه على محك النظر  
عشره ؟ والعشر كثير ، وما كان على هذه الصورة من الكلام فلئلا يستعمل  
أحياناً على الطبع لا على التكلف ، وهو وأمثاله لا يحسن إلا إذا كان يسيراً كالرقم  
في التوب أو الشية في الجلد .

(١) من الممكن أن تقرأ الأبيات مكناً ، وقد وودت على الوجهين في اللغة الشعرية  
( الثالثة والمعرون ) ١٦٦

يا خالِيبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ	إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى
دَارِ مَقَى مَا أَضْحَكْتَ	لِ يَوْمِهَا أَهَكَتَ غَدًا
وَإِذَا أَظْلَلَتْ سَحَابُهَا	لَمْ يَلْقَ مِنْهُ صَدَى

لم يلقَ مِنْهُ صَدَى : لم يَرْتَوِ مِنْهُ عَطَشٌ

## النوع الثلاثون

### في السرقات الشعرية

ولربما أعترض معترض في هذا الموضوع فقال قد تقدم نثر الشعر في أول الكتاب ، وهو أخذ النثر من الناظم ، ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم ، فلم يكن إلى ذكر السرقات الشعرية إذاً حاجة ، ولو أنتم هذا المعترض نظره لظهر له الفرق ، وعلم أن نثر الشعر لم يُقترَض فيه إلى وجوه المأخذ وكيفية التوصل إلى مداخل السرقات ، وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلاً .

واعلم أن القائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستثنى الآخر عن الاستمارة من الأول<sup>(١)</sup> ، لكن لا ينبغي لك أن تسبّل في سهل اللفظ على المعنى المسروق فتدأى على نفسك بالسرقة ، فكثيراً ما رأينا من عجل في ذلك فعثر وتماطى فيه بالهبة ففقر .

والأصل المتعدد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء<sup>(٢)</sup> بحيث يكون ذلك أشنى من سفاد التراب ، وأطرف من عَفَاء مُتَرَبِّبٍ في الإغراب .

---

(١) قال أبو حلال السكري : ليس لأحد من أسلاف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقديمهم ، والنسب على قوالب من سلبهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألقاظاً من عندهم ، ويوزعوا في سطوح من تأليفهم . (الصناعين ١٩٦)

(٢) قال القاضى الجرجاني : فإن القاصر المالحق إذا علق المعنى المختلس عدله من نوحه وصنعه ، ومن وزنه ونظمه ، ومن رويته وقافيته . فإذا مر بالنسي القفل وجدما أجنبيين متباشرين ، وإذا تأملها القطن فكش عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة التي تجمعهما (لوساطة ١٩٩) وقال أبو حلال : والمالحق يغشى ديبه إلى المعنى يأخذه في ستره فيحكم له بالسبق إليه أكثر من يهره (الصناعين ١٩٨)

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس لقائل أن يقول إن لأحد من المتأخرين معنى مهتدعا، فإن قول الشر قديم منذ نطق باللغة العربية وإنه لم يبق معنى من المعاني إلا وقد طرق مرارا .

وهذا القول وإن دخل في حيز الإمكان إلا أنه لا يُلْقَتُ إليه ، لأن الشر من الأمور المتناقضة ، والتي قسَّمَتُ الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيأمن لها من الحاجات ، ولم يزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائدا فافصا ، قصد القصائد ؛ وهو أول من قصد ؛ ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية ، وأي فضيلة أكرم من هذه الفضيلة ؟ ثم تنابح المتمدنون واختر من القصائد تلك السبع التي علفت على البيت ، واقنع لشعراء هذا الباب في القصيد ، وكثرت المعاني المتوقفة بسببه ، ولم يزل الأسرى يوسى ويزيد ، ويؤتى بالمعاني الثرية واستمر ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة الحمدانية ، فنظم الشر وكثرت أساليبه ، ونسبت طرقه ، وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى . وأبو الطيب المتنبى .

فإذا قيل إن المعاني المقدمة سبق إليها ولم يبق معنى مهتدع عروض ذلك بما ذكرته .

والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة . ومن القدي يحجر على النواطر ، وهي فاذنة بما لانهاية ؟ إلا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ، ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لأن النواطر تأتي به من غير حاجة إلى تنابح الآخر الأول ، كقولهم في النزل :

نَفَتِ المِبارُ وما نَفَتِ آثَارُهُنَّ مِنَ القُوبِ

وكقولهم إن العفيف يعود بما يَهْدَلُ به صاحبه ، وإن الراشى لو علم بجزا

الطيف لسانه ، وكقولهم في المديح إن عطاءه كالبحر والسحاب ، وإنه لا ينح  
عطاء اليوم عطاء غد ، وإنه يجود ابتداء من غير مسألة وأشباه ذلك ، وكقولهم  
في الأثر إن هذا الرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأباعد والأقارب ،  
وإن القاهب لم يكن واحدا وإنما كان قهقهة ، وإنه بعد هذا القاهب لا يبدؤ  
للنية ذنب ، وأشباه ذلك .

وكذلك يجري الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر  
عليها من غير كلفة ، وتستوى في إيرادها ، ومثل ذلك لا يُطلق على الآخر  
فيه اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى الخصوص كقول  
أبي تمام :

لانسكروا ضربين له من دونه      تتلأ شروداً في الندى والياس  
فألف قد ضربت الأقل لسوره      تتلأ من البشكاة والذيراس

فإن هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام ، وكان لا بداعه سبب والحكاية  
فيه مشهورة ، وهي أنه لما أشد أحد بن المعتصم قصيدته السنية التي مطلعها  
« ما في وقوفك ساعة من ياس »<sup>(١)</sup> انتهى إلى قوله :

إقدام عمرو في سماعة حاتم      في جليم أحنف في ذكاه إلياس

فقال الحكيم الكندي : وأى فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف  
العرب ؟ فأطرق أبو تمام ، ثم أنشد هذين البيتين مغنوا عن تشبيه إياه  
بعمرو وحاتم وإلياس ، وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه ، فحين أتى من بعده  
بهذا المعنى أو يجزه منه فإنه يكون سارقاً له .

(١) من قصيدته في مدح أحد بن المعتصم ( الديوان ٢/٢٤٧ )



وكذلك ورد قول أبي الطيب النخعي في عقد الدولة وولديه :  
 وأنت الشمسُ كُتِبَ كُلُّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَسْمَا اثْنَانِ .  
 فاشأ عيشة القمرين يُخَيِّمُا بَضُوهُمَا وَلَا يَتَحَادَدَانِ  
 وَلَا تَلْسَكَا يَوْمِي مُلْكُ الْأَعَادِي وَلَا وَرَثَا يَوْمِي مَن تَقْتَلَانِ  
 وَكَانَ أَبَا عَبْدِ كَاثِرًا هَ يَأْمِي حُرُوفِ أَنْيْسِيَانِ<sup>(١)</sup>  
 وهذا معنى لأبي الطيب ، وهو الذي ابتدعه أي أن زيادة أولاد عدوك  
 كزيادة الصنوبر ، فإنها زيادة قس .

وما ينبغي أن يقال إن ابن الرومي ابتدع هذا المعنى الذي هو :  
 تُشْكِي الْحَبَّ وَتُلْقِي الْقَهْرَ شَاكِمًا<sup>(٢)</sup>

كَأَقْوَسِ تُصْبِي الرَّمَايَا وَفِي مِرْثَانِ

فإن علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي ، وليس كذلك  
 ولكنه مأخوذ من المثل المضروب ، وهو قولهم ( يَلْدَغُ وَيَبِي )<sup>(٣)</sup> .  
 ويضرب ذلك لمن يهتدي بالأذى ثم يشكو ، وإنما ابن الرومي قد ابتدع معاني

(١) الديوان ٤٨٦/٤ من قصيده التي مطلعها :

معاني القصب طيبا لي الملتأى بمنزلة الريح من الزمان

(٢) تشكي الحب . توبه أذى وتغل به ما يوجب شكواه : تصي الرمايا : تصيب  
 "الصبيد فتقتله مكاه . وق الأصل ( يهكي ويهكي ) ، لكن قبل البيت قوله :  
 يارب حسنة منبت قد طلت سودا وقد تطلت الأسواء حسان  
 وهذا يعين تأييد القولين .

(٣) يبي : يبي ، من صاءت المقرب تصي إذا صاحته ، ومنه حديث علي رضي الله عنه  
 " أنت مثل المقرب تلدغ وتصي " أي تلدغ وهي صاحته . تاج النورس مادة صأى

آخر غير ما ذكره ، وليس الفرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من  
المعاني المتعددة ، بل الفرض أن يبين المعنى المتبع من غيره . والذى عندى فى  
السرقا أن مق آورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول فى معنى من المعانى ولو لقوله  
واحدة فإن ذلك من أدل القائل على سرقته .

واعلم أن علماء البيان قد تكلموا فى السرقا الشرعية فأكثرها ،<sup>(١)</sup>  
وكنث ألفتها كتاباً ، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخاً وسَلْعاً ومَسْخاً .

أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى رمة من غير زيادة عليه ، مأخوذاً ذلك  
من نسخ الكتاب .

وأما السَلْع فهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذاً ذلك من سَلْع الجلد القى هو  
بعض الجسم الملوخ .

وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى مادونه ، مأخوذاً ذلك من مسخ  
الأميين قرده

وما هنا قسمان آخران أخذت به كرهما فى الكتاب القى ألقه ، فأحدهما  
أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده ، وهذان القسمان  
أيضاً بنسخ ولا سَلْع ولا مسخ :

(١) من العلماء والقاد الذين درسوا السرقا القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز  
الجزائى ، وثلى الرسالة ، فقد قسم المعانى ثلاثة أقسام : المعانى للفترة التى لا يجوز ادعاء السرقه  
فيها ، والمعانى للفتنة التى كانت فى أصلها عذرة ثم استفاضت وتوقلت فليس أحد أولى بها  
من أحد ، والمعانى الخمسة التى حلزها للبدىء للسكها ، فصار المحدثى عتقها ، واسترقا  
( الرسالة ١٧٩ )

وكذلك أبو حلال السكرى الذى أفاض فى الكلام فى السرقا وضروبها وتكلم فى  
الأخذ الحسن ووسائله والقيح وضروبها ( الصائغين ١٩٦ )

وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع ويخرج به القصة إلى مسالك دقيقة ، وقد استأقنت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب ، والله الوفي للصواب .

ومن اللوم أن الممرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد ، فن راع الأخذ بنواحيها والاشتغال على قواحيها ، بأن يتصفح الأشعار تصفها ويقنع بتأملها ناظرا ، فإنه لا يفتقر منها إلا بالحواس والأطراف ،

وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسة ، ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يُلَهِّجون بيت من شعر ابن النبطي في قصيدة لهاؤها :  
خذ من مَها نجد أمانا قلبي <sup>(١)</sup> .

ويزعمون أنه من المعاني الثرية ، وهو .

أَهْلًا إِذَا آتَيْتُ فِي الْحَيِّ أُمَّه جِذَا رَا عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ لُحَاهُ

(١) تسكة البيت : « قد كاد رايها عليه به » .

وهو مظم قصيدة لطيفة منها :

ولما كما ذاك السيم . فإنه	من حب كان الوجد أيسر خطبه
خليل لو أحببتنا لعلنا	عل الحوى من مرقم القلب صبه
تذكر والذكرى كفوف وذو الحوى	يقوق ، ومن يطلق به الحب صبه
فرام على بأس الحوى وربائه	وعشوق على بعد الزائد وقربه
ولى الزكب معلوى الضلوع على جوى	من يدعه داسى الترام عليه
إذا خطرت من جاب الرمل للعبة	تضمن منها دأؤه دون صبه
وعصيب بين الأنسة معرض	ولى القلب من إعراضه مثل صبه
أغار إذا آتت في الحى أنه	حنلرا وعرفا أن تكون له

والأبيات لأحد بن محمد بن علي بن صدقة التتلي المعروف بابن الحياط القاهر الدمشقي  
الكتاب المذوق سنة ١٢٩٧ هـ (الكامل لابن الأثير ١٢/١٩٣)

قلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب التتبي في قوله :

لَوْ كُنْتُ كَلْدَافَ الْمَشُوقِ قَدِيقُهُ      عَا بِه لِأَعَزَّتْهُ بِدَائِهِ (١)

وقول أبي الطيب أدقُّ مني ، وإن كان قولُ ابن الخطيب أرقُّ لفظاً .  
ثم إنني وَفَّقْتُهُمْ على مواضع كثيرة من شعر ابن الخطيب قد أخذها من  
شعر المتنبي .

وسافرت إلى الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يُسحبون  
بيت من الشعر يَمُزُّونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عُمارة (٢) ، وكان حديث  
عهد بزماننا هذا في آخر الدولة العلوية بمصر ، وذلك البيت من جهة قصيدة له  
يلح بها بعض خلقها عند قدومه عليه من اليمن وهو :

فهل دَرَى الْبَيْتُ أَنِي بَدَلُ قُرْبِهِ      مَا بِيَرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ (٣)

قلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادحا لعمري

(١) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أحلم بأعدائِهِ      وأحق منك بجهنهِ وبياتهِ  
الديوان ١/١ أي أن القلب أدري منك أيها اللاتم ببياتهِ ومأدرك من ألم الهوى ، فهو يبتسِمُ  
خفاه في البكاء وبأسر الجفن به .

الذئب : الرئيس من السفن . أفرته : بضعته على التنية . بدائته : بدائلك لياه .

(٢) عُمارة اليمني : هاجر سياسي كبير ولد سنة ٥١٥ هـ باليمن ، ثم رحل إلى مصر  
سنة ٥٥٠ هـ في عهد الخليفة الفاطمي ووزيره يومئذ طلائع بن رزيك ، وقال من السكرم  
ما ألحج لسانه بالفكر .

ولما سقطت الدولة الفاطمية حزن عليها حزنا شديدا ، لكنه اضطر إلى مدح صلاح الدين  
الأيوبي . ثم انهم بالإشتراك في مؤامرة لخلع صلاح الدين ، فسلمت يمين سلبوا سنة ٥٦٩ هـ

(٣) من قصيدته في مدح الخليفة الفاطمي بن الظاهر ووزيره الصالح ، التي مطلعها :

الحمد للميسر بعد العزم والهمم      جدنا يقوم بما أولت من النعم

(ديوان عُمارة اليمني)

الخطفاء في حجة حجتها ، وذلك بيت من جملة أبيات خمسة :

يا من رأى حرماً ينسرى إلى حرّم طوقاً لمنّيل يأتى ومُنْتَرِمٌ «  
ثم قلت في نفسى يا لله العجب ! ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء  
الذين كَوَسَتْ أشعارهم ، ولا هما من لم يُعْزَفْ ولا اشتهر أمره ، بل هما كما يقال  
أشهر من الشمس والقمر ، وشعرهما دأب في أيدى الناس ، بخلاف غيرهما ،  
فكيف خَفِيََ على أهل مصر ودمشق بيتا ابن أبيطاب وهامة المأخوذان من  
شعرهما ؟ وعلمت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للأشعار والاقتناع بالنظر  
في دواوينها .

ولما نصبت نفسى لخوض في علم البيان ورست أن أكون معدوداً من  
علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تتأل إلا بنقل ما في الكتب إلى الصدور ،  
والاكتفاء بالحفوظ عن المسطور .

ليس يثليم ما حوى القيطرُ ما الثليمُ إلا ما حواه الصدرُ

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأخذت شطراً من الشعر  
في الحفوظ منه والمسموع ، فألقيته بحر الأبوفاة على سباحه ، وكيف يُنْتَقَى  
إلى إحصاء قول لم تخص أسماء قاله ؟ فعند ذلك انحصرت منه على ما تكثر  
فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن عن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من  
تَقَرَّرَ نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى  
الشريف في اللفظ الجزل والاطيف ، ففى وجد ذلك فكل مكان خيبت  
فهو باطل .

(١) ليس البيت بنبوءة

وقد اكتفيت في هذا بشر أبي تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد (البحرئى) وأبى الطيب المنفى ، وهؤلاء الثلاثة هم لآت الشر وعزاه ومناته (١) ، الذين ظهرت على أيديهم خسفاته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين .

(١) يريد أنهم آفة العصر .

الثلاث : صنم كان لأهل الطائف وكانت قريش وسائر العرب تطلعه ، وهو صنفة مربية . وسماها به فقالوا : زيد اللات وديم اللات ( الأصنام لابن الكلبي ١٦ ) وليل إنه بيت كان بنقطة فبیده قريش ( تفسير الطبري ٣٥/٢٧ ) ويرى بروكلمان أن اللات هي الإلهة التي كانت تعرف في الطائف بالربة أي السيدة ، وهي تقابل الأم الكبرى للالهة عشر عند الساميين الفيليين ( العرب والإمبراطورية السريية ٧٢ ) وذكر الطبري أن اللات مدفنة من الله ، أكلت به الفاء فأنت ، كما قيل عمرو لمذكر وللألق مرة ( تفسير الطبري ٢٧/٢٤ ) وظلت اللات إلى فجر الإسلام إذ بنت التي أباسفان والمثيرة بن هبة لهدمها بالطائف . ( دحلان ٣٧٩/٧ ) بعد أن أسلمت تقيف ، وعلاها المثيرة بضرب بالمعول ، وخرجت لمام تقيف حسرا ليكن عليها ويمن بلجين رجالن لأنهم لم يدعوا عنها ( ابن هشام ١٩٨/٤ ) النزي :

كانت النزي أعظم الأصنام عندهم . وكانت بواد من نخلة الغامية يقال له حراض ، فهي عليها بنت ، وكأوا يسمون فيه الصوت . وسماها بها فقالوا عبد النزي . وكأوا يزورونها ويحسون إليها ويضربون بالقدح عندها ( الأصنام ١٨ ) ويطلب المؤرخون في صياحها ، فابن هشام يذكر أنهم قريش وبنو كنانة ( السيرة ٨٧/٤ ) وغيره يذكر أنهم خلفان . وهي حجرة سمرة بنت إيليا التي قال بن الوليد فقلها . وزعموا أنها خرجت منها عيطا لا مكشوفة الرأس لافرة العصر ، تقرب رأسها وتولول فضر بها ثاك بالسيف فقلها وهو يقول :

يا هز كثر الله لاسيما لك إلى رأيت الله قد أماتك

قلما رحم إلى التي أخبره بما فعل ، فقال : تلك النزي ولن تميدا ( أخبار مكة للترزقي ٧٤/١ ) والنسابة يورى على هامش الطبري ٤١/٢٢ والزي دحلان على هامش السيرة الحلبية ٣٤٠/٢ . وتسمية النزي مدفنة من اسم الله تعالى النزيز أو هو مؤث الأخر كما ذهب النيسابوري ( الطبري ٣٤/٢٧ ) والنيسابوري على هامشه :

مناة :

أقدم أصنامهم ؟ كانت تطلعه الأوس والمزرج ومن ينزل يثرب ومكة وماحولها ، ويقيمون له ويهلون ، وسماها به فقالوا عبد مناة وزيد مناة ( الأصنام ١٣ ) . وهي صنفة سميت بذلك لأن دماء الهرايين كانت تنحى عندها أي تراق وظلت قائمة إلى أن بنت التي سمى بن زيد أو أبا سفيان بن حرب أو على بن أبي طالب فهدمها ( الزبي دحلان ٣٤٧/٢ ) ويرى بروكلمان أنها إلهة الغشاء والقدر ، وكانت معروفة في مكة ، ثم عاصت عبادتها حل النصوص بين لبائل هنبل البدوية المجاورة ( العرب والإمبراطورية السريية ٧٧ )

إلى فصاحة القدماء ، وجمت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء .

أما أبو تمام فإنه ربّ معاني ، وصَيْقَلُ الألبابِ وأذهان ، وقد مُجِهدٌ له بكلّ  
معنى مهكّر لم يَمْشِ فيه على أثر ، فهو غير مُدَاخِرٍ عن مقام الإعراب الذي  
تَرَزَّزَ فيه على الأضراب .

ولقد مارسَتْ من الشعر كل أول وآخر ، ولم أقل ما أقول فيه إلا من  
تغيب وتغير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشَفَ من طامنه ، وراضٍ فيكرمه  
برأيه ، أطاعه أمانة الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت تلامذته ، غلظني  
في ذلك قول حكيم ، وتعلم فتوق كل ذي علم عليهم .

وأما أبو عبادة البحري فإنه أَسْتَحَقَّ في سَبْكِ القَطْرِ على المعنى ، وأراد أن  
يَشْمَرُ قَفْنِي ، ولقد حاز طرف الرقة والجزالة على الإجماع ، فيها يكون في شَقْفِهِ  
تَجَرُّدٌ إذ تَشَهَّتْ بريف العراق .

وسئل أبو الطيب اللثمي عنه وعن أبي تمام وعن غيره قال : أنا وأبو تمام  
حكيمان ، والشاعر البحري . ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا  
عن معناه عليه ، فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمدى القُدُورِ من الصخرة الضياء ،  
في القَطْرِ المصوغ من سلامة الماء ، فأدرك بذلك بُعْدَ المرام مع قربه إلى الكمال .  
وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاق النائية <sup>(١)</sup> ، ورَقَ في ديباجة لفظه إلى  
الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب اللثمي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام قَصَرَتْ عنه  
سُطاه ، ولم يَمْشِ الشعر من تماده ما أعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم

والأمل ، وانخفض بالإبداع في وصف مواقف القتال .

وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متقلّساً ، وذلك أنه إذا خاض في أمضى من نصلاً ، وأشجع من أبطالاً ، وقامت أقواله لتسامع مقام أبطالها ، حتى وصف معركة كان لسانه تظان القرين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضيئ بسلكه ، وتقوم بمذرتاركة . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى إليه عيابه . ومع هذا فإن أبيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط ، فلما مفرط في وصفه وإما مفرط .

وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذره ، فإن سعادة الرجل كانت أكبر من شره ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء .

ولقد صدق في قوله من أبيات يملح بها سيف الدولة :

لا تظنين كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأشخام يداً ختموا  
ولا تبالي بشيرٍ بعد شاعره قد أفيد القول حقاً أحيد الصمم<sup>(١)</sup>

ولما تأملت شعره بين الممدّلة البعيدة عن المعوى ، وعين المعرفة التي ماض صاحبها وما عوّى ، وجدته أسماخية : خُس في النهاية التي انفرد بها دون غيره ، وخُس من الشر الذي يساويه فيه غيره ، وخُس من متوسط الشعر ، وخُس بدون ذلك ، وخُس في النهاية للفقيرة التي لا يُبها بها ، وعدمها خير من وجودها ،

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عني الذين على الرضى نعم ما إذا يزيدك في إلهيتك القسم .

يقول إن الطريق إلى القسم عند ملكه أن يهزم سيف الدولة ، فلما حارب سيف الدولة هزمه الهويان ١٦٧ هـ . شاعره : يريد نفسه .



ولو لم يقلها أبو الطيب لولا الله شرها فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت  
عرضه شارة لسهام الأقوام . ولسائلها هنا أن يسأل ويقول : لم عدلت إلي  
شر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟ .

فأقول : إنى لم أعديل إليهم اتفاقاً ، وإنما عدلت إليهم نظراً واجتهاداً ،  
وذلك أنى وقعت على أشعار الشعراء قديسها وحديثها ، حتى لم أترك ديواناً لشاعر  
مؤلفي يشبّه شره على الحكّة إلا وعرضته على نظري ، فلم أجد أجمع من ديوان  
أبي تمام وأبي الطيب المعاني الحقيقة ، ولا أكثر استخراجاً عنها لطيف الأعراض  
والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عبادة ، ولا أنقش ديباجة  
ولا أبهج سبكاً ، فاختارت حينئذ ديوانهم ، لاشتغالها على محاسن الطرفين من  
المعاني والألفاظ . وإنا حفظنا ألتيت ما سواها مع ما بقى على خاطري من غيرها .

وقد أوردت في هذا الموضوع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيره ،  
ونبت على غوامض منها ، وكنت قدمت القول أنى قسمتها إلى خمسة أقسام .  
هذا الثلاثة الأول ، وهى النسخ والسلب والمسخ ، ومنها القسمان الآخران ، وهما  
أله هذه الأقسام من تشعبها وتفرعها فأقول :

## (النسخ)

أما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعاً ، أو في أخذ المعنى  
وأكثر اللفظ ، لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب ، وعلى ذلك فإنه ضربان :

القول :

يسى وقوع الحافر على الحافر<sup>(١)</sup> ، كقول امرئ القيس :

وموقاً بها صهي على مطيئهم يقولون لا تنهيك أمي وتجل<sup>(٢)</sup>  
وكقول طرفة :

وموقاً بها صهي على مطيئهم يقولون لا تنهيك أمي وتجل<sup>(٣)</sup>  
وقد أكثر القرزوقي وجري من هذا في شعرها ، فله ماوردنا فيه مورد  
امرئ القيس وطرفة في مخالفتها في لفظة واحدة كقول القرزوقي :

أصل أحبابي إنا محباتها بأحبابنا إلى الله راجع<sup>(٤)</sup>  
وكقول جرير :

أصل أحبابي إنا محباتها بأحبابكم إلى الله راجع<sup>(٥)</sup>

(١) ذكر أبو حلال البجلي الآتين وغيرهما ، على أنه مما أخذ بلفظه ومثناه ، وادعى  
أخذه أو ادعى أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول ، ثم طلق على ذلك بأنه مسبب  
وإن ادعى الآخر أنه لم يسم أول الأول ، بل وقع لهذا كما وقع لذاك ، فإن صحة ذلك لا يلحقها  
إلا الله عز وجل ، والريب لازم للآخر (الصناعين ٢٢٩) .

(٢) من مقلته — الديوان ٩

(٣) من مقلته . جهرة أشعار العرب ١٣٠

(٤) البيت بديوان القرزوقي :

أصل أحبابي إنا ألفة بأحبابنا إلى الله راجع

(الديوان ٥١٩/٢)

(٥) البيت كذلك في ديوانه ٣٧١

ومنه ما تساوى فيه لفظا بلقط كقول الفرزدق :

وغير قد نَسَقْتُ مُشْتَرَاتٍ طَوَالِحَ لَا تُطِيقُ لَهَا جَوَابًا  
بِكُلِّ قِلْيَةٍ وَبِكُلِّ تَنَرٍ غَرَائِبُهُنَّ تَفْتَسِبُ انْتِسَابًا  
بَلَنْتَ الشَّمْسَ حِينَ تَكُونُ شَرَفًا وَمَسَقَطَ رَأْسِهَا مِنْ حَيْثُ غَابًا<sup>(١)</sup>  
وذلك قال جرير من غير أن يزيد .

وقد حكى أن امرأة من عتيل يقال لها ليلي كان يتحدث إليها الشاب ،  
فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل  
إليها فأقبلت عليه ، وترك الفرزدق ، فضاظه ذلك فقال الفتى : أنت صارعى ؟  
فقال : ذلك إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على  
صدره ، فصرط فوثب الفتى عنه ، وقال يا أبا فراس ، هذا مقام المائد بك والله  
ما أردتُ ما جرى فقال : وبمكة والله ما بى أنك صرعتنى ، ولكن كأتى بآبن  
الأتان - - - - - يبنى جريرا - وقد بلغه خبرى فقال بهجوى :

جلستَ إلى ليلي لَتَحْطَى بِقَرْبِهَا غَفْلَتِكَ دُبُرٌ لَا يَزَالُ يَخُونُ  
فَلَوْ كُنْتُ ذَا حَزَمٍ شَدَدْتُ وَكَاهَهُ كَأَشَدِّ جِرْبَانٍ الْهَالِيسِ قُبُيُونُ

قال فوالله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر ، فقال فيه هذين البيتين<sup>(٢)</sup>  
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه .

(١) الديوان ١٧٣/١ من مجلته لجرير . والبيت الأول في الديوان هكذا :

وغير قد نَسَقْتُ مَعْمَرَاتٍ طَوَالِحَ لَا تُطِيقُ لَهَا جَوَابًا  
وليه (خوارزمي) . وفي الأصل (وسلت)

(٢) ليس البيتان في ديوان جرير

ويقال إن القزوق وجروا كأننا ينطقان في بعض الأحوال من ضمير واحد ، وهذا عندنا مستبعد ، فإن ظاهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يملكه إلا الله تعالى ، وإلا إذا رأينا شاعرا متقدما الزمان قد قال قولا ، ثم سمعناه من شاعر آخر من بعدنا علمنا بشهادة الحال أنه أخذ منه . وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة للتداوة ، فكيف تتفق الألسنة أيضا في صوغها للألفاظ ؟

وما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته انقأ أولها :  
(دعك لوني فإن اليوم إغراء<sup>(١)</sup>) .

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شادوا  
وهذا من على الشر ، ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات ممتد وهو :  
كأنه على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شادوا  
وما أعلم كيف هذا<sup>(٢)</sup> .

(١) ديوان أبي نواس ٦ والبيت بديوان هكذا :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شادوا  
(٢) رواية الأغاني ( ٧٤/١ ) : قال الوليد بن يزيد يوما : لقد اعتقت إلى معبد ، فوجه الوليد إلى المدينة ، فأتى معبد ، وأمر الوليد بركة قد هيئت ، فلبث بالبحر والماء ، وأتى معبد فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما سقلا أرضي ، فقال له : خذ من معبد ، ففناء هذه الأبيات لمع على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شادوا  
ما زال يمشو - عليهم - ريب درهم حتى تقافوا وريب درهم هدا  
أبى فرأهم جنى وأرقها إن الطرق للأحياب يكاه  
ول الأغاني رواية أخرى ١٢٣/٦ تأييد هذه ، لمقصها أن المعبد بن الضحاك قال في قصيدة له مغلها :

جلت من تلبحت الورد باللاء ومن سبوحك دار الإبل والهامة

الضرب الثاني من الفسخ :

وهو الذي يؤخذ فيه للنبي وأكثر اللفظ ، كقول بعض القدمين يمدح.  
مقبداً صاحب الفناء :

أجاد طووسٌ والشرابيُّ بده وما قصَّباتُ السُّبِّيِّ إلا لمُتَبَدِّ  
ثم قال أبو تمام .

محاسنُ أصنافِ اللّنينِ جَمَّةٌ وما قَسَّباتُ السُّبِّيِّ إلا لُحْد  
وهذه قعيدة أولها :

قَدَرْتُ تَسْجِيرُ الدَّامِخِ خَوْفَ نَوَى غَدٍ  
فقال :

وقائمٌ أمثلُ النّصيرِ فيها وَنُرُوعِ إذا عُدَّ الإحسانُ أو لم يُقَدِّرِ  
فهما تكن من وقعةٍ بَشْدٌ لا تَكُنُّ يَسْوَى حَسَنٍ مما فُلتَ مُرَدِّدٍ<sup>(١)</sup>  
محاسن أصناف اللّنين جمة البيت .

أيانا ، أصعب بها ؛ فقال له ساسها : أنت تقوم حول أبي نواس في قوله :

دع منك نوى فإن اليوم إفراده وطاوى بالنز كانت من الداء  
ولقائها ، فاستدل بحاميه بأبيات أبي نواس ( حارث بن قتيبة ) ، ولق رواية أخرى أبي  
أبي نواس والحسين بن النجاشي تناهدا لصيديهما ، وحكما بينهما ابن منافر .

(١) من الصيدلة في مدح أبي سعد محمد بن يوسف الطائي ، ومطلعا في الفروانية  
٧٧/٧ هكذا :

سرت تسجير الدم خوف نوى غد وطاد قفاها عندما كل مرقد

## السلخ

وأما السلخ فإنه ينقسم إلى اثني عشر ضرباً ، وهذا تقسيم أوجهته القسمة ،  
وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه .

**فانقول :** أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه ، وهذا  
من أدق السرقات مذهباً ، وأحسنها صورةً ، ولا يأتي إلا قليلاً ،  
فإن ذلك قول بعض شعراء الحجاسة :

لقد زادني حباً لنفسيّ أني بنهض إلى كل امرئ غير طائل<sup>(١)</sup>

أخذ المتن هذا المعنى ، واستخرج منه معنى آخر غيره ، إلا أنه شبه به ، فقال :  
وإذا أتتك مذمق من ناقص فهو الشهادة لي بأني فاضل<sup>(٢)</sup>

والمرقة بأن هذا المعنى أصله من ذاك المعنى عرغامض ، وهو غير متبين  
الإن أعرق في عمارة الأشعار ، وغاص في استخراج المعاني ، وبيانه أن الأول  
يقول إن بعض الذي هو غير طائل إياي مما زاد نفسي حباً إلى ، أي جعلها في  
حبي ، وحسنها عندي ككون الذي هو غير طائل منفض ، والمتنبي يقول : إن ذم  
الناقص إياي شاهد بفضل ، فذم الناقص إياه كفضل الذي هو غير طائل ذلك

(١) الصحر الطرماح بن حكيم الطائي (شرح الحجاسة للرزوقي ١/٢٧٧ والأغاني ١٠/١٠٠)

غير طائل : غير فاضل ، دون شمس :

(٢) من تصديقه في مدح الغاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأظفاري ، ومطلعي :

لك بمنازل في القلوب منازل ألفت أمت ومن ملك أواميل

ورواية الديوان (بأن كامل) وهي أولى من (فاضل) لتضاد كلمة ناقص الديوان ٤٦٨/٣

الرجل ، وشهادة ذم الناقص إياه بأنه كتحسين بنفس الذي هو غير طائل .  
نفس ذلك الرجل عنده .

ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكره وأبين ، كقول أبي تمام :

رَهَقَهُ الْقَتَا فَيَبْدُو مَا كَانَ جُفَاءً رَعَا عَامِلَهُ الرُّوضِ يَنْتَهِلُ سَاكِبَهُ (١)

أخذ البعثرى هذا المني واستخرج منه ما يشابه ، كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه :  
شَيْخَانٌ قَدْ قَتَلَ السِّلَاحُ عَلَيْهِمَا وَعَدَا مَا رَأَى السَّيِّعُ الْمُبْضِرَ  
رَكِبَنَا الْقَتَا مِنْ بَدُو مَا حَلَا الْقَتَا فِي عَسْكَرٍ مُقَاعِلٍ فِي عَسْكَرٍ (٢)

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الأرض ثم صار فيها فرعه ، أى أهرلته ،  
فكأنها لمحت به مثل ما فعل بها . والبعثرى قل هذا إلى وصف الرجل  
بأنه السن والهرم ، فقال : إنه كان يحمل الرمح في القتال ، ثم صار يركب عليه ،  
أى يركباً منه على عصا ، كما يعمل الشيخ الكبير .

وكذلك ورد قول الرجلين أيضاً قال أبو تمام :

لَا أُظْلِمُ الْقَتَا قَدْ كَانَتْ خَلَاقُهَا

مَنْ قَتَلَ وَشَكَ الْقَتَا هُنْدَى كَوَى قَدْ فَا (٣)

(١) من قصيدته في مدح أبي المباس عبد الله بن طاهر ، التي مطلعها :  
من عوادي يوسف حوصاحيه فز ما قلنا أدرك السؤل طالع  
(الديوان ١/٧٣٠) الغياي : الأماكن الخالية والغفار ، يريد أن مركوبه هزل من سيمه  
في الغفار بعد ما كان سميتاً ، فكأنها رعت بعد ما رمى لها .

(٢) من رثائه لقومه (الديوان ٤/٥٠٧) وفي الديوان البيت التالي قبل الأول

(٣) من قصيدته في مدح أبي ذؤيب النخعي بن عيسى السجلى التي مطلعها :

أما الرسوم لقد أذكرون ماسلفاً فلا تكونن من هأليك أو بكلفاً

(الديوان ٣/٣٠٩) فذل بهم الغاف والقال وبقتنهما بيبة ، أى لا أكذب على القاتل  
فأقول إنه فرق بيننا ، فقد كانت أخلاقها في قبل الفراق فرطاً يحسن الوصول إليها .

أخذه البعري قال :

أُحَابِكَ مَا كَانَ الشَّابُّ مُقَرَّبِي

إِلَيْكَ فَأَلَتِي الشَّيْبَ إِذْ هُوَ مُبَدِّلِي

وهذا أوضح من الذي تقدمه وأكثر بياناً .

الضرب الثاني من الضرب :

أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وذلك مما يصعب جداً ، ولا يكاد يأتي إلا قليلاً .

فنه قول عروة بن الورد من شراء الحماة :

وَمِنْ يَكُ يَمُتِلُ ذَاهِيَالٍ وَمُقَرَّرَا

مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلُّ مُطْرَحٍ

لِيَبْلُغَ عَذْرَاءَ أَوْ يَدَا رَغَبِيَّةٍ وَمُبَاغٍ نَفْسَ عَذْرَاهَا فُلُّ مُنْبَجَحٍ<sup>(١)</sup>

أخذ أبو تهم هذا المعنى قال :

فَقِي مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّنِ مِثْلُ

تَقَوْمُ مَقَامَ النَّصِيرِ إِذْ فَتَنَهُ النَّصِيرُ<sup>(٢)</sup>

فعروة بن الورد جعل اجتهداً في طلب الرزق عذراً يقوم مقام النجاش ،

(١) الديوان ١٩٦/١ من قصيدته في مدح أحمد بن المنذر

(٢) شرح الحماة للبرزوقي ٤٦٥/١ وديوان عروة بن الورد ٨٨ وفيها (أو يصيب

رغبة)

(٣) من رثائه لعميد بن حميد الطوسي ، ومطالع القصيدة :

كَذَا طَبِيعُ الْخَطْبِ وَلِيَدِجِ الْأَمْرِ فَلَيْسَ لِي لَمْ يَنْسَ مَا لَهَا عَذْر

الديوان ٣١٩ وفي الألفاظ ٩٩/١٥ أبيات منها .



وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتihad المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار ، وكلا المئين واحد ، غير أن اللفظ مختلف .

وهذا الضرب في سرقات المعاني من أشكايها وأدعها وأخرمها وأجترها مذهبا ، ولا يتفطن له ويستخرجها من الأشعار إلا بعض الخطواطر دون بعض . وقد يحى منه ما هو ظاهر لا يبالغ في الحق مبالغ هذه الأبيات المشار إليها ، كقول ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحماة :

قَدْ جَرَّ نَدَاً قَدْ نَدَاكَ أُنَا

أَمَّا عَلَى كُلِّ الرِّزَابِ مِنَ الْجَزَعِ<sup>(١)</sup>

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال :

وقد حمزى ربيعة أن يؤثما عليها مثل يؤمك لا يعود

وهذا من البديع النادر .

وعاينا ما هو أشد ظهورا من هذين البيتين في هذا الضرب من السرقات الشعرية ، وذلك يأتي في الألفاظ للقرادة التي يقوم بعضها مقام بعض ، وذلك لاعداد بهامكان وضوحه

(١) من رثاء عبد الله بن المقفع ليحيى بن زياد أول ابن أبي السجاء عبد الكريم شرح

الحماة للرزوقي ٨٦٣/٢ والبرزى .

وإن المقفع هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد البناة الأولين والمترجمين السابقين ، وهو من سلالة فارسية . كان أبوه للمقع مجوسيا ، وسبب تلقبه بالمقفع أنه كان يسلم في جباية الحجاج لولاة العراق زمن بني أمية فخان في سبيل المال فضر به الوالي حتى تظلمت يده أي تضمت . ولد ابن المقفع حوالي ١٠٦ هـ وسماه أبوه روزبه ، ونشأ بالبصرة ، وتعلم على علماء عصره . وعمل لديه ، وأجاد العربية والفارسية ، ثم كتب لولاة من بني أمية ومن بني العباس ، وترجم كثيرا من كتب الفرس إلى العربية وقتل سنة ١٤٧ هـ لضيقه سياسية ولأنه به بالردة

لكن قد يجهل منه ما هو صفة من صفات الترادف، لا الاسم نفسه، فيكون  
جنسنا كقول جرير:

وَلَا تَمْلِكُ مِنْ أَرْبٍ لِحَامُ سَوَا ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخَمَارِ<sup>(١)</sup>

أخذ أبو الطيب المظني هذا اللفظ فقال:

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كُنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ<sup>(٢)</sup>

الضرب الثالث من الصلح:

وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ، وذلك من أفتح السرقات وأظهرها  
شناعة على السارقي، فمن ذلك قول البحتري في غلام:

تَوَقَّ ضَعْفَ الصَّغِيرِ إِنْ وَكِلَ الْأَنْسَرُ

إِلَهُ وَدُونَ كَيْدِ الْكِبَارِ<sup>(٣)</sup>

سبقه أبو نواس فقال:

لَمْ يَنْفَبْ مِنْ كَيْدٍ مَا يُرَادُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا أُزْدَى مِنَ الصَّغِيرِ<sup>(٤)</sup>

وكذلك قوله (البحتري) أيضا:

كُلُّ عَيْدٍ لَهُ إِقْضَاءٌ وَكُنَى كُلُّ يَوْمٍ مِنْ جُودِهِ فِي عَيْدٍ<sup>(٥)</sup>

(١) من قصيدته في إهداء الفرزدق والبيث (الديوان ١٩٦) وقيل البيت بيت فاحش .  
الأوب: الحاجة للبيعة التي ذكرها في البيت السابق

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة بعد أن أوقع بين كلاب الحارثيين عليه، التي مطلعها  
بنورك وأما بيت الثعالب وشريك صاروا لهم الضراب .  
وهو يعير في البيت إلى ما فعله سيف الدولة بهم ؟ إذ سبى لسادهم، فصار أرجال كالنساء فلا  
وتقيا .

(٣) من قصيدته في مدح أبي جعفر بن حيد واستبهاه غلاما (الديوان ٢٥٧) وفي  
الديوان (الصغار) بدلا من (الصغير) .

(٤) ليس البيت في ديوانه

(٥) ليس البيت في ديوانه .

أخذه من على بن جبلة :

فبعد يوم من الأيام معتزٌ والناس في كل يوم منك في عهد<sup>(١)</sup>

وكذلك قوله (البحري) :

جاد حتى أفنى السؤالَ ظا إذا مينا السؤالَ جاد أهداء<sup>(٢)</sup>

أخذه من على بن جبلة :

أعطيت حتى لم تدع لك سائلاً وبدأت إذ قطع الشقة سؤلدا

وقد افترض البحري في هذه المأخذ غاية الاضاح ، هذا على بسطة بابه في الشعر وغناه من مثله .

وقد سلك هذا الطريق لحول الثراء ، ولم يستبقوا من سلوكها ،

لأن ذلك أبو تمام فإنه قال :

قد قلعت شغاه من حبيباته فبئيل من شدة القيس مئسما<sup>(٣)</sup>

سبقه عبد السلام بن وهبان المعروف بديك الجن قال :

وإذا شئت أن تروى الموت في صو

رة ليت في ليدتي دنيا

فألفه غير أنا ليدتك أبيض صارم وأسبر قالو

فما كنا قد قلعت شغاه فبري ضاحكا لتبني الصيال

(١) هارمجة المدح وخاصة مدح أبي ذؤيب الجلي وحيد الطوسي والأأمون ( طبقات الشعراء لابن المعتز ١٧٠ والهمز والشعر ٥٥٠ )

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ( الديوان ١٣/١ )

(٣) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم ( الديوان ١١٥/٣ ) قلت : أبرزت أسفاه من حدة الغضب

وكذلك قال أبو تمام .

فلم أمدحك تغنيا بشعري ولكنني مدحت بك المديح<sup>(١)</sup>

. أخذه من حسان بن ثابت في مدحه لابن أبي عمير رضي الله عنه حيث قال :

ما إن مدحت محمدا بمقاتلي لكن مدحتُ مقاتلي بمعد<sup>(٢)</sup>

ولاشك أن أبا بكر رضي الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضي

الله عنه ، فقال له عمر : استخلف غيري ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أحبوك فاك بها ، وإنما أحبواها بك .

وهكذا فعل ابن الرومي ، فما جاء له قوله :

جرّخته الميونُ فالتصُّ منها بجوى في القلوب دامي الندوب<sup>(٣)</sup>

سبّه أبو تمام قال :

دُ مَيِّتٌ بِاللَّحَظَاتِ وَجَنَّتْهُ فَاقتصُّ ناظرُهُ من القلب<sup>(٤)</sup>

(١) من مدحه لإسماعيل بن إبراهيم ( الديوان ١/٣٤٥ )

(٢) ليس البيت بديوان حسان .

وحسان هو حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي النجاشي أشهر شعراء رسول الله . ولد عام طويلا حتى كتب بصره في حياته ، ومات سنة ٦٤ هـ زمن معاوية من عشرين ومائة سنة . كان حسان من بيت هزلي في العصر ، إذ كان أبوه وجده شاعرين ، وكان أبوه عبد الرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين . واشتهر حسان بأنه شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي زمن النبوة ، وشاعر النبي في الإسلام .

(٣) ديوان ابن الرومي ١٧٣/٧

الندوب : الجروح . الجوى : الألم والوجد .

(٤) لم تجد البيت في ديوانه

وكذلك قول ابن الرومي :

وَكَلْتُ تَجِدُكَ فِي اقْتِضَائِكَ حَاجَتِي      وَكَلْتُ بِه مُقْتَضَاهَا وَوَكَلْتُ<sup>(١)</sup>  
سبقه أبو تمام فقال :

وَإِذَا الْجُنْدُ كَانَ عَزَنِي عَلَى الْمَرْءِ      هَ تَقَاضِيَهُ بِتَرْكِ الْقَاضِي<sup>(٢)</sup>  
وكذلك قال ابن الرومي :

وَمَالِي عَزَائِي عَنْ شَبَابِي خَلِيقُهُ      سِيَوَى أَنِّي مِنْ بَعْدِهِ لَا أَخْلِقُهُ<sup>(٣)</sup>  
سبقه منصور البصري فقال :

قَدَرَكُنْتُ أَقْضَى عَلَى قَوْتِ الشَّبَابِ أَمْسِي      لَوْلَا تَمَرَّتْ أَنْ الْعَيْشَ مُنْقَطِعُ<sup>(٤)</sup>  
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي ، فلما جاء منه قوله :

فَدَى نَفْسَهُ بِضَيَانِ النَّصَارِ      وَأَعْطَى صُدُورَ التَّنَائِيلِ<sup>(٥)</sup>

(١) ليست بدوالة المطبوع .

(٢) من قصيدته في مدح ابن أبي دؤاد التي مطلعها :

بَدَلْتُ حَبْرَةَ مِنْ الْإِعْطَاشِ      يَوْمَ شَدَّوا الرِّجْلَ بِالْأَهْرَاسِ  
(الديوان ٣١٦/٢)

(٣) الديوان ٣٩٤ من قصيدته التي مطلعها :

أَيُّنَ ضُلُوعِي حِمْرَةَ تَتَوَقَّدُ      عَلَى مَا مَضَى أَمَّ حَسْرَةَ تَتَجِدُّ  
(٤) من قصيدته في مدح الرشيد (الأغاني ١٧ / ١٨) ومنها في الشباب :  
مَا تَتَقَفَّ حَسْرَةَ مَعِي وَلَا جُرْعَ      إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَمِعُ  
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِلَذَنَةِ      سُرُوفِ دَعْرِ وَأَهَامٍ لَهَا خَدَعُ  
مَا سَكَنْتُ أَوَّلَ شَبَابِي كُنْتُ هَرَمَةً      حَتَّى أَقْضَى فَأَذَا الدُّنْيَا لِي بَسَمُ  
ومنصور النمرى كان عند الرشيد مقدما ، وكان الرشيد يطليه ويجزل له ، وكان يتظاهر  
بأنه عباسي للحب وهو في باطن نفسه شيعة .

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما استغفنه من أسر الحارثي أباه وأهل قنبل بن  
حلو ، ومطلعها :

إِلَّامَ طِمَاحِيَةِ السَّائِلِ      وَلَا رَأْيِي فِي الْحُبِّ لِمَا لَمْ

أخذه من قول الفرزدق :

كَانَ الْقِدَاءُ لَهُ مَدُورٌ وَمَاجِنَا      وَانْدَلِيلُ إِذْ رَفَعَجُ النَّهَارُ مُتَارِ(١)  
وكذلك قوله (النتهي) أيضاً :

أَيُّنَ أَرْمَمْتَ أَيُّهُمْ هَذَا الْهَامُ      نَحْنُ قَبْتُ الرُّبَا وَأَنْتَ الْهَنَامُ(٢)  
أخذه من بشار حيث قال :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ      تَبَلَّتْ الْأَرْضُ أخطاءَ الْقَطَارِ(٣)  
وكذلك قوله (النتهي) :

فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِفَاتٍ      وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا  
لَا مُنْجَحَ آتَا فَيْكَ الرُّبَايَا      كَمَا أَنَا آمِنُ فَيْكَ الْعُيُوبَا(٤)

== ( الديوان ١٨٦ / ٣ ) النضار : القحب . التنا القابل : الرماح . أي ضمن لهم القحب  
ثم أخطأهم صبور الرماح . وذلك أن سيف الفولة استنقذه من أيديهم بغير فناء ، إذ أتى الخارجى  
بجميعه وقته وأخذ أبا وال .

(١) من قصيدة له في مناقضة جرير ( الديوان ٤٦٩ / ٢ )

(٢) مطلع قصيدته في مدح للنتي حيناً عزم على الرحيل من أطلاسكية .

( الديوان ٢٩ / ٤ ) .

(٣) من قصيدته في القصر ( الديوان ٢٤٧ / ٣ ) والبيت في الديوان :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ      بَلَّتْ الْأَرْضُ أخطاءَ الْقَطَارِ  
القطار : يكسر القاف جمع قطار وقطرة والراد للطرء وضم القاف الخطر التزير .

(٤) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار التميمي .

( الديوان ١٦٧ / ١ ) التي مطلعها :

شروب الناس عفاك شروبا      فأعزهم أشلم حيبا

أحذه من ابن الرومي حيث قال :

لَسَلِمٌ قَدْ سَلِمَتْ مِنْ السُّيُوفِ      أَلَا فَاسَلِمَ كَذَاكَ مِنْ الْمُغْلُوبِ<sup>(١)</sup>

والذي عندي في الضرب للشار إليه أنه لابد من غفلة الغافل المتقدم ،  
أيما بأن يأخذ للغي فيزيده معنى آخر ، أو يبرز في لفظه ، أو يكسوه عبارة  
أحسن من عبارته .

ومن هذا الضرب ما يستعمل على وجه يزداد قبحه ، وتكثر الإشاعة به ،  
وهو أن يأخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية ، فيودعه  
قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ، ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من  
طوق أو لطاق ، ثم صاغها في مثل ما سرقها منه ، والأولى به أن كان نظم تلك  
الجوهرة في عقد أو صاغها في سوار أو خلخال ليكون أكرم لأمرها .

وعن فعل ذلك من الشعراء فانفضح أبو الطيب المتقي حيث قال في قصيدته  
التي أولا : ( غيري بأكثر هذا الناس يصدع<sup>(٢)</sup> ) .

لم يُضَيِّمِ السَّكْرَ فِي الْأَغْطَابِ مُهَيَّجَةً      إِنْ كَانَ أَسْلَمًا الْأَصْعَابُ وَالشَّيْمُ

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيتها أولا :  
« أَيُّ الْقُلُوبِ عَلَيْكَ لَيْسَ يَصْدَعُ<sup>(٣)</sup> » .

(١) من قصيدته في مدح سالم بن عبد الله بن عمر الأنباري (الفيروز ٢٩٥/١)

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة ؟ التي مطلعها :

غيري بأكثر هذا الناس يصدع      إِنْ قَاتَلُوا جَبْتُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَبُوا

(الفيروز ٣٩٣/٣) يقول إن هذه الرواية التي حزم فيها للسلمون قد دخل فيها الجند سيف  
الدولة لسكه كره على الأعداء بناسه ، فدأبت نفسه من نفسه

(٣) الفيروز ٣٢٢ في رثاء أبي حيد

وهذا المني الذي أورده أبو الطيب مأخوذة من بيت منها وهو :  
 ما هَلَبَ حبكم من الإقدام أكرثاً في الرزق إذ غابت الأنصار والشجع  
 وليس في السرقات الشرعية أفجع من هذه السرقة ، فإنه لم يكتف الشاعر  
 فيها بأن يسرق المني حتى يهادى على نفسه أنه قد سرقه .

الضرب الرابع منه السلخ :

وهو أن يؤخذ المني فيعكس ، وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنة عن حد  
 السرقة ، فن ذلك قول أبو نواس :

قالوا عَشِيتَ صغيرةً فأجبتهم أَشهى المَني إلى مالم يُرَكَّبِ  
 كم بَهَنَ حبة لؤلؤٍ مُتَقَرَّبِ لَيْسَتْ وَهِيَّةٌ لؤلؤٍ لم تُنْقَبِ (١)

فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك :

إن للطيَّة لا يَلُذُّ رَكوبُها حتى تُذَلَّلَ بالزمام وَرُكِبَا  
 وألحِبُّ ليس بنافع أربابُه حتى يُفَعَّلَ في النظم ويُثَقَّبَا (٢)

ومن هذا الباب قول ابن جعفر :

ولما بدَا لي أنها لا تُرِينِي وإن هواها ليس عَنِّي مُدْجِلِي  
 كَمَنَنْتُ أن تَهْوَى سيوَى لعلها  
 تَذوقُ صَبَابَتِي التَّهْوَى فَتَرَقَّ لي (٣)

(١) الديوان ٢٩ (للطبعة الصورية)

(٢) الديوان ٣٠٥

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر ياتى نسبة إلى أبي طالب ، وهو فاضل مدين البيعين  
 (الأغانى ١٤٢/٩) ول الأغانى (لأنودى)



وقال غيره :

ولقد سرني صدودك متى في طلائيك وامتناعك متى  
خذراً أن أكون ينفلخ غيري وإذا ما خلوت نلت التعبي

أما ابن جسر فإنه تذاب (١) وألقى عن منكبهِ رداء النورة ، وأما الآخر  
فجاء بالضد من ذلك وتعالى به غاية التلو .

وكذلك ورد قول أبي القشور :

اجدُ للامة في هواك لينة شققاً بذكرك فليكني اليوم (٢)

أخذ أبو الطيب القشور هذا المعنى وعكسه يقال :

أجبه وأحب في ملامة إن للامة فيه من أهدائ (٣)

وهذا من السرقات الخفية جداً ، ولأن يسي اجداء أول من أن يسي  
سركة ، وقد توخيت في شيء من شري فجاء حسناً ، فمن ذلك قوله :

(١) ورد في الأغانى ١٤٧/١٩ نسبة اليچين إلى ابن جسر أيضاً . وذلك أن الفوكل  
سأله عن تدينه إلى اليچين الأولين فقال له ابن جسر : جعلت فداك ، اسم يچين قاتنها في  
النورة ، وألغده اليچين .

(٢) تذاب وتذاب : استغنى وتعالى ، من تذاب ثالثة إذا استغنى لها مقبها .  
بالقلب ليطلها حل غير ولها

(٣) في الأغانى أن حل بن عبد الله أهد ثلثه أياها ، منها هذا البيت ( الأغانى  
١٤٧/١٩ ) وفي القند الغريد ٣٧٤/٥ نسبتها إلى أبي العيس ، وكذلك في شرح المزيوي  
الحصاة ١٣٧٣/٣ . أما الشاعر فاسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو ابن عم دعبل الغامر  
وكان في زمن الرشيد ماصراً لابن نواس . والعيس منادى في الأصل أثير الرديء .  
والآيات من :

ولف الهوى يرحب ألت ليس لي متأخر عنه ولا مقدم  
أجد للامة في هواك لينة حيا ذكرتك فليكني اليوم  
أعجبت أهدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم  
وأمتني فأهنت نفسي سافرا مامن يهون عليك من يكرم

(٤) من آيات أجازها باقتراح سيف الدولة ( المديوان ١/١ )

ولا أكرام وما ستوه من كرم. لم يذو قائل شير كيف يفتيح  
أخذه من قول أبي تمام :

ولا خلل سنيا الشعر ما دوى  
بنك الأثلا من ابن نوتى للكلام<sup>(١)</sup>

الضرب القاسى من الدمع :

وهو أن يؤخذ بعض الحى ، فمن ذلك قول أمية ابن أبى الصلت يطلع  
جد الحار بن جندمان :

علاؤك زين لامرى إن حوتك يهذل وما كل السلاء يزى  
وليس يفتيح لامرى بهذل وجهك كذا بعض السؤال بين<sup>(٢)</sup>  
أخذه أبو تمام قال :

تدنى عابله وقرأ وفى إن شيرت كانت فخرا لمن يشقوه مؤكنا  
مازلت مظهرا أصبوة زمتك حتى دأبت سؤالا يفتي شرا<sup>(٣)</sup>  
فأمية بن أبى الصلت أتى بمعنيين اثنين ، أحدهما أن عطاءك زين ، والآخر أن

(١) من قصيدته فى مدح أحمد بن حواد (الديوان ١٨٣/٣) وفى الديوان (بنات الندى)

(٢) الأغانى ٣/٨ والديوان ٦٣

أمية شاعر جاهل حط ديوانه بالتوحيد والكوثيات والبيت والصاباغ بلع طل به  
الأسنى فحب أمية فى شعره بلمة ذكر الآخرة، وذهب عنفة بلمة ذكر الحرب، وذهب مرمز  
أبى ربيعة بلمة ذكر الصباب (الأغانى ١٢٥/٤) وقد أدرك الإسلام وتولى سنة ٩٠ هـ وكان  
قد قرأ الكتب وأصل بالدينين وليس للسوح وتلك وحرم الحر والأوتان  
وعبد الله بن جندمان جواد مرمز معهود ربما كان الذى يحضر طعنه ، وقد سطر فى داره  
قبل النبوة حقا لرد للنظام

(٣) من مدحه لأبى جالب السجل مطلقا .

أما المرموم فقد أذكرن ماسلفا فلا تكفى عن شايك أو يكلفا

(الديوان ٣٦٥/٢)

حطاه فخره شهن ، وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لا غير .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة :

وَأَقْلَمَ مَالِي بِمَحْوِهِ مَقْدَمُ      وَإِنْ نَالَ مِنْهُ آخِرُ مُهَوَّاتِ بَيْعِ

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْقُضَيْي :

تَرَفَّقَ مِنْ مَوْنِ الْمَكْلُومِ قَدْرُهُ      فَمَا يَفْتَلُ الْقَتْلَانِ إِلَّا عَذَابِيَا ١٥

فعل بن جبلة اشتمل ما ذكره على معنيين : أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد  
من قتلته ، وإن نال منه الآخر شيئا فلما هو مقدره وتابع له . وأما أبو الطيب  
فإنه لم يأت إلا بالمعنى الواحد ، وهو أنه يفعل ما لا يفعله غيره ، غير أنه أبرزه  
في صورة حسنة .

ومن ذلك قول أبي سالم :

كَانَ رَّبُّكَ التَّجِدِ بِسَلْمٍ أَنَّهُ      لَمْ يُبْقِدْ أَعْرَفٌ إِذَا لَمْ يُقَدِّمِ ١٦

قَالَ الْبَهْرِيُّ :

وَيُثَلُّكَ إِنْ أَبْدَى الْقَتْلَ أَمَادَ      وَإِنْ صَنَعَ لِلْعُرُوفِ زَادَ وَتَمَامَ ١٧

فأبو تمام قال إن للمدح يرُبُّ صنيعة ، أي يستدعيه ، ويصلح أنه إذا لم

(١) من تصديده في مدح كالنور التي مطلها :

كأن بك داء أن ترى الموت شاكيا      وحسب الشاك أن يكن أماليا  
(الديوان ٢٨/٤ • النون : هم عوان وهي التي فوق البكر دون الفارس . السناري :  
هم حفراء وهي البكر ، أي أنه أبجل فدرا من أن يفعل في المكرمات فعلا قد سبه إليه  
أحد ، وإنما يأتي بها اجتمعا

(٢) من مدحه لأن شباهه ٢٤٨/٣

(٣) من تصديده في مدح القاص بن غافل التي مطلها :

يهون عليها أن آيت منها      أمالج شوه في التفسير مكنها  
(الديوان ٢٢٧/٧)

يسعدني فما ابتدأه ، والبحتري قال إنه يستعبد صفيه لا غيره ، وذلك بعض ما ذكره أبو تمام .

وكذلك قال البحتري :

اذنق بأشكال أبي غالب عكوبة المذم أو استغفب<sup>(١)</sup>

أخذه من تقدمه ، حيث قال :

انتج الفضل أو قبل عن الدنيا فنان غاية الميم

فالبحتري أخذ بعض هذا المعنى ولم يتوقف .

وكذلك ورد قول ابن الرومي :

زلتم على هام المعالي إذا ارتقى إليها ألس غيركم بالسلايل<sup>(٢)</sup>

أخذه أبو الطيب المتنبى فقال :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غاية نزولوا<sup>(٣)</sup>

وهذا بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي ، لأنه قال إنكم نزلتم على

هام المعالي وإن غيركم يرقى إليها ، وأما المتنبى فإنه قال إنكم إذا أردتم غاية نزولكم ،

وأما قوله ( فوق السماء ) فإنه يعني عنه قول ابن الرومي ( نزلتم على هام المعالي ) إذ

للمعالي فوق كل شيء ، لأنها مختصة بالمرء مطلقا .

(١) من قصيدته في مدح أبي غالب أحمد بن المديراني مطلقا :

لم يبلغ الحق ولم تصد حين رأته بيتا لم تدر

( الديوان ١٠٧/٢ )

(٢) ليست بشيوائه المطبوع

(٣) من مدحه لسند الدولة بقصيدة مطلقا :

الط لا تلتأ أبها الطلل بى وتزوم تحتنا الإبل

( الديوان ٣٧/١ )

الغريب المأوس من السلح :

وهو أن يؤخذ المعنى في زاد عليه معنى آخر ، فما جاء منه قول الأحنس بن شهاب :

إِذَا قَعُصْرَتْ أَسْنَانُنَا كَانَ وَهْمُنَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَانِنَا قُضَارِبٌ<sup>(١)</sup>

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه ، وهو قوله :

إِنَّ قَعَصَرَ الرُّمَحِ لَمْ يَنْشُرْ انْخِلَاطًا عَدَدًا

أَوْ عَرَدَ السِّيفُ لَمْ يَهْنَمْ بَقَّةً يَدٌ<sup>(٢)</sup>

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره :

غَرَائِبُ أَلَا فِ إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخْلَقَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُطَلَّأٍ<sup>(٣)</sup>

أخذه أبو تمام فزاد عليه ، إذ قال في وصف قصيد ه ، وقرن ذلك

بالممدوح :

غَرَائِبُ لَأَقَتْ فِي فَسَائِكَ أُنْسَهَا

مِنَ التَّجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبٍ<sup>(٤)</sup>

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ٧٢٧/٢ وفيه ( وإن قصرت )

وهو الأحنس بن شهاب بن شريق انتهى نسبة إلى تغلب ، شاعر جاهل لديم قبل الإسلام بدمر . وهو غير الأحنس بن شريق التثني الصحابي

(٢) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد المهمل ( الديوان ١٥٩ ) تمرّد : عدم فهم ،

أى لم يهيم بإيراد السيف عن الفرسية

(٣) من قصيدته في حياء البيت ( الديوان ٥٤٢ ) والنس لالديوان :

فَلَيْسَ لَهَا جِيهَمٌ بِسُكَلٍ غَرِيبَةٍ شُرُودَ إِذَا الْمَارَى بِلَيْلٍ تَرْمَا

غَرَائِبُ أَلَا إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخْلَقَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُطَلَّأٍ

(٤) من مدحه لأبي ذؤيب بقصيدة مطلقها :

هَلْ مِثْلَهَا مِنْ أَرْبَمٍ وَمَلَابٍ أَذْيَلَتْ مَصَوِّتَاتِ الْمَوْعِ السَّوَاكِبِ

( الديوان ٧٦١ / ١ )

وكذلك ورد قول ولد متلفه بن عبد الله :

أذلّ المسايّة وكُزّة اللّيت وكُلّا أراد طليّاً وقبيلًا  
فلن لم يكن خدّ إحداهما فتحوّا إلى الموت سُدّاً جملاً

أخذه أبو تمام قال :

مَثَلُ لَوْتٍ بَيْنَ عَيْنِهِ وَاللَّيْلِ وَكُلًّا رَأَى خَطْبًا عَطْبًا  
ثُمَّ سَلَوَتْ بِهِ الصَّيْبَةُ قُدَمَا فَأَمَاتَ الْبَيْدَا وَمَاتَ كَرِيماً<sup>(١)</sup>

فزاد عليه بقوله « فَأَمَاتَ الْبَيْدَا وَمَاتَ كَرِيماً » .

ويروي أنه نظر عبد الله بن علي رضي الله عنه عند قتال الروانية إلى فقه  
عليه أجرة الشرف ، وهو يول في القتال بلاء حسناً ، فناداه : يا فقه لك الأمان .  
ولو كنت مروان بن محمد . قال : إلا أكفّ فلتت بدونه .

قال : تلك الأمان ، ولو كنت من كنت . فأطرق ثم غتل بهذين البيعين للذكورين .

وكذلك ورد قول أبي تمام :

يَصُدُّ عَنْ الدُّنْيَا إِذَا مَنَّ سُوْدَةٌ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زَيْمٍ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ<sup>(٢)</sup>

أخذه من قول ابن المتكلم بن خيلان :

وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْفُلَا إِذَا كَانَتِ السَّهَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ٣٣٤ في رواء جعفر الطائي

(٢) من مدحه لابي الحسن محمد بن الميثم بن شبابة التي مطلعها .

فكروا جندوا من عهدهم بالعاصم وكان هي لم تسع لعمدان ناهد

(الديوان ٦٨/٢)

(٣) مصوب اسمه من الألفاني ١٢ / ٥٤ وكان في الأصل الفلله ، بغير ابن .

إلا أنه زاده زيادة حسنة بقوله : « ولو برزت في زى هنراه فاعد » .

وبما يجري هذا الجرى قول البهري :

خَلَّ عَمَّا ظَنَّا أَنْتَ فِينَا      وَأَوْعَدُوا أَوْ كَالْحَدِيثِ الشَّادِ (٢٦)

أخذه من قول أبي نواس :

فَلَنْ لَنْ يَدْرِي سَلْبِي سَلْعًا      لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قُلُوبًا ظَنَرِ  
إِنَّا أَنْتَ مُنْطَقٌ مِثْلُ      وَأَوْ      أَلْفَتْ فِي الْمَجَاءِ ظَلًّا بِمَعْرِ (٢٧)

إلا أن البهري زاد على أبي نواس في قوله : « أَوْ كَالْحَدِيثِ الشَّادِ » .

وهكذا ورد قول البهري أيضاً :

رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْقَرَاتِ وَأَمْلُوا      جَدَلَانِ يُبْدِعُ فِي الْقَمَاحِ وَيُغْرِبُ (٢٨)

أخذه من مسلم بن الوليد في قوله :

رَكِبْتُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤَخَّرَاتِهِ      فَأَوْتَمْتُ بِنَا مِنْ بَنَدِ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ (٢٩)

== وهو عبد الصمد بن المنذر بن هيلان . وفي الأمان :

ولست بجال إلى جانب القى      إذا كانت التلياء في جانب القفر  
وإني لصبار على ما ينوبني      وسببك أن اتق أتى على الصبر

(١) من حياته لعل بن الجهم (الديوان ١٩١/١)

(٢) في مجاء أحصح السلي (الديوان ٥٤٥) وكان في الأصل (سلياً) واليهب

القال بالديوان :

إِنَّا أَنْتَ مِنْ سَلْبِي كَوَاد      أَلْفَتْ فِي الْمَجَاءِ ظَلًّا بِمَعْرِ

(٣) من مسند إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ٦٧/١) .

(٤) الديوان ١١١ و يروي ركبنا إليه البحر . مؤخراته : « أواخر وكو » . وانضم  
في أول يوم على السينة للذكورة قبل ذلك

إلا أن البحري زاد عليه بقوله : « جذلان يهدع في البجاج ويترب » .  
وكذلك ورد قول أبي نواس :  
وليس فيك بُسْتَكْرَ أن يَجْمَعَ العالم في واحد<sup>(١)</sup>

وهذا البيت قد لُجج به الناس لوجعا كثيرا ، ومنهم من ظنه مبهما لأبي نواس ، ويحكى عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دواد<sup>(٢)</sup> فقال له : أحسبك هاتيا يا أبا تمام ، فقال : إنما يُقْتَبُ قَلَى واحد ، وأنت الناس جميعا ؛ قال : من أين هذه يا أبا تمام ؟ قال : من قول الخافق أبي نواس ، وأنشده البيت ، وهذه الحكاية عندي موضوعه لأن أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى إنه قال : لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال ، وما كان يخفى عليه أن هذا للعين ليس لأبي نواس ، وإنما هو مأخوذ من قول جرير :  
إذا عَصَبْتَ عليك بَنُو تميم حَبِيتَ الناسَ كُلَّهُم فِضَاباً<sup>(٣)</sup>

إلا أن أبا نواس زاد زيادة حسنة ، وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد ، وذلك أبلغ .  
وعما ينظم في هذا البيت قول الفَرَزْدَق :

(١) من مدحه لهارون الرشيد ( الديوان ٤٥٤ )

(٢) هو ابن أبي دواد الإيادي ، كان من جلة العلماء في عصر للأُمويين ، وقد صرف فنه ، فأرصى أخاه المصم به ، وكتب في كتاب الوصية له بالخلافة « وأبو عبد الله أحد بن أبي دواد لا يشارك ، أشرك في الدعوة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك » فكان المصم لا يبدل قلمنا بلطنا ولا ظمراً إلا برأيه ، ثم حصلت حاله كذلك عند الواقع بعد المصم ، ثم طلع في خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٠ هـ .

ويقول ابن خلكان « دواد » يضم الدال وتفتح الواو .. ولي التاموس المحيط في مادة « داود » : وأحد بن أبي دواد معروف . ومن هنا يظهر لك خطأ من يهز الواو ، وقد وقع في ذلك كثير .

(٣) الديوان ٧٨ من قصيدته في هجاء الراعي النخري



علامَ تَلَقَّيْنِ وَأَنْتَ تَحْقِي وَخَيْرُ النَّاسِ كَلِمُ أُمَامِي  
مَنْ: تَأْتِي الرُّصَاةَ تَسْرِي مِنْ الْأَنْسَاعِ وَالْدَّيْرِ الدَّوَامِي<sup>(١)</sup>

أخذه أبو نواس فصار أملك به ، وأحسن فيه غاية الإحسان ، قال :

وإذا لاطئٌ بِمَا بَلَنْتُ مُعْداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ<sup>(٢)</sup>

فاقرضق قال : ( تسري من الأنساع والدير الدوامي ) وليست استراحتها  
بماسة من معاودة إنسابها مرة أخرى ، وأما أبو نواس فإنه حرم ظهورهن على  
الرجال ، أي أنها تُقْنَى مِنَ السَّفَرِ إِعْضَاءَ مَسْعَمَرَا ، ولا شك أن أبا نواس لم ينتبه  
لهذه الزيادة إلا بين فعل العرب في السالبة والتبعية<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول للضي :

وَمَعْرُومَةٌ زَرَدَتْ قَوْحُهَا وَلَكِنَّهَا بِالْقَنَّا مُعْتَمِلٌ<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدته في مدح هفام بن عبد الملك ( الديوان ٨٣٥ ) وفي الديوان  
( إلام تلتفين )

(٢) من قصيدته في مدح الأمين ( الديوان ٤٠٧ )

(٣) السالبة : البعير يدرك نتاجه فيسبب أي يترك لا يركب والثاقفة . كانت تسبب في  
الجاهلية . لنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت مفررة أبطن كلهن إناث سيبت أو كان الرجل إذا  
قدم من سفر بعيد أو نجت حاجة من حرب أو مقله قال هي سائبة ، وكانت لا تقتم من ماء  
ولا كلاً ولا تتركب .

البعيرة : كانوا إذا نجت الثاقفة أو الدانة مفررة أبطن بحروها وتركوها ترمي وخزموها  
لحما إذا ماتت على نسائها وأكلها الرجال ، أو التي خلعت بلا راع ، أو هي ابنة السائبة ،  
وكانوا يحرمون لحما وركوبها .

(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة ( الديوان ٧٤١/٣ )

معرومة : كناية مجدية ، والكلمة مطبولة على كلمة مرفوعة من قبل . زرد قوحي . ثيابها  
مدرج لها . والورد خلق الفروع . أي حال بينهم وبين ما يمتنون حبشك الذي اتخذ فرسانه  
المدرج لبأسلم ، إلا أن ذلك الثوب غل بالرماح كالخيل لشك الثياب

أخذه من أبي نواس في قوله :

أَمَامَ تَحْيَسٍ أَرْجُوَانِ كَأَنَّهُ قَبِيصٌ تَحُوكُ مِنْ قَنَاقٍ وَجِيَادٍ<sup>(١)</sup>

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس بهذا المعنى .

وكذلك قال أبو الطيب لنفسه :

وإن جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي السَّكْرَمِ الْأَوَّلِ<sup>(٢)</sup>

فأخذه أنا وزدت عليه فقلت :

أَنْتَ فِي الْجُودِ أَوَّلٌ وَقَمْنَى الْإِسْهَ بِالْأَلَا يُرَى أَنَّكَ الدَّمْرُكُنِ

وهذا النوع من السرقات قليل الرقوع بالنسبة إلى غيره .

المضرب السابع من السلم :

وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة .

فإن ذلك قول أبي تمام :

جَذْلَانِ مِنْ غَافِرٍ حَرَّانِ أَنْ رَجَعْتَ غَضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ بَدِيمٌ<sup>(٣)</sup>

(١) من قصيدته في مدح الفضل بن يحيى بن خالد البرقي ( الديوان ٤٧٣ ) الخبيس ؛  
لبش النخيم . أرجو أن : آخر

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أَيْتَمُ فِي الْمَيْمَةِ الْمَذَلُّ وَتَشْمَلُ مِنْ دَعْمَا يَشْمَلُ

(٣) من قصيدته في مدح مالك بن ملحوق التقي ( الديوان ١٦١/٤ ) وجذلان  
من الفاعل في البيت السابق :

قد انشأ بالثأر في أَسْنَتِهِ وَقَدْ أَطَامَ حَيَارَاكُمُ عَلَى الْإِثْمِ  
القيم : العاريق الواضح .

أخذه البحرى قال :

إذا احتربت يوما قاضت يملؤها

تذكرت القرى قاضت دموعها<sup>(١)</sup> !

ومن هذا الأسلوب قولها أيضا ، قال أبو تمام :

إن الكرام كثر في البلاد وإن قلوبا خيروهم قلوبا وإن كثروا<sup>(٢)</sup>

وقال البحرى :

قل الكرام نصار يكثر قدومهم . وقد يبل الشئ حتى يكثر<sup>(٣)</sup>

وعلى هذا السورود قول أبى نواس :

يدل على ما فى الضمير من القبح

قلب عيني إلى شخص من يهوى<sup>(٤)</sup>

أخذه أبو الطيب الغنى قال :

وإذا خامر الهوى قلب صب عليه لكل عين دليل<sup>(٥)</sup>

---

(١) من قصيدته فى مدح الخوكل وذكر صالح بن ثعلب ( الديوان ٣١٦/٢ ) والفسيد  
عالم على الفرسان من الطريفين

(٢) من قصيدته فى مدح عمر بن عبد العزيز الطائي ( الديوان ١٨٩/٢ )

(٣) من قصيدته فى مدح إسحاق بن كنداج ( الديوان ٢٩/٧ ) فدم : فريدم ،

(٤) من قصيدته فى الغزل والمجنون مطلقا :

بجاني وأبلاى تذكر من أموى وألبسى ثوبا من الفرس البوى

( الديوان ١١٨ )

(٥) من قصيدته فى مدح سيف الدولة ( الديوان ٣٣٤/٣ ) التى مطلقا :

ليالى بهد الظافير شكل طوال وليل الماعدين طول

وَمَا يَنْتَظِمُ فِي هَذَا السَّكِّ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْهَنْدِيِّ :

إِذَا مَا أُرْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ الْقَتَايِ قَدْ وَقَّعَ انْتِقَامِي فِي أَرْيَادِ<sup>(١)</sup>

أَخَذَهُ ابْنُ نُجَاةِ السَّيِّدِيِّ<sup>(٢)</sup> قَالَ :

إِذَا كَانَ قُصَانُ النَّحَى مِنْ تَمِيهِ فَكُلُّ صَحِيحٍ فِي الْأَمَامِ حَلِيلُ

وَكَذَلِكَ رَدُّ قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي مَرْثِيَةِ :

وَمَا كُفِّتُ الْهَنْدِ لِلنَّهْرِ قَدِيمَةً وَلَكِنِّي فِي وَجْهِهِ أَتَرُ الْظُّلُمِ<sup>(٣)</sup>

أَخَذَهُ الشَّامِرُ السُّرُوفِيُّ بِالْقَيْسَرَاتِيِّ قَالَ :

وَأَهْوَى الَّتِي أَهْوَى لَهَا الْهَنْدُ سَاجِدًا أَلَسْتُ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَتَرَ الْكُزْبِ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

لِإِذَا شِلْفَتْ عَيْنُ أَمْرِي شَيْبَ قَهِيهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّاءَةِ أَجْدَرُ<sup>(٤)</sup>

---

(١) من مدحه لى بن إبراهيم التتوخي ( الديوان ٩١/٢ ) والنس في الديوان :

إِذَا مَا أُرْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ الْقَتَايِ قَدْ وَقَّعَ انْتِقَامِي فِي أَرْيَادِي

يريد أنه إذا بلغ الشباب نهجته فزيادة العمر بعد ذلك زيادة في التمتع ، لا يقرب على

هذا من صف الشيوخ ، كما قال عبد الله بن طاهر :

إِذَا مَا زَادَ مَرَرُكَ كَانَ قَصَا وَقَصَانُ الْحَيَاةِ مِمَّ انْتَامَ

وَمَا قَالَ آخَرُ :

إِذَا تَسَقَّى الْهَلَالَ وَسَارَ بِدُرَا تَبَيَّنَتْ الْحَقَائِقُ مِنَ الْهَلَالِ

(٢) تقدم التخریف به . والاسم يروى بضم النون ويقتضها وهو أبو نصر عبد العزيز

عند ابن نباتة السعدي التميمي أحد لحول القراء . توفي سنة ٤٠٥ هـ بغداد .

(٣) من قصيدته في رثاء أبي إبراهيم العلوي ( سقط الزند ٢٩٢/١ ) وفي الديوان

( الظلم ) يريد أن السكافة التي ترى فيه ليست قديمة ولكنها من لطمه لا بلغه لى المتوفى .

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال :

إِذَا كَانَ شَيْءٌ بَنِيًّا إِلَى فَكَيْتْ يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيًّا (١)

ومما يخطر في هذا السلك قول بعضهم :

مُخَضَّرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ حُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَلَمَتْهَا حُقُودُهَا

أخذه أبوهم فقال :

كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عَقِيدٍ مَلَاةٍ

وَحُسْنًا وَإِنْ أَضَعْتُ وَأَنْتِ بِلَا عَقِيدٍ (٢)

ثم أخذه البحترى فقال :

إِذَا أَطْلَقَ الْيَاقُوتُ إِشْرَاقُ وَجْهِهَا فَإِنَّ عَدُوَّهَا تَوَسَّعَتْ حُقُودُهَا (٣)

وأمثال هذا كثيرة ، وفيما أوردناه مقتضب .

المضرب الثامن منه المثلج :

وهو أن يُؤْخَذَ لِلْمَنَى وَيُسَبَّكَ سَهْكَامُوجَزَا ، وذلك من أحسن السرفقات ،

لأن فيه من الدلالة على بسطة النظم في القول ، وسعة بابه في البلاغة .

(١) الثائل هو أبو هلال العسكري ، وقبل البيت قوله :

فلا تعجبا أن يعين المغييب لما عين من ذاك إلا مغييبا

(الصناعتين ٤٨)

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفتح الرازي (الديوان ١١١/٢) وبالديوان تقديم

أست طمأضعت

(٣) من قصيدته في مدح ساعد بن عبد (الديوان ١٥٦/١) وبالديوان (حسنا)

لأعين (وجهها) .

فمن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يَظْفَرْ بِمُحَاجَتِهِ

وَلَازِ الطَّيِّبَاتِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ الْفَرَجُ (١)

أخذه سلم الخاسر - وكان يلهذه - فقال :

من راقب الناس مات غمًا وَلَازِ بَلَقْدَةَ الْجَسُورِ (٢)

فهو بين البيتين لفظتان في التأليف .

ومن هذا الأسلوب قول أبي تمام :

بَرَزْتُ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَاحِدًا فِيهَا تَبِيرُهُ مُنَوَّرًا أَوْ مُنْجِدًا

هَبَّكَ بِأَمْكٍ سَالِمٍ فِي وَخْشَةٍ فِي غَايَةِ مَزَلَتْ فِيهَا مُفْرَدًا (٣)

(١) الديوان ٧٥/٢ - الفاتك : القائل واستأمره الجري - والذي لا يزال إسكرار الناس . النهج : القرى بالعمى المتأثر عليه المقام .

(٢) ذكر أبو جلال في الصناعتين ٢١٤ أن بشار الماسم بيت سلم قال : ذهب ابن الغمامة بيق . ول شرح ديوان بشار ٧٥/٢ وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٠٠ أنه قال : فهو أخف منه وأدب ، والله لا أعلم ولا شربت اليوم . فلما بلغ ذلك سلم استمع إليه بشار بحماسة ، فذموا به فقال بشار : أين هو الضيف ؟ قالوا : جاهدًا ، فقام إليه وسلم ، وقبل سلم رأسه وقال له : يا أبا ساذ خريجك وتلينك . قال بشار : يا سلم من الذي يقول ؟ من راقب الناس لم يظفر بمحاجته ... قال : أمت يا أبا ساذ . قال : فن الذي يقول : من راقب الناس مات غمًا ... قال : خريجك يا أبا ساذ . قال : أنا أخذ منالي التي قد عنت بها وعتبت في استلباطها ، فتكسوها ألفاظًا أئف من ألفاظي . حق يروى ما تقول ويذهب شعري ؟ لأرضي ذلك أبدًا . فلما زال يصرخ إليه والقوم يهلمون حق رضى عنه .

وسلم الخاسر هو سلم بن عمرو شاعر بصري قدم بفساد ومدح المهدي والمهدي وهارون والبركات . وسمى بالخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفًا فباعه واشترى طنبورا (الأمانى ٧١/٧٣)

(٣) من مصدحه لأحمد بن عبد الكريم الطائي (الديوان ١٠٤/٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

بَعْرَبْتَهُ انْقِلَابِيْ تَرْهَرُ فِي النِّمَاسِ وَمَا أَوْحَشْتَهُ بِالتَّغْرِيبِ (١)

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالْهَرَمِ عَيْنَا غَمٍّ خَالِقِ

من جُودِ كَفْكَ تَأْسُرُ كُلَّ تَاجِرَةٍ (٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

الْهَرَمُ يُفِيدُ مَا اسْتَطَاعَ وَأَخَذَ يَنْقَبِضُ الْإِنْسَادُ بِالْإِصْلَاحِ (٣)

وعلى هذا ورد قول ابن الرومي :

كَأَنِّي اسْتَدْنِي بِكَ ابْنَ حَبِيبَةٍ

إِذَا التَّرْخُ أَدْنَاهُ مِنَ السُّنْدِ أَهْبَدًا (٤)

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحميري (٥) فقال :

فَهَوَّ كَالسَّهْمِ كَمَا زِدْتَهُ مِنْكَ دُنُوًّا بِالتَّرْخِ زَادَكَ هُبْدًا

(١) من قصيدته في مدح يحيى بن علي النخعي (الديوان ١/١٠٩)

(٢) من قصيدته في مدح أبي العباس (الديوان ١/١٠٧)

(٣) من قصيدته في مدح أحمد بن حنبل (الديوان ١/١٠٤)

(٤) غير موجود بالديوان

(٥) هو أبو الجهد مسلم بن الحضر بن سلم بن قيس الحميري النخعي ، ذكره العبادي في الخزينة في شعراء حجة بأسلوبه للسجود المتنوع بقوله « أبو الجهد مجيد العصر ، وعيد العصر ، بريد العصر ، ذوقه للثوب مستقر ، والقول مستقر » - إلى أن قال « كان ثالث النخعي وابن منير في زمانهما ، وسبقهما في ميدانهما ، تبع في عصر عيشتهما ، وبلغ في دهرتهما ، ورأى سحرهما سحره ، ورأى سحرهما شعره ، فكشفناه مرره ، وإلى عبا =

ولقيت جاء من الأدياء بالشام ، ووجدتهم يزعمون أن ابن قبيص هو القليل  
ابتدع هذا الحق ، وليس كذلك ، وإنما هو لابن الرومي .

وما يجرى هذا الجري قول أبي الساعية :

وإني لسنورٌ جل فرط حبها لأن لها وجهاً يذلُّ على عُذري<sup>(١)</sup>

أخذه أبو تمام قال :

له وجهٌ إذا أبصرته نجاك من عُذري<sup>(٢)</sup>

فلوجز في هذا المعنى غاية الإيجاز .

وما يجرى على هذا المبع قول أبي تمام :

كانت مسألة الزكبان تفتيرني

عن أحمد بن سعيد أطوب الخليل

حق التقينا فلا والله ما سمحت

أذني بأحسن مما قد رأى بعصري

شبهه ، وحل حبا آداه ، وأمر جي جناه ، وحل هبوب بهمايه ، وذلك في سنة ثمان  
وأربعين وخمسة « ومن العجيب أن يقول المأد بعد ذلك » ووجدت في ديوانه لحنا فاسحا ،  
وومنا بالشمال جالفا . وانظرت في ديوان حمزة ، فالتفتت فرأيت حرة ، وثلاثه بسره . . .  
وقال منه ابن صاكر : شاب شاعر ، قدم دمشق ، ومدح أتابك زنكي . واختار له طائفة  
من الأبيات [ وانظر خريدة القصر ، وجريدة الشعر . ٣١/١ ] قدم شعراء الشام . بهاميق  
الذكور شكرى فيصل - دمشق ١٩٥٥ ]

(١) ليس بالهيوأت .

(٢) الديوان ٣٧٤



أخذه أبو الطيب للثني فأوجز حيث قال :

وَأَمَّا تَكْبِيرُ الْأَخْبَارِ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَقِينَا صَفَرَ الْخَبَرُ الْخَبِيرُ<sup>(١)</sup>

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

كَمْ صَارَ مِنْ مَضْطَبِ أَنَاثٍ عَلَى نَفَى مِنْهُمْ لِأَهْلَاءِ الْوَعَى بَجَالِ  
سَبَقِ لِلشَّيْبِ إِلَيْهِ حَتَّى انْبَزَّ

وَطَنَ الْأَمَى مِنْ تَفَرُّقِ وَقْدَالِ<sup>(٢)</sup>

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال :

يَسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثٍ فَلَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا عَرَمٌ<sup>(٣)</sup>

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء .

أَمِنْ خَوْفِ قَتْلِ قَتِيلَتِهِ وَأَخْرَزَتْ إِنْشَاقَ مَا يَبْجُمُ  
فَهَرَّتِ الْقَفِيرَ وَأَنْتَ الْفَقِيرُ وَمَا كُنْتَ تَتَدَلَّى الْقَى تَصْنَعُ

(١) من مديحه لعل بن أحمد بن طاهر الأملاني (المديح ٣٩١/٢)

(٢) من قصيدته في مدح الخصم بعد هزيمة الغربية (الديوان ١٤١/٣)  
في الأصل كَمْ صَارَ مِنْ مَضْطَبِ أَنَاثٍ عَلَى نَفَى . يقول هذا الصارم سبق إلى هذا التقى العبير  
فلبس رأسه وأم دماغه الذي هو وطن المال .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة ولقد انصرف على الروم

بظلمها :

على الذين على عصى الوضى لعم  
بلذا يزعمك في إلهامك القسم

(الديوان ١٨٣/٤)

أخذه أبو الطيب اللقي فقال  
ومن يُنْزِقِ الساعاتِ في تَجَمُّعِ ما هـ  
مُخَالَفَةً قَرِيرَ قَالِدِي قَمَلِ الدَّيْرِ<sup>(١)</sup>

المضرب التاسع منه السليخ :  
وهو أن يكون اللقي طاماً فيجمل خاصاً ، أو خاصاً فيجمل عاماً ، وهو من  
السرفات التي يسميها صاحبها .

فمن ذلك قول الأخطل :  
لأنَّه من خُلِقَ وتَأَنَّى مِثْلُهُ هـ  
هَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَاتَ عَظِيمُ<sup>(٢)</sup>  
أخذه أبو تمام فقال .

الوم من بَخِلَتْ يَدَاهُ وَأَغْتَدِي هـ  
البخل ترهباً ساء ذاك صَنِيعاً<sup>(٣)</sup>  
وهذا من العام الذي جعل خاصاً ، ألا ترى أن الأول نهي عن الإتيان  
بما ينهي عنه مطلقاً ، وجاء بالتثنية منكراً لجملة شائس في بابها ، وأما أبو تمام  
فلأنه خصص ذلك بالبخل ، وهو خلق واحد من جملة الأخلاق .

---

(١) من نسخة لعل بن أحمد بن حابر الأطلال ، ، ومطلع القصيدة :

أطامن خيلاً من فوارسها الدهر وحيدا وما قول كذا ومضى الصبر  
( الديوان ٣٠٥/٧ )

(٢) وروى لأبي الأسود الدؤلي وروى المتوكل الميحيي وقد أكد ذلك الأندلسي في  
المؤلف واختلف ١٧٩ وللرزياني في معجم الأدياء ٤١٥

(٣) التي بالديوان صفحة ٧٨٦ مكنة :

الوم من بخلت يدها وأغتدي في تالدي للماتلين معيها .  
أبغى فاعصى الماتلين وأغتدي للبخل ترهباً ساء ذاك صَنِيعاً

وأما جعل الظاهر عاما فقول أي تمام :  
ولو حارَدَتْ شَوْطُ حَدَرَتْ لِقَاتِهَا  
ولَكِنْ مُنِيتُ الدَّرَّ وَالْمَضْرَعُ حَائِلٌ<sup>(١)</sup>  
أخذه أبو الطيب اللغوي لجهة عاما إذ يقول :  
وما يُؤْلِمُ الجرْمَانُ من كَفِّ حَارِمٍ  
كما يُؤْلِمُ الجرْمَانُ من كَفِّ دَارِيٍّ<sup>(٢)</sup>

الغريب العاشر من العلم :

وهو زيادة البیان مع المساواة في المعنى ، وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له  
مثال بوضوحه .

فما جاء منه قول أي تمام :

هو الصَّنْعُ إِنْ يَنْجَلِ نَفْعٌ وَإِنْ يَرَتْ فَلَئِنْ فِي بَعْضِ اللّوْاطِنِ انْتَفَعُ<sup>(٣)</sup>

(١) من قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات

(الدريوان ١٢٩/٣)

أي أن مطلق عام ومطلق مع طول أمل فك ، ولو كان ذلك لإعوازك لمنزلك ، ولكنتك  
حرمتي ومالك كثير ، وعطاؤك ممكن .

حارَدَتْ : قل لئنها . القول : التوق الفيليات الإبن ، جمع شائلة . حائل : ممتلئ .

(٢) من قصيدة في مدح سيف الدولة بن حمدان مظلما :

تذكرت ما بين المذهب وطرق حجر عوالينا وجرى السوابق

(الدريوان ٧٧/٣)

(٣) من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الكفري ، مظلما :

أما إنه لولا الخيط اللودع ورجع حفا منه مصيف ومرج

(الدريوان ٣١٩/٣)

والقافية بالدريوان (أسرع) بدلا من (أظم)

أخذه أبو الطيب فأوضعه بشال ضربه له وذلك قوله :  
ومن أظهر بظنه سبيك عني . أَسْرَعَ السَّخْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ (١)  
وهذا من المقتدع لامن المروق ، وما أحسن ما أتى بهذا المعنى في المثال  
المناسب له .

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :  
قد قَلَصْتُ شَفَاتِهِ مِنْ حَفِيظَتِهِ فَيَحِيلَ مِنْ شِلَّةِ التَّيْسِ مُهَيِّمًا (٢)  
أخذه أبو الطيب المعنى فقال :

وجاهل مدته في جهله ضيكي . حتى أَمَتَهُ بِذِي فَرَّاسَةٍ وَمَمَّ  
إذا رأيت نبوب الأوث بارزة فلا تظنن أن الهيث مُهَيِّم (٣)  
وما يخطر في هذا السلك قول أبي تمام :  
وكذاك لم تُفْرِطْ كَأَبْهَ عَاطِلٍ حَقَّ يُجَاوِرُهُمَا الزَّمَانُ بِحَالٍ (٤)

---

(١) من قصيدته في مدح أبي الحسين علي بن أحمد للرؤى الفراساني مطلعها :  
لا انصغار إلا لمن لا يشام مدرك أو محارب لا ينام  
(الديوان ٢٨٦/٤)  
سبك : عطائك . الجهام : السحاب التي لا ماء فيه  
(٢) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٧٠/٣) أي قد أبرجتني  
خفاته أسنانه من همة الضرب  
(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :  
واحر قلباه بمن قلبه هم ومن يحمي وحلى عنده سقم  
(الديوان ١٠٤/٤) هم : بارد . واليهث الثاني بالديوان (إذا غفلت) يد فراسة :  
يد بالغة هدية الأقراس .  
(٤) من قصيدته في مدح النعمان مطلعها :  
آلت أمور الفرك شـمـال وأمر يد تحضض وسيل  
(الديوان ١٣٧/٣)

أخذ أبو حمادة البحري فقال :

وقل زادهما إفراسد حُسنِ جوارهما  
ولاخلاف أشتار عن المجد حُسنِ  
وحسنُ دُراري الكوا كسب أن ترعى  
طوالح في دلاج من الليل تمهيداً<sup>(١)</sup>

فإنه أتى بالمعنى مضر وبالله هذا المثال الذي أوضحه وزاده حسناً

الضرب الثاني عشر من الملح :

وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثله أن يدرك الشاعران طريقاً  
واحدة فتمخرج بهما إلى موردين أو روضتين ، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر .

فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية يولدين صنفين :

تجدد تأوَّب طارفاً حتى إذا قُلنا أقامَ الدهرَ أصبحَ راحلاً  
بَنمان شاه الله إلّا يَطلعا إلا ارتدادَ العُرفِ حتى يَأفلا  
إن التبيجة بالرياض توافيراً لأجلُ منها بالرياض ذَوابلاً  
لنهي على تلك الشواهد فيها لو أُخِرَتْ حتى تكونَ شَملاً  
إذ الملال إذا رأيتَ كُوءه أيقنتَ أن سيكونَ بَدراً كاملاً  
قلْ للأمر وإن لقيتَ مؤقراً مه بريء المادئاتِ حلاً حلاً  
إن تُرزَ في طرقي نهاراً واحداً رزَ أبينَ حاجاً قوّةً وبلا بلا  
فالتقلُّ ليس مضاعفاً لسطية إلا إذا ما كانَ وهماً بازلاً  
لا غرورَ إن فتنان من جهاده لقياً حاملاً لبرية آكلأ

(١) من قصيدته في مدح الشيخ بن خالان ( الديوان ١ / ٥٠ )

والديوان ( خلاص أسفار ) داج شبيب : مطبع شديد الظلام .

إن الأشاء إذا أصاب مُشَدِّبٌ مَهْ انتَهَلْ ذُرّاً وَأَتْ أَسَانِلا  
تَبَدَّخَتْ خِلَالَكْ إِنْ يُوَسِّيكْ امْرُؤٌ أَوْ أَنْ تَذَكَّرْ نَاسِيَا أَوْ غَانِلا  
إِلَّا مَوَاعِظُ قَادِمَا لَكَ سَمَحَةٌ إِسْتِجَاحُ لُبِّكَ سَامِعَا أَوْ قَانِلا  
مَلْ تَسْكَلَفُ الْإِيْدَى بَهْرٌ مُنْهِنْدٌ إِلَّا إِذَا كَانَ الْحُسَامُ الْقَاصِلَا (١)

وقال أبو الطيب في مربية بطل صنفه :

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ فَانِكَ فِي الْحَشَا

وإن تك طفلاً فالأُمى ليس بالفضل

وَيْتَلُكْ لَا يُسَكِّي عَلَى قَدْرِ سَيِّئِ

ولكن على قدر الفِرَاقَةِ والأُصْلِ

أَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْقَدِي مِنْ رِمَاجِهِمْ

كِدَامُهُمْ وَوَيْنَ قَدَامُهُمْ مُبَجَّةُ الْبُهْلِ ؟

بَوَلَوْدِهِمْ صَمْتُ السَّانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي أَعْطَانِهِ مَغْطِقُ الْفَضْلِ

أُسْلِبُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِيهِمْ وَشَقْلُهُمْ كَسْبُ الثَّاءِ عَنِ الشُّنْطِ

عَزَّاءُكَ سَيْفَ الدَّوَقِ الْمُتَقَدِّى وَفَإِنَّكَ تَصِلُ وَالشَّدَائِدُ الْفَضْلِ

تَحُونُ الْمَنَابِا مَهْمُهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْقُصُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

(١) ليست القصيدة بدحواله بفرح التبريزى ولا بطبعة محمد جمال

تأوب طاروا : رجع زالوا . شمال : طابع . موثر : رزين . حلال : رزين  
أو سيد شجاع . وم : جل ضخم قوى لؤلؤ . بازل : جل بلغ التاسعة من عمره فاكثل .  
فتنان : للراد ولذان . الأهاء : صفار النخل . أعمال : اعتدل وانصب . أت : التفت وكثر .  
إسجاع : سحابة . للهند : العيف . الحسام القاصل : السيف القاطع .

بقي ولدت عاد من بني حويل إلى بن أم لا تطرق بالتحل  
بدا وله وعد السحاب بالرقى وعد وفينا علة البلد المحل  
وقد تدث الخيل الطاق عيوها

إلى وقت تبديل الركب من النحل  
وديع له جيش العدو وما مشى

وجاشت له الحرب الضروس وما نفل<sup>(١)</sup>

فأمل أيها الناظم إلى ما صنع هذان الشاعران في هذا المنصد الواحد ،  
وكيف هام كل واحد منهما في واد منه ، مع اتفاقهما في بعض معانيه ؟

وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المقبول ،  
فأقول : أما الذي اتفقا فيه فإن أبا تمام قال :

لنفي على تلك الشوهد فيهما لو أخرت حتى تكون شمائل  
وأما أبو الطيب فإنه قال :

عوله دم صمت لسان كثيرة ولكن في أعطافه منطلق النفل

(١) من مركبه لأبي الهيثم عبد الله بن سفيان الدولة ( الديوان ٢٠٩/٤ ) والديوان  
( الخيلة والأصل ) و ( الأمل من رماحهم ) . القراسة : الخيلة . الأعطاف : هم صلف وهو  
الجانب . منطلق النفل : القول الصائب الحاسم . مصابيح : إصابته . الشغل : الاهتمام بما هذا  
كسب الشاء والمحامد . هزاهك : نمر هزاهك ، أو أزم هزاهك . به : الضمير يعود على الفراء .  
نفل : سيف . الرجل : جمع راجل وهو الماشي . تطرق بالحل : لا تخرج الولد من بيتها .  
الرقى : الرواء والرى . غلة : عطش . المحل : الجديب . الخيل الطاق : الكرام . الركب  
مما عوض فيه الرجل من السرج . ويم : أخيف . جاشت : غلت وهاجت . الضروس :  
الهدبة المني .

فأتى بالمعنى الذى أتى به أبو تمام ، وزاد عليه بالصناعة الانفطية وروى المطابقة  
فى قوله سمعت الحسان ومنطق القنصل .

وقال أبو تمام :

نبحان شاء الله ألا يطلما إلا ارتداد الطرفِ حتى يأنفلا

وقال أبو الطيب :

بدًا وله وعد السحابة بالزوى وصدّ وفينا غلة البلاد المحل

فوافقه فى المعنى وزاد عليه بقوله ( وصدّ وفينا غلة البلاد المحل ) لأنه بين  
قدر حاجتهم إلى وجوده وانتفاعهم بحياته .

وأما ما اختلفا فيه فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضاً ، وذلك  
أن معناه أمعن من معناه ، ومبتاه أحكم من مبتاه .

وربما أكبر هذا القول جماعة من المحققين الذين يقفون مع شبهة الزمان  
وقدمه ، لأمع فضيلة القول وتقدمه ، وأبو تمام وإن كان أشعر عندى من  
أبى الطيب فإن أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع .

وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى .

وأما الذى اختلفا فيه فإن أبا الطيب قال :

عزائك سيف الدولة المتقتدى به فإذك نعل شداؤد النصل

وهذا البيت بمفرده خير منبقى أبى تمام الذين هما :

أن تروى فى حظرى نهار واحد رزأين حاجبا لوعة وبلا بلا



فَالْتَقَلُّ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمُعَيَّةٍ . إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بِإِزَالَا  
فَإِنْ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ ( وَالشَّدَائِدُ لِلْفَصْلِ ) أَكْرَمَ لِقَطَا وَمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ  
أَبِي تَمَامٍ ( إِنْ التَّقَلُّ إِنَّمَا يَضَاعَفُ لِلْبَازِلِ مِنَ اللَّطَايَا ) .

وقوله أيضا :

تَحْنُونَ اللَّطَايَا عَهْدَهُ فِي سَلْبِهِ وَتَنْصَرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

وهذا أشرف من يبقى أبي تمام الذين هما :

لَا تَقْرَوْنَ إِنْ فَنَانٍ مِنْ عَهْدِهِ لَقِيَا رِجَالًا لِلْبَرِيَّةِ آ كَلَا  
إِنْ الْأَخْيَارُ إِذَا أَصَابَ مُشَدِّبٌ مِنْهُ انْتَهَلَ ذُرًّا وَأَثًّا أَسَافَلَا

وكذلك قال أبو الطيب :

أَلَسْتَ مِنْ الْقَوْمِ الْقِيَّ مِنْ رِجَالِهِمْ

نَدَامَ وَمِنْ قَوْلِهِمْ مُنْجَةُ الْبُخْلِ  
تَسْلِيهِمْ خَلِيقُهُمْ عَنْ مَعَايِهِمْ وَيَشْفَلُهُمْ كَنْبُ الْغَدَاةِ مِنَ الشُّغْلِ .

وهذان البيتان خير من يبقى أبي تمام الذين هما :

شَمَعَتْ خِيَلُكَ أَنْ يُوَسِّيكَ أَمْرُ

أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ نَاسِيًا أَوْ غَافِلَا

إِلَّا مَوَاطِئَ قَادَحًا فَكَ سَمَعَتْهُ اسْتَبَاحَ لُبُّكَ سَامِعَا أَوْ قَاتِلَا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتفقين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين

المتفكرين .

وقد ذهب قوم إلى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين ، واحتجوا على ذلك بأن قالوا : المفاضلة بين الكلامين لا تكون إلا باشتراكهما في المعنى ، فإن اختلفت التأليف في نظم الألفاظ لا يكون إلا باعتبار المعاني المدرجة تحتها . فإلم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى فإنه لا يُعَلَّمُ مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه وانساق ذلك اللفظ أو اضطرابه ، وإلا فكلُّ كلامٍ له تأليفٌ يخصه بحسب المعنى المُتدرِّج تحتَه ، وهذا مثل قولنا : السَّلسُ أحلٌّ من الخُلِّ ، فإنه ليس في الخلل حلالة حتى تقاس حلالة السلس عليها .

وهذا القول قاسد ، فإنه لو كان ما ذهب إليه هؤلاء من مناع المفاضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام وروديته وحسنه وقبحه ، وهذا محال .

ولمّا خفيَ حاجتهم ذلك لأنهم لم ينظروا إلى الأصل الذي تقع المفاضلة فيه ، سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ، ومن هنا وقع لهم الخطأ .

وسأبين ذلك فأقول : من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تصف ألقاظه ومعانيه بوصفين هما القصاحة والبلاغة ، فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين الذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما ، فمقوِّدًا في أحد الكلامين دون الآخر ، أو كانا أحسن به من الآخر ، حُكِمَ له بالفضل .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج في تفضيل الشعر أشياء تتضمن تحبيطا كثيرا ، وهو مروي عن علماء العربية ، لكن هذا رُفِّهم في ذلك ، فإن معرفة القصاحة والبلاغة شيء خلاف معرفة النحو والإعراب .

فما وقت عليه أنه مثل أبو مرو بن البلاد عن الأخطل قال : لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً<sup>(١)</sup> .

وهذا تفضيل بالأخص لا بالأشهر ، وفيه ما فيه ، ولولا أن أما مرو عدى بالمنكران التي بسطت لسانى فى هذا الموضع .

وسئل جرير عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل قال : أما الفرزدق ففى يده تبعاً من الشعر وهو قابض عليها ، وأما الأخطل فأشدنا اجترأ ، وأرمانا فترائى<sup>(٢)</sup> ، وأما أنا فمدينة الشعر .

وهذا القول فى التفضيل قول إقناى<sup>(٣)</sup> لا يحصل منه على تحقيق ، لكنه أقرب حالا بما روى من أبى مرو بن البلاد .

وسئل الأخطل من أشعر الناس قال : الذى إذا مدح ربح ، وإذا هجا وضع ، فقل فمن ذاك ؟ قال : الأعشى . قيل : ثم من ؟ قال طرفة .

وهذا قول فيه بعض التحقيق ، إذ ليس كل من ربح بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس ، لأن المائى الشربة كثرة والمدح والمجاء منها .

وسئل الشريف الرضى عن أبى تمام وعن البحتري وعن أبى الطيب ، فقال : أما أبو تمام فخطيب منير ، وأما البحتري فواصف جؤذر<sup>(٤)</sup> ، وأما المتنبي فقاتل عسكر

(١) الأماى ١٦٦/٧ وفيه تفضيل له على سامريه

(٢) القرائى : جزم فرصة ومنى القصة بين الجنب والسكف ، والمراد للقاتل . وكانت

بالأسل ( القرائى ) ولها القرائى كما رجحنا ، أو القريض بمعنى الشعر

(٣) يريد أنه كلام خطاينى لأدليل عليه .

(٤) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والمراد أنه صاحب غزله

وهذا كلام حسن واقع في موقعه ، فإنه ، وصف كلا منهم بما فيه من غير تفصيل .

وبروى عن بشار أنه وصف نفسه بحودة الشعر والتقدم على غيره قليل له :  
ولم ذاك ؟ قال : لأني نظمت ألفي عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد ، فيسكون لي حيث أثنى عشر ألف بيت .

وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لاه ، لأن باقلا الذي يُضربُ به المثل في البيئ لو نظم قصيدا لما خلا من بيت واحد جيد ، ومن الذي ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد ؟

لكن كان الأولى يشار أن قال : لي اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن إلا وجيدها أكثر من رديتها ، وليس في واحدة منهن ما يُسقط ، فإنه لو قال ذلك وكان يحق الاستحقاق على الشعراء ، ومع هذا قد وصل إلى ما في أيدي الناس من شره مُعَصِّدا ومُعْظَما ، فما وجدته بتلك الناية التي ادعاه ، لكن وجدت جيده قليلا مقسبة إلى رديئة ، وتندر<sup>(١)</sup> له الأبيات اليسيرة .

وبلغنى من الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما أنهم قالوا : هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة ، وم عندي مذكورون ، لأنهم ما وقفوا على معاني أبي تمام ، ولا على معاني أبي الطيب ، ولا وقفوا على ديباجة أبي عبادة البحرى

وهذا الموضع لا يُستَقْفَى فيه علماء العربية وإنما يُستَقْفَى فيه كاتبٌ بليغ أو شاعر مُؤَلِّق ، فإن أهل كل علم أعلم به . وكذا لا يُسأل التقيُّه عن مسألة حسابية فكذلك لا يُسأل الحاسب عن مسألة فقهية ، وكذا لا يسأل أيضا النحوي عن مسألة طيبة ،

(١) تندر : هنا بمعنى تظهر وتفتخر من الدور لا من التندرة

فكان ذلك لا يسأل الطبيب عن مسألة نحوية . ولا يعلم كل علم إلا صاحبه .  
قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره .

على أن علم البيان من القصة والبالغة محبوب إلى الناس فاطمة ، وما من  
أحد إلا ويجب أن يسلم فيه ، حتى إلى رأيت أجبلاف العامة عن لم يخط بيده ،  
ورأيت أختام<sup>(١)</sup> الأجلس من لا يطق بالكلمة صحيحة ، كلهم يتنوض في فن  
الكتابة والشعر ، ويأتون فيه بكل مضحكة ، وهم يظنون أنهم عالمون به ،  
ولا لوم عليهم ، فإنه يلتقي عن ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup> . - وكان من مشاهير العلماء -  
أنه عرض عليه أرجوزة أبي تمام اللامية التي مطلعها :

(وما ذلّ حدث في هذه)

وقيل له هذه قليلان من شعراء العرب ، فاستحسنها غاية الاستحسان ، وقال  
هذا هو الديباج المشرّواني<sup>(٣)</sup> ، ثم استكتبها ، فلما أنهاها قيل له .  
هذه لأبي تمام ، فقال :

من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة . ثم أتى الورقة من يده ، وقال :  
يا غلام غرق غرق<sup>(٤)</sup> .

(١) الأشم : من لا يصح شيئاً ، به فتم على وزن قل .  
(٢) أبو عبد الله محمد بن زياد كان من أكابر أئمة الشيعة بالكوفة ، وكان رديفاً للفضل  
الذي وسم عنه الدواوين وصحبها ، وكان من أحفظ الناس لغة والأدب ، توفي سنة ٢٢١ هـ  
(الطبرست ٦٩ ووفيات الأعيان ١/ ٤٩٧)  
(٣) الديباج المشرّواني . المبرر الفارسي الفاجر  
(٤) في الصناعتين ٤٥ أن ابن الأعرابي كان يأمر بكتابة جميع ما يجري في مجلسه .  
فأعده وجيل يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب ، على أنها لبنت الغروب .  
مساوية لم تكن بل بعض كدواء ثلاث مطالان بعض  
(م - ١٨ - للثلث الثاني) .

فإذا كان ابن الأعرابي مع علمه وفننه لا يتدري أى طرفيه أطولُ في هذا  
النن ، ولا يعلم أين يضع يده فيه ، ويبلغ به الجبل إلى أن يقف مع العقليد  
الشنيع الذي هذا غايته ، فما الذي يقول غيره ؟ وما الذي يحكم فيه سواء ؟

وللذهب عتدى في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر  
العرب أولا وآخر ، ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ،  
علم ما أشرت إليه .

ولا ينبغي أن يوقف مع شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ، فإن  
كلام أولئك أجاد في معنى اختص به ، حتى قيل في وصفهم : امرؤ القيس  
إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا شرب .

وأما الفرزدق وجرير والأخطل فلهم أجادوا في كل ما اتوا به من المعاني  
المختلفة ، وأشعر منهم عتدى الثلاثة المخاضون ، وهم أبو تمام وأبو عبادة البحرى  
وأبو الطيب اللثمي<sup>(١)</sup> ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء .

أما أبو تمام وأبو الطيب فرَّبَا المعاني ، وأما أبو عبادة فَرَبَّ الألفاظ  
في ديباجتها وسبكها . وبلغني أن أبا عبادة البحرى سأل ولده أبا النورث عن  
الفرزدق وجرير أيهما أشعر ، فقال : جرير أشعر . قال : وبم ذلك ؟

.....

فقال ابن الأعرابي . اكتبوها . فلما كتبوها قيل له : إنها لطيب بن أوس ، فله :  
خرق خرق ، لاجرم أن امر السنة فيها بين .

(١) لقد قال منذ بضعة أسطر إن الفرزدق وجريرا والأخطل هم أشعر العرب أولا  
وآخر . وما هوذا يقول إن أبا تمام والبحري واللثمي أشعر منهم ، فكيف ذلك .

قال : لأن حوته شبه بقرتك<sup>(١)</sup> . قال فكذلك أمك ، أولى الحكم  
 حصية ؟ قال يا أبا ت من أشعر ؟ قال : الفرزدق . قال : وبم ذاك ؟ قال :  
 لأن أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي : التين ، والزنا ، وضرب  
 الرومي بالسيف ، والذئبي من للسجد ، ولا يهبو . الفرزدق يسوى ذلك .  
 وأما الفرزدق فإنه يهبو جريرا بأنحاء مختلفة ، ففي كل قصيد يرميه بسهام فهو  
 السهام التي يرميه بها في القصيد الآخر<sup>(٢)</sup> . وأنا استكتب راوى هذه الحكاية ،  
 ولا أصدق ، فإن البختري على أنب من ذلك ، وهو طرف بأسرار الكلام ،  
 خبير بأوساطه وأطرانه وجيده ورديه ، وكيف يدعى على جرير أنه لم يهب  
 الفرزدق إلا بذلك للماني الأوبة التي ذكرها ، وهو القائل :

لما وضعت على الفرزدق يميني      وعلى البختري جدت ألف الأخطال<sup>(٣)</sup>

فجميع بين هجاء هؤلاء الثلاثة في بيت واحد .

وقد تأملت كتاب الفناض فوجدت جريرا رب تزل ومدح وهجاء  
 والفتار ، وقد كما كل معنى من هذه الماني ألقاظا لاقعة به . ويكتفه من  
 ذلك قوله :

وعاد موى من غير شيء رميتك      بقارعة ألقاها تظفر الدنيا  
 وإن لقوال لكل غريبة      قدود إذا الساري بلبل تزنا  
 ترويح بأفواه الرواة كأنها      شبا هندوان إذا حز صما

(١) يريد أسلوبه وتعبيره .

(٢) في السماعين ٢٤ ذكر لهذا التفضيل موجز

(٣) الديوان ٤١٣ .

غرائب آلاف إذا حان ورثها أَخَذَن طريقاً قصائِد مُلَمَّا<sup>(٢١)</sup>

ولولم يكن لجرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء ، وسأذكر من  
هجائه للفردق ما ليس فيه شيء من تلك المعاني الأربعة التي أشار إليها البحتري .  
إليها ، فمن ذلك قوله :

وقد زعموا أن الفردقَ حَيَّةٌ وما قَتَلَ الهياتِ من أحدٍ قبلي  
ألم تَرَاني لا تُبِلُ رِيْقِي فَمَنْ أَرِمَ لا تُحْيِيهِ مَقَاتِلُهُ نَبِلُ  
رَأَيْتُكَ لا تُحْيِي حَقّاً وَلَمْ تُرِدْ خَالِفاً لِمَاتِ قَرَرْتُ مِنَ الْقَتْلِ<sup>(٢٢)</sup>

وقوله :

أَبْلَغَ هَدِيْقِي الْفَرْدَقَ إِسْمَا عَيْبٌ يُزَادُ عَلَى حَسِيْبٍ يُقْتَلُ  
إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ

حق اختطفتك بالفردق من حل<sup>(٢٣)</sup>

(١) كان الأصل ( بقاية أماننا ينظر السما ) و ( جروح بالهواء الرواة ) و ( هز  
صصا ) . والديوان ( فرأى . هندواني ) الديوان ٤٤٤ هـ أماننا : أقطارها . ورود :  
كثيرة ورود يريد أن قصائده سريعة الدخول . خروج بالهواء الرواة : دائمة حل المستقيم  
لا يستطيعون كتبها . سبا هندواني : حد سيف . صم : قطع وأصاب المفضل . معلوم :  
معلوم معروف

(٢) من هجائه لبيث والفردق ( الديوان ٤٦٤ ) وترتيب الأبيات في الديوان أن  
الثالث هو الثاني ، وبين الأول والثاني ثلاثة أبيات ، وبين الثاني والثالث ستة أبيات . وبالأجل  
( لا أبلى رمي ) فأصلحتهما من الديوان .

لأبلى رمي : لا ينجو من رمي من أرميه ولا يهف . الضال : الغافل والتمرد للمرأة  
( المحبين هجائه للفردق ( الديوان ٤٤٤ ، ٤٤٨ ) والبيت الثاني هنا قبل الأول في  
الديوان . ولي الديوان ( عيب يزاد ) حسيب : كليل عيب



وقوله :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيْفَهُ قَتَلَ مِرْبَعًا      أَتَيْتُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَانِزِعُ  
وَرَأَيْتُ قَتَلَكَ بِالْفَرَزْدَقِ قَصَّرْتَ      وَرَأَيْتُ قَوْسَكَ لَيْسَ فِيهَا مَنَزَعُ  
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ كَبِهْتَ لَوْمَةً  
حَيْثُ انْقَضَتْ حَشَاؤُهُ وَالْأَخَذَعُ (١)

وقوله :

أَحَارِثُ خُذْ مَنْ شَأْنَتْ مِنَّا وَمِنْهُمْ      وَدَعَا قَيْسَ تَجِدَا تَمُدُّ قَوَائِلُهُ  
لَيْسَتْ سِلَاحِي وَالْفَرَزْدَقُ لَمْ يَكُنْ      عَلَيْهِ وَشَاخَا كَرَجٍ وَجَلَّاحُهُ  
فَلَسْتُ بِذِي عِزٍّ وَلَا ذِي أَرْوَمَةٍ      وَمَا نَسَطُ مِنْ ضَمِيمٍ فَإِنَّكَ قَائِلُهُ (٢)

وقوله :

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنْ يُجَالِحَا      لَوْ يُنْفَخُونَ مِنْ انْخِلُورَةٍ طَارُوا

(١) من مجالته للفردق (الديوان ٣٤٨ ، ٣٥١) والبيت الثاني هنا موضعه بالديوان بعد أبيات من الثاني . مريم : لقب لراوية جرير ، وكان الفردق قد حلب ليعقلته . الحفشاء : العظم الثاني خلف الأذن . الأخذع : مرقى في صفحة النخ . والديوان ( ووجدت قوسك ) منزع : مد .

(٢) من مجالته للفردق (الديوان ٤٨٥) بالأصل (فضائله) والأيات بالديوان حكماً ، ثم جاعده ما بينها :

لست أداني والفردق لم يَكُنْ      عليه وشاخا كرج وحلاحه  
أحارث خذ . . . . .

ولست بذى درء ولاذى أرومة      ومناط من ضميم فإنك قائله  
كرج : السكرج المهر والسكرجي الخنث . الجلالج : جمع جليل وهو الجرس الصغير .

قَدْ يُؤْسِرُونَ فَلَا يُنْكُ أَسِيرُهُمْ وَيُقَتِّلُونَ قَتَلْنَا الْأَوَّلَ (١)  
وقوله :

بَنِي مَالِكٍ إِنْ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يَزَلْ  
يُقَلِّسُ الْخَازِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَبَيَّنَا  
تَدَقَّتْ لَهُ النَّبَايَاتُ حَقَّ رَكْعَتِهِ  
قَسَدَ الْتَوَافُرِ ذَا حُلُوبٍ مُوَقَّعَا (٢)  
وقوله :

أَلَا إِنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ كَمَثَلِي  
شَفَا وَهَوَى فِي أَشْدَاقٍ كَثِيرٍ شُهَارِي (٣)  
وقوله :

مَهْلًا فَرَزْدَقُ إِنْ قَوْمُكَ فِيهِمْ  
لَفُظَّاعُونَ عَلَى الصَّيِّ بِجَمِيعِهِمْ  
خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِفَةُ الْأَلَامِ  
وَالنَّازِلُونَ بَشَرًا دَارَ مُقَامٍ (٤)

(١) من ولاءه لزوجته (الديوان ٧٠٧) كان بالأصل (فسلم الآثار) وبالديوان (فا يهلك)

(٢) من محبته للفَرَزْدَقِ (الديوان ٣٣٤) كان بالأصل (أَنْ يَبَيَّنَا) والبيان بالديوان هكذا :

بَنِي مَالِكٍ إِنْ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يَزَلْ  
مَدَدَتْ لَهُ النَّبَايَاتُ حَقَّ نَفْسَتِهِ  
فَلَوِ الْخَازِي : وَصِيحًا . ذُو حُلُوبٍ : لِرَادِ جِرَاحٍ . مَوْعٍ : مَرَى مِنْ قَرَبٍ أَوْ مَكْوَمٍ .  
الْقَابِ : الْبَيْزُ . مَقْلَعٌ : لَلْأَدْرَةِ لَهُ عَلَى الصَّرَافِ

(٣) (الديوان ٥٥٨) الضياع : الأسد القوي الشديد . شفا : صاح  
(٤) هذان البيتان كما في النفاثي مما مجابه جرير هناك بـ دخل السليبي ، ورواية  
ألفاس لبيت الأول : ( أَيْ أَدْرَةِ إِنْ فِيكُمْ فَاعْلَمُوا ) ولكنهما في الديوان من مجابه جرير ،  
لفَرَزْدَقِ (الديوان ٥٥٧) .

وقوله :

إذا سَفَرْتُ يوماً نساءَ مُجاشِعٍ      بَدَلْتُ سَوَادَ عَيْنَيْنِ الْهَرَامِ  
مَبَاشِعُهُمْ مِنْ غَيْبِ الْخَزِيرِ كَأَنَّمَا      تُصَوِّتُ فِي أَصْفَاجِنِ الصَّفَادِ  
رَأْتُ مَالِكُ كَبَلِ الْفَرَزْدَقِ قَسَمْتُ

عَنِ الْمُسْلِمِ لَا يَأْتِي مِنَ الْمَلِكِ بَارِعٍ  
أَكْمَلُكَ أَحْسَاباً كَرَاماً حَمَاهُ      بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٍ  
إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ شَرِّ قَبِيلَةٍ      وَأَعْظَمُ عَاراً قِيلَ : تِلْكَ مُجَاشِعٌ<sup>(١)</sup>

وقوله :

حَقِيقَ الْأَخْطِلُ فِي جِهَالِي بَعْدَمَا      هَوَّزَ الْفَرَزْدَقُ ، لَا كَمَا لَعَانِي  
لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ مَالِيَتَ وَقَبَلَهُ      طَلَحَ الْبَيْتُ بَعْدَ غَرَضِي وَافِرٍ  
وَإِذَا رَجَعْتَا إِنِّي بَنَفُضُوا لِي بِرَّةٍ  
مَوَسَّتْ قَوَاهِي عَلَيْهِمْ وَتَرَاوَى<sup>(٢)</sup>

ولجزير واضح كثرة في هجاء الفرزدق غير هذه ، ولولا خوف الإطالة

(١) من هجائه الفرزدق والبيث ( الديوان ٢٦٧ ) وترتيبها هنا يخالف ترتيبها في الديوان . والبيت الأول بالديوان هكذا :

رَأْتُ مَالِكُ بَلِ الْفَرَزْدَقِ قَسَمْتُ      عَنْ الْمَجْدِ إِذَا يَأْتِي النَّوْازِعُ  
وَكَانَ بِالْأَسْلِ ( رَأْتُ مَلَا مَثَل ) وَ ( غَيْبِ الْفَرَزْدَقِ )

بَلِ الْفَرَزْدَقِ : شِعْرُهُ . لَا يَأْتِي : لَا يَنْصُرُ . النَّوْازِعُ : رَفَعَ الْيَدَيْنِ بِالسُّبْحِ إِلَى أَعْيُنِ نَائِبَةٍ مَبَاشِعٍ : مَعْشَرَاتٍ . الْخَزِيرِ : حَسَاءٍ مِنْ دَسَمٍ . الْأَصْفَاجِ : الْأَمْوَالِ . جَاهِمٌ : قَوْمُ الْفَرَزْدَقِ

(٢) من هجائه الاخطل ( الديوان ٣٠٧ )

كَانَ بِالْأَسْلِ ( التَّهْنِيسِ ) بَدَلًا مِنَ الْبَيْتِ . وَرَوَايَةُ الْدِيَّانِ ( لَقِيَ الْأَخْطِلُ مَا لَيْتَ ) وَ ( أَنْ يَنْفُضُوا مِنِّي قَوِي ) لِأَنَّ لَهُ : لَا انْقِصَافَ لَهُ مِنْ سَطْعَتِهِ .

لاستقصيتها جميعا .

ولو سلمت إلى الهمجى ما زعم من أن جريرا ليس له في هجاء الفرزدق إلا تلك اللتان الأربعة لا عرضت عليه بأنه قد أفرج جريحه بالنضلة .

وذلك أن للشاعر الملقى أو الكاتب البليغ هو الذى إذا أخذ معنى واحدا تصرف فيه بوجوه التصرفات ، وأخرجه فى ضروب الأساليب ، وكذلك فعل جرير ، فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالتشديد كل غريبة ، وتصرف فيه تصرفا يختلف الأنحاء ، فمن ذلك قوله :

أَلَيْسَ أَهَكَ مِنْ الْكَادِمِ وَلَقَدْ

كَلِمَةُ الْكَتَائِفِ وَارْتَفَعُ الْيَرْمِيلُ<sup>(١)</sup>

وقوله :

وَجِدَ الْكَثِيفُ ذُخْرَهُ فِي قَبْرِهِ      وَالْكَثْلَانِ جُمِعْنَ وَالْمُتَشَارُ  
يَبْكِي صَدَاءُ إِذَا تَصَدَّعَ يَرْمِيلُ      أَوْ إِنَّ تَفَلَّقَ بُرْدُهُ أَعْيَارُ  
فَالْفَرَزْدَقُ رَفَعِي أَكْبَارًا

قالت : وكيف رَفَعُ الأَكْبَارِ<sup>(٢)</sup> ؟

وقوله :

إِذَا أَبَاؤُنَا وَأَبُوكَ عُدُّوا      أَبَانَ الْمُتَرَفَاتُ مِنَ الْعِرَابِ

(١) من هجاء الفرزدق ( الديوان ٤٤٧ ) ارتفاع الرجل : إسلحه ، لى الكتائف : إسلح الشباب لأن الكتيفة الضبة ، أو الكتيفة سلبا الحداد يميزه في الحالين بالحدادة  
(٢) من قصيدته في رثاء زوجته ( الديوان ٧٠٧ ) بالأسل ( الكتيف . والمغار ) والديوان ( تلم برمة ) الكتيف : الضبة وكتبتا الحداد . للمغار : هو للمغار . تعلق برمة  
أعشار : تتكسر قدر أجزاء صغيرة . الأكيار : جمع كبير .

غَاوَرَتْكَ التَّلَاةُ وَأَوْرَثُونِي رِبَاطَ التَّلِيلِ أَغْنِيَهُ الْقَهَابُ  
وَسَيِّفُ أَبِي الْقَرْزُقِ فَاعْلَمُوهُ قَدْ دَوَّمَ غَيْرُ ثَابِتَةِ الْقَصَبِ<sup>(١)</sup>

فانظر أيها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها  
جرير وأدأرها على عباد القَرْزُقِ بالقياس ، فقال أولا : إن أباه شغل عن الكارم  
بصناعة القهون ، ثم قال ثانيا : إنه يئس عليه ويهدده بمد لوت اليرنجل والبرومة  
الأحشار التي يصلحها ، ثم قال ثالثا : إن أباه أوردك آلة القهون ، وأوردني  
أبي رباط التلِيل .

وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها ، ولا حاجة  
إلى التطويل بذلك ها هنا ، وهذا القدر فيه كفاية .

وحيث انتهى بنا القول إلى ها هنا فلنرجع إلى النوع الذي نحن بصدد ذكره ،  
وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، فما جاء منه قول النابغة :

إِذَا مَا غَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ عَصَابُ طَيْرٍ يَهْتَدِي بِمَصَائِبِ  
جَوَانِحُ قَدْ أُيِّنَتْ أَنْ قَبِيحَهُ  
إِذَا مَا التَّقَى الْجُلُانُ أَوَّلُ خَالِ<sup>(٢)</sup>

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا ، وأوردوه بضرور  
المبارات .

(١) الديوان ٧٧ و ٧٩ — كان بالأصل (جدوا بأن للفرقات من التراب) ول  
الديوان (الفرزوق قد علم) ، للفرقات : اللفرق وللفرقة من القرس وفيه ما يبدأ المجنة  
أي أمه مربية لأبوه . أبان : استبان . الراب : الفالسة المروية . السلة : السندان .  
الرباط : الخيل أو الخيول منها أو للسكان المد للرابطة

(٢) (الديوان ٤٣) من نسخة لمعرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأهرج . بن  
الحارث الأكبر بن أبي شمر الهذلي حين حرب إلى الشام وتزل عنده . جوائح : مائلات  
لوقوف والاتساع .

قال أبو نواس

تَفَتَّنِي الطَّيْرُ نَزْوَتَهُ      يَفْتَنُ بِأَحْسَنِ مِنْ جُزْئِهِ (١)

وقال مسلم بن الوليد :

قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتِهِ وَتَحَنَّنَهَا      فَمَنْ يَتَّبِعْتَهُ فِي كُلِّ رُفْتٍ يَحْتَلِلُ (٢)

وقال أبو تمام :

وَقَدْ ظَلَمْتُ أَهْلِيَّ أَهْلِيَّ أَهْلِيَّ ضَحَى      بِسَهْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ تَوَاهِلُ  
أَقَامَتْ مَعَ الرِّبَايَاتِ حَتَّى كَانَهَا      مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَهَا لَمْ تُقَاتِلِ (٣)

وقد ذكر هذا المعنى غير هؤلاء ، إلا أنهم جاء وبشء واحد لا تتفاضل بينهم فيه ، إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في اللفظ . ولم أر أحدا أقرب في هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَفْرَبَتْ أَرْوَاحَ الْعِيَا وَكُلَّوَتْهَا      حَتَّى نَفَسَتْهَا إِلَيْكَ تَطَايُرُ

(١) من قصيدته في مدح العباس بن هبيرة (الديوان ٤٣١) وزهر الآداب ١٣٤/٤ ورواية الديوان (تأين الطير خدوته) ومضى تتأين قصد . الجزر : جميع جزور وهو البحر أو الناقة المجزورة ، وللإيراد على الحرب .

(٢) من قصيدته في مدح يزيد بن يزيد العبثاني (الديوان ١٧) .

(٣) من قصيدته في مدح الحارث والأفندي (الديوان ٨٢) وفي الديوان (عقبان أهلب) شبه الأعلام بالدميان ، وجعل عقبان الطير آفة لها لا اعتادت من أكل لحوم الأعداء . وفي أخبار أبي تمام لقصود حديث من هذا المعنى قال فيه الذي سبق إليه مسلم وأبو نواس ، وسبهم جميعا إليه النابتة ، ثم قال لأن معنى النابتة من قول الأئمة الأودى القاصر الجاهل :

فَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِهَا      رَأَى مِنْ هَذِهِ أَنَّ سِتَارَ

أخبار أبي تمام ١٦٤ ) ومثل هذا بالساحيتين ٢٢٥

لَوْ سَأَلْتُكَ فَمَا لَكَ بِذَلِكَ بِذَلِكَ  
تَسِيدَتْ عَلَيْكَ شَالِبٌ وَنُورٌ<sup>(١)</sup>

فهذا من المايح البديع الذي فَعَلَ به مسلمٌ غيره في هذا المعنى .

وكذلك فعل أبو الطيب اللغزي ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق  
التي سلكها من تقدمه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه ،  
فأغرب ، وأبدع ، وجاز الإحسان بجملة ، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى  
دون غيره .

فما جاء منه قوله :

تَفْدَى أُمِّهِ الطَّيْرُ حُرّاً سِلَاحَهُ نُورُ التَّلَا أَخْدَانُهَا وَالْقَتَامُ  
وَمَا ضَرَّهَا حَتَّى يَهْيَرَ مَخَالِبُ وَقَدْ خُلِيتْ أَسْنَانُهُ وَالتَّوَائِمُ<sup>(٢)</sup>

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَكَّابٌ مِنَ الْيَقْبَانِ تَرْجُفُ تَحْتَهَا

سَكَّابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَعْفَهَا صَوَارِغُهُ<sup>(٣)</sup>

وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب .

(١) من قصيدته في مدح منصور بن يزيد ( الديوان ٧٢٠ ) بالديوان (ملاحم لسور) .  
ذخريا : فأرما

(٢) من مدحه لسيف الدولة بقصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل الزم تأتى الزائم وتأتى على قدر الكرام المسكوا

( الديوان ١٧٤/٤ ) أحداثها والقها : سفلرها وكبارها . القوام : مقابض السيوف .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٥٥/٤) ورواية الديوان (يزحف تحتها)

وقال في موضع آخر :

ودى كَسْبٍ لاذِرُ البَخلِ أمانُهُ      بَنَاجٍ ولا الفَوْحُشُ أَلْمَارُ بِسَالِمٍ  
يَبْرُكُ عليه الشَّمْسُ وهي ضَعِيفَةٌ      تُطَالِمُهُ من بَيْنِ ريشِ الشَّامِ  
إِذَا حَوَّزَهَا لَأَقَى من الطَّيْرِ قُرْبَةً      قَدَّوْ رَفُوقَ البَيْضِ يَنْقُلُ الدَّوَامُ<sup>(١)</sup>

وهذا من إيجاز أبي الطيب المشهور ، ولولم يكن له من الإحسان في شعره  
إلا هذه الأبيات لاستحق بها فضيلة التقدم .  
وعما ينظم بهذا النوع ما نورد عليه أبو عبادة البهتري وأبو الطيب الخففي في  
وصف الأسد ، وقصيدتهما مشهورتان ، فأول إحداها :

(أَجِدْكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرَى لُزِينَهَا)  
وأول الأخرى ( في اللَّدِّ إِنْ عَزَمَ الظَّهِيطُ رَحِيلًا ) .

أما البهتري فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة في أبياته الزائفة  
الحق أولها :  
أَلَا لَمْ لَوْ شَهِدْتُ بَهْنَنَ خَبْتِ      وَقَدْ لَأَقَى الْهَزَبُ أَخَاكَ بِشْرًا<sup>(٢)</sup>

وهذه الأبيات من الخط العالي الذي لم يأت أحد بمثله ، وكل الشعراء لم  
تَسْمُ قرائعهم إلى استخراج مَثَقٍ ليس بذكر فيها ، ولولا خَوْفُ الإطالة  
لأوردتها بجملة ، لكنَّ القرض إنما هو المفاضلة بين البهتري وأبي الطيب

(١) من قصيدته في مدح الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج (الديوان ٤/ ٣٠٠) .  
ذو لب : ذو جلبة ، وصف الجيش . الشَّام : المشرق . البَيْض : جمر بيضاء وهي الخوخة .  
(٢) من مقامات بديع الزمان الهمداني : وأهلب الظن أن بشرا هذا شخص اخترعه  
البديع وأجرى على لسانه الأبيات .



فيما أورداه من المعاني في هذا القصد للشار إليه .

فما جاء البحرى من قصيدته :

وَمَا تَقْنِمُ الْمَسَادُ إِلَّا أَصَابَهُ      لَهْبِكَ وَعَزْمًا أَرْجَحِيًّا مُنْهَبًا .  
وَقَدْ جَرَّ نَوَا بِالْمَسِ مِنْكَ عَزِيمَةً      فَضَلَّتْ بِهَا السَّيْفَ الْحَسَامَ الْمَجْرَبَا  
خَدَاةً رَقِيعَتِ الْآهَتِ وَاللَّيْثُ تُخْذِرُ      يُحْدِثُ دَنَابَا لِقَاءَهُ وَمُخَلَّبَا  
إِذَا شَاءَ فَغَادَى حَالَةً أَوْ خَدَا عَلَى      حَسَائِلِ يَرْجُبُ أَوْ تَقْفَعُ دَرْبَهَا  
شَوْدَتُ لَقَدْ أَضْعَفَتْ حِينَ تَنْتَبِرُ      لَهُ مُصْلِقًا عَضْبًا مِنَ الْبَيْضِ بِفَضْبَا  
لَمْ أَرْخِرْ عَامَيْنِ أَصْدَقَ مَسْكَا      يَرَاكَ إِذَا التَّهَابَةُ الْفُكْسُ كَذْبَا  
هَزَبَرَا مَتَى يَنْهَى هَزَبَرَا وَأَغْلَبَا      مِنَ الْقَوْمِ يَنْشَى بِاسِيلِ الْوَجْدِ أَغْلَبَا  
أَكْلٌ بِشَمْسٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ      رَاكَ لَهَا أَمْفَى جَنَافَا وَأَشْتَبَا  
فَأَجْتَمَعَ لَنَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا      وَأَقْدَمَ لَنَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَكَ مَهْرَبَا  
لَمْ يُنْهَ أَنْ كَرَّ نَعْوِكَ مُقْبِلًا      وَلَمْ يُنْجِهْ أَنْ حَادَ عِنْدَكَ مَسْكَبَا  
تَحَلَّتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ انْتَقَى      وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حُدَّ كَبَا (١)

وما جاء لأبي الطيب المتنبي في قصيدته :

أَمْتَرُ الْآيَةِ الْهَزَبَرِ بِسَوَاطِئِهِ      لَمِنْ أَدْرَجَتْ الصَّارِمَ الْمَقْغُولَا ؟  
وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبُكْدَةُ شُلُوبَا      وَرَدَ الْقِرَاتِ زُهْرُهُ وَالنَّيْلَا

(١) من قصيدته في مدح عبد الله بن دينار ووصل مبارزته للأسد (الديوان ٥٥)  
بالديوان (وماتهم المساد) و (يوم تنبرى) . أروى : الأروى الواسع الطلق . مخدر : ملازم للأجرة .  
غادى حانة : أكر قطيعا من حمر الوحش . عقال سرب : ظياء للقبيلة . تنصير برها : الغرس  
قطيعا من بحر الوحش . مقضب : قاطع . شرفعين : أسدين : النكس : الجبان . هزبر :  
أسد . أغلب : ضخم المنق والأسد يهزم بذلك . أدل : بهيب : البسط بالمهاج . أبهى :  
جنانا : أقوى قلبا .

مَنْحَسَبٌ بِدَمِ الْقَوَاصِ لَا بَسَ      فِي يَحْيَى مِنْ إِبْدَتِهِ يَحْيَا  
جَا قُوبَكَ عَيْنَاهُ الْأَعْلَى      تَحْتَ الدَّجَى نَارَ الدَّرِيكِ خُلُوعًا  
فِي رَحْمَةِ الرَّحْمَانِ إِلَّا أَنَّهُ      لَا يَنْفِرُ التَّحْرِيمِ وَالْتِحْلِيلِ  
بَطْنُ الْقَرَى مُتَرَفِّعًا مِنْ يَوْمِهِ      فَكَأَنَّهُ آمَسُ يَجْسُ عَيْلَا  
وَبُرْدُ قُفْرَتِهِ إِلَى يَأْمُوحِيهِ      حَتَّى تَصْبِرَ رَأْسُهُ لِكَيْلِيلَا  
تَصْرَتِ عَاقِلَةُ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا      رَكِبَ الْكَيْفُ جَوَادَةً مَشْكُولَا  
أَلْفَى فَرِيضَتَهُ وَزَجَرَ دُونَهَا      وَقَرُبَتْ قُرْبًا خَالَهُ تَحْلِيلَا  
تَشَابَهَ التُّرْبَانِ فِي إِدْمَامِهِ      وَفَعَلْنَا فِي هَذَاكَ لَأَا كُولَا  
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ لِيَكُنْ هِمَا      مَتَدًّا أَرْلَهُ وَسَاعِدَا مَفْعُولَا  
مَا زَالَ يَبْتَغِ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ      حَتَّى حَبِثَتِ التَّرَاضُ مَعَ الطُّوَلَا  
وَكَاثَا كَرْمُهُ عَيْنٌ نَادَتْ      لَا يُبِيرُ الطَّلَبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا  
أَهْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّرِيكِ تَارَكَ      فِي عَيْنِهِ الْقَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا  
وَالسَّارُ مَضَانُ وَلَيْسَ بِمُتَانِدٍ      مِنْ حَفِيهِ مَنْ خَافَ عَمَّا قِيلَا  
خَذَلَهُ قَوْمُهُ وَقَدْ كَانَتْ حَقَّةُ      فَاسْتَصْرَ التَّلَسُّمَ وَالْتَجِدِيلَا  
يَسِيعُ ابْنُ حُمَيْهِ وَوَجَاهِهِ      كَتَمَ بُهْرُولُ أَمْسٍ مِنْكَ سَهْلَا  
وَأَمْرُهُ عَمَّا قَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ      وَكَفَقِيلُهُ إِلَّا يَبُوتَ قَعْلَا  
كَتَفُ الْقِيِ اتَّخَذَ الْجَرَامَةُ خَلَّةُ      وَطَاقَ الْقِيِ اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلَا<sup>(١)</sup>

(١) من قصيدته في مدح بدر بن عمار لما خرج إلى أسد فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج إليه إلى أسد آخر فهاجبه من جهة القوسا بعد أن هجم وعلل ، فوَبَّ إلى كفل قوسه ، فأهمله من سلسلته ، فصره بالسوط فرده إلى القرب ، فأطاعه الجيش فقله (الديوان ١٣٤/٣) بالديوان (وبرر دونها) و (تلقاه الضلالتان)

وسأحكم بين هاتين القصيدتين ، والذي يشهد به الحق وتقصيه القصيدة .  
أذكره ، وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عدداً ، وأسد مقصداً ، ألا ترى  
أن البحري قد قصرَ مجموع قصيدته على وصف شجاعة اللدوح في تشبيهه  
بالأسد مرة وتقصيه عليه أخرى ، ولم يأت بشيء سوى ذلك ، وأما أبو الطيب فإنه  
أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أَسَدُّ الْإِثِّ الْمَزْبُورُ بِشَوْبِهِ لِمَنِ ادَّخَرَتْ الصَّارِمُ لِلصَّقُولِ ؟

ثم إنه تَنَلَّنَ في ذكر الأسد ، فوصف صورته وحيثه ، ووصف أحواله  
في انفراد في جنسه ، وفي هيئة مشبه واختياله ، ووصف خلقه بمخاطبة مع شجاعته ،  
وشبهه لللدوح به في الشجاعة ، ولفظه عليه بالسقاء ، ثم إنه خَفَّفَ بعد ذلك  
على ذكر الألفة والمحبة التي بشت الأسد على مثل نفسه ببقاء اللدوح ، وأخرج ذلك  
في أحسن مخرج ، وأبرزه في أشرف معنى .

وإذا تأمل السارق بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر  
مأشرت إليه .

والبحري وإن كان أفضل من اللقي في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ، فاللقي  
أفضل منه في النوص على اللاني .

== سفر : يرمخ في الثراب ، المزير : الأسد العفيد . الصارم : السيف العاطم . ورد : لونه  
عمر . البحيرة : بحيرة طبرية . الثرات والنيل : نهرا ن بالعراق ، والنيل أيضا نهر بمصر  
لكن الباقية على هذا تكون له جاوزت لنيل . النيل : الأجمة . القبة : القمر المجتمع على  
كعب الأسد . الطريق الملول : الجماعة النازلة بمكان . الثفرة : القمر المجتمه على قناه .  
اليلوخ : الرأس . الإسكيل : الناج . الكسي : البطل للشر في سلاحه . مفكول : مفيد .  
زجير : ساج ، وكذلك بربر . ضليل : ضلال أي دخول على الأكل من غير دعوة . لغابه  
الغريبان أو الضلطان أي تصاحبهما في البراءة والإقدام ، وتخالفتا في أن الأسد ينيل بطعامه  
وأنت جواد . من : جانب الملب . أزل : قليل لحم العجز والقضدين مفتول : منمجم شديد .  
بؤروه : وسط صدره . ادنى : قرب . مضان : مؤلم . التجصيل : الانطراح على الأرض .  
أين محته : الأسد الذي حرب من يهر به ذلك

وبما يدلك على ذلك أنه لم يمرض لما ذكره في أبياته الرائية ، لعله أن  
بشراً قد ملك رهاب تلك اللاني واستعوذ عليها ، ولم يترك لتوهم شيئاً يقوله فيها ،  
وانقذانة أبي الطيب لم يقع فيها وتم فيه البحرى من الانسحاب على ذبل بشر ، لأنه  
تصر عنه تقصيراً كثيراً ، ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك  
الطريق ، وسلك غيرها فجاء فيها أورد مبرزا .

واعلم أن من أئين اليبان في المناضة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد  
اثنان منها على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كقوارى البحرى  
والمنهى ما هنا وعلى وصف الأسد ، وهذا أئين في المناضة من القوارى على معنى  
واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفى بيتين ، ويصوغه الآخر فى مثل ذلك ، فإن  
بعد المدى يُظهر ما فى السوابق من الجواهر<sup>(١)</sup> . وعند بيتين ربح الرابع وخسر  
الطاسر . فإذا شئت أن تتكلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر إلى تمديدتها  
في مرأى النساء التي مفتوح إحداها :

يا أخت خير أتح يا بنت خير أب      كنايةً بهما عن أكرم العرب<sup>(٢)</sup>  
وهى لأى الطيب  
ومفتوح الأخرى

غروب دمع من الأجفان ينهيل<sup>٣</sup>      وحرقة بغليل الحزن تشقىل<sup>(٤)</sup>

وهى البحرى ، فإن أبا الطيب اترد بابتداع ما أتى به فى معانى قصيدته ،  
والبحرى أتى بما أكثره كنه بارد ، وللتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء  
امراة ورجل .

ومن الواجب أنه إذا سلك الناظم أو النثر مسلكاً فى غرض من الأغراض

(١) الدواين : الخيل الجياد السابعة . يريد أن بعد الكناية يظهر مدى الخيل للسابعة  
من كرم وقلابة

(٢) مطلع قصيدته فى رثاء أخت سيف الدولة ( المديون ١/٩٩ )

(٣) ليست بدوياته

الابخرج منه ، كالقلى سلكه هذان الرجلان فى الرماء باراءه ، فإن من جذقة الصلعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل .

وهذا الموضع لم يأت فيه أحد بما يثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده ، وأما غيره من مُقلِّى الشعراء قديماً وحديثاً فلم يهتم قسروا عنه .

وله فى هذا المعنى قصيدة أخرى مقتضاها :

لَيْدُ الشَّرَفِ وَالْعَوَالِ وَتَقْلُنَا الْمُنُونُ بَلَا قَعَالُ (١)

وكفى بها شاهداً على ما ذكرته من انفرادها بالإبداع فيما أبى به .

والقفاً عندى بينه وبين البحرى أن أبا الطيب أخذ فى المضيى ، وأعرف باستخراج المعنى البحتى ، وأما البحرى فإنه أعرف بصوغ الألفاظ، وحوك ديباجتها .

وقد قلعت أن الحكم بين الشاعرين فى اختلافهما فى المعنى أبين من الحكم بينهما فى اختلافهما فيه ، لأنهما مع الاتفاق فى المعنى يتبين قولهما ويظهر أن ظهوراً يَتَمُّ بِهَيْبَةِ النَظَرِ ، ويتسارع إليه فهم من ليس بثاقب الفهم ، أما اختلافهما فى المعنى فإنه يحتاج فى الحكم بينهما فيه إلى كلام طويل يَمُزُّ فِيهِ ، ولا يضمن له إلا بعض الناس دون بعض ، بل لا يضمن له إلا القذ الواحد من الناس .

ولى فى هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين المعنيين المختلفين ، وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عريضاً ، وأقت المليل على ما نصحت عليه ، وما معنى من إيرادها فى كتابى هذا إلا أنها ساحت لى بعد تصنيفه وشيوعه فى أيدي الناس وتداول النسخ به .

وعلى هذا الأسلوب توارد البحرى والشريف الرضى على ذكر القذ ،

فى قصيدة البحرى دالية أولها .

(١) لى رماء وإله سيف الدولة (الدوان ١٧٠/٣)

للصربية : السيوف . العوال : الرماح .

(سلامٌ عليكم لا وفاء ولا عهد)<sup>(١)</sup>

ومقطوعة لشريف الرضى أولها :

وعارى الشوى والنكيتين من الطوى

أنهج له بالبل عارى الأشاجم<sup>(٢)</sup>

وقد أجاد البحرى في وصف حاله مع القنب ، ولشريف أجاد في وصف

القنب نفسه .

## المسوخ

وأما المسوخ ، فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ، والقسمه تنقضى

أن يُقرنَ إليه ضيئه ، وهو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة .

فالأول كقول أبى تمام :

وقول أبى الطيب للنفى :

فنى لا يرى أن الفريسة مَقْتَلٌ ولكن يرى أن السوب مقارِلٌ<sup>(٣)</sup>

(١) من قصيدته في وصف القنب حين لقبه ( الديوان ١٨٥/١ )

(٢) من قصيدته في وصف القنب ( الديوان ٥٥٢ )

الطوى : جم هواة وهي جلدة الرأس أو البدان أو الرجلان أو الأطراف . الطوى :  
البرج الأشاجم : أسول الأسابع التي تملأ بحسب ظاهر الكف ، لفرد أشجم

(٣) من قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات

مطلعا :

من أفت من ذهلية إلى ذاهل وفليك منها مدة الفجر آهل

( الديوان ١٢٦/٣ )

الفريسة : عرق في البطن ، واللحمة التي بين الجنب والكف لا تزال ترمد

وقول أبي الطيب للنفى :

يَرَى أَنْ مَاتَابَانَ مَلَكَ لُضَارِبٍ بِأَقْلَ مَا بَانَ مَلَكَ لَمَائِبٍ<sup>(١)</sup>  
فَبُو وَإِنْ لَمْ يَشُوهُ الْمَعْنَى قَدْ شُوهُ الصُّورَةُ ، وَمِثَالُهُ فِي ذَلِكَ كَبْنِ أَوْدَعِ  
الْوَسْطَى شُمْلًا وَأَعْلَى الْوَرْدِ جُمْلًا<sup>(٢)</sup> ، وَهَذَا مِنْ أَرْدَلِ السَّرِقَاتِ .

وَعَلَى نَحْوِ مَعْنَاهُ قَوْلُ عَبْدِ السَّلَامِ مِنْ رُغْبَانِ :

نَحْنُ نُتَزَّيْكَ وَمَلَكَ الْهَدَى مَسْتَفْرَجٍ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبَلُ  
قَوْلٍ بِالْقَتْلِ وَأَنْتَ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ وَهُوَ كَقَوْلِ  
إِذَا حَقَّ عَلَيْكَ وَأَوْدَى بَنَا الْوَدَى هَرَفُ ذَلِكَ الْمُحْسِنُ الشَّجِيلِ<sup>(٣)</sup>  
أَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ لِقَابِ أَعْلَاهُ أَسْفَلُهُ قَالِ :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلًا تَكُنْ الْأَفْقَلُ الْأَعَزُّ الْأَجَلًا  
أَنْتَ يَا قَوِّقَ أَنْ تُتَوَّيَّ مِنَ الْأَحْسَابِ فَوْقَ الَّذِي يُتَزَّيْكَ عَقْلًا  
وَبِالْمُظَاهَاةِ اعْتَدَى فَإِذَا مَرَّ كَقَالِ الَّذِي لَهُ قُلْتُ قَبْلًا<sup>(٤)</sup>  
وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ هُوَ الْآخِرُ قُلْنَا ، وَهُوَ الْخُصُوصُ بِالْمَخِ  
وَأَمَّا قَلْبُ الصُّورَةِ الْقَبِيحَةِ إِلَى صُورَةِ حَسَنَةٍ لِهَذَا لَا يَسَى سَرِقَةً ، بَلْ يَسَى  
إِصْلَاحًا وَتَهْذِيبًا

- 
- (١) مِنْ لَقِيدَتِهِ لِي مَدَحٍ أَيْ الْقَائِمِ طَامِرٍ بِنِ الْحَسَنِ مَطْلَعًا  
أَمِيدُوا بِجَاهِي فَبُو عِنْدَ الْكُوعَابِ وَرَدُّوا رَقْدَى فَبُو لِحَظِ الْمَلَائِبِ  
(الدِّيَوَانُ ١٨٣/١)  
الْمَعْنَى أَنْكَ تَرَى أَنَّ الْقَوِيَّ ظَهَرَ مِنَ الْإِنْسَانِ لُضَارِبِهِ بِالسَّيْفِ كَالضَّرِيقِ لَيْسَ بِأَقْلٍ مَطْلَعًا  
لَمَائِبٍ ، وَالسَّيْفُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ .  
(٢) الْفَعْلُ : الْفَعَالُ عَلَى وَزْنِ كِتَابِ شَيْءٍ مِثْلُ الْخَلَاةِ يَطْلُقُ بِهِ شَرَحُ الْعَاةِ إِذَا تَلَقَّعَ  
أَوْ خَاسَ بِالْمَعْرِ ، وَالْجَمْعُ عَمَلٌ . الْجَمْلُ : دَوْبُهُ تَغْيِبُهُ الْخُفَاءُ .  
(٣) الْأَفْأَى ١٤٢/١٢ مِنْ لَقِيدَتِهِ لِي تَعْرِيفٍ بِنِ عَلَى الْمَلَامَةِ . وَقَبْلَ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ .  
نَحْنُ لَدَى اللَّهِ مِنْ أُمَّةٍ وَالْأَرْضُ الْآخِرُ وَالْأَوَّلُ  
(٤) مِنْ لَقِيدَتِهِ لِي تَعْرِيفٍ سَيْفِ الْقُوَّةِ لِي أَخْتَهُ الصُّفْرَى وَتَلْبِسُهُ مِنْ أَخْتِهِ الْكَبْرَى  
مَطْلَعًا

فن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

لو كان ما تطيعهم من قبل أن تطيعهم لم يترفوا التأييد<sup>(١)</sup>

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل<sup>(٢)</sup>

وهل هذا الشعر ورد قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها العيب بالكرة والصولجان ، قال من جعلها .

حين على جن وإن كانوا بشرز كأننا خيرطوا عليها بالإبر<sup>(٣)</sup>

ثم جاء المتنبي فقال :

فكانها نُقِيتَ قياماً نعيم وكانهم ولُّوا على صهواتها<sup>(٤)</sup>

وبين القولين كما بين السماء والأرض ، فإنه يقال ليس للأرض إلى السماء نسبة محسوسة ، وكذلك قيل هاهنا أيضاً ، فإنه بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضمف ، فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة .

== إن يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الأفضل الأمر الأجل  
( الديوان ٣/ ٣٠١ ) يريد أن العزى لسبب الدولة يعنى بالفاظه ، وضابطه بما تله من قوة ، فلهذا مرفوع عن العزرة .

(١) يمن مدحه لسبب الدولة ( الديوان ٤/ ٤٤٩ )

(٢) الديوان ٤١١ وفيه النمر ٣٨٨/٢ من مدحه لسبب الدولة بن حمدن

(٣) ليست بالديوان . وهي أرجوزة مطلها .

في أعهد العيو بغيان غرر من ولد الباس ساحت البهر

(٤) من الصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن حمران ( الديوان ١/ ٧٥٠ ) كصحت : وكنت . الصهوات : لفراد مقامه الفرسان على ظهور الخيل .

الصيدية مطلها :

بهرت بحاسه حرمت ذواتها ذاتي الصفات بيد موصوفاتها



فهرس القسم الثالث من كتاب

# المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر  
يضياء الدين بن الأشير

مطبعة

النوع السابع عشر

في التكرار (٣ - ٤٠)

حده . قسماه : تكرار في اللفظ والمعنى . تكرار في المعنى

دون اللفظ . . . . . ٣

وكل منها : تكرار مفيد ، وتكرار غير مفيد . ٤

التكرير في اللفظ والمعنى

ينقسم إلى مفيد وغير مفيد :

١ - للهدف فرعان : (١) مقصود به غرضان مختلفان . أمثلة ٤

٩ (٢) مقصود به غرض واحد . أمثلة ٤

فائدة تكرير ( أن ) في قوله تعالى : « فلما أن أراد

أن يبطس » . . . . . ١٢

لوم النعاة في قولهم بزيادة الحروف . . . . . ١٣

من هذا القسم الثاني إضافة المعنى إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ١٥

صفحة

أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان الفائدة من	
هذه الإضافة . . . . .	١٦
اعتداد المؤلف بأنه أول من نه على هذا النوع . . . . .	١٦
قد يدخل في التكرير ما ليس بتكرير . اعتداد المؤلف بأنه	
أول من نه إلى ذلك . . . . .	١٦
أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان السبب في	
التكرير بها . . . . .	١٧
التكرير لطول الفصل بين اسم إن وخبرها . . . . .	١٧
التكرير إذا كان خبر إن تاملا في ممول يطول ذكره . . . . .	١٨
التكرير للاستقامة . . . . .	١٩
التكرير للتنبيه . . . . .	١٩
التكرير لتمداد الهم . . . . .	٢٠
التكرير لتأكيد اللفح . . . . .	٢٠
دفاع عن بيت المتنبي . . . . .	٢١
قد أخرج البيت . . . . .	٢١
(٢) التكرير غير المفيد . . . . .	٢٣
أمثلة له من الشعر . . . . .	٢٣
التكرير في المعنى دون اللفظ	٢٥

ضرباء : مفيد وغير مفيد

(١) للمفيد نومان : الأول الدلالة على معنيين مختلفين . . . . .	٢٥
أمثلة له من النثر والقرآن والشعر . . . . .	٢٦
النوع الثاني : الدلالة على معنى واحد . . . . .	٢٩
أمثلة له من القرآن والشعر . . . . .	٢٩

الصلحة

- تفصيل القول في الآية الكريمة ( فصيام ثلاثة أيام في الحج  
 وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ) . . . . ٣٠  
 (٧) غير المفيد . . . . . ٣٥  
 أمثلة له من الشعر ٣٥  
 رأى بعض البلاغيين في أنه لا يجب فيه إذا تفارقت ٣٥  
 الألفاظ . . . . . ٣٥  
 رأى ابن الأثير أنه يجب في صدور الأبيات الشعرية . ٣٦

النوع الثامن عشر

في الاعتراض ( ٤٩ - ٤٠ )

- حصده . . . . . ٤٠  
 قسناه : قسم يأتي لفائدة ، وقسم لتبر فائدة ٤٠  
 (١) القسم المفيد . . . . . ٤٠  
 أمثلة له من القرآن الكريم ، وبيان فائدته ٤٢  
 أمثلة له من الشعر وبيان فائدته . . . . ٤٣  
 (٢) القسم غير المفيد : ضربان : ٤٦  
 الضرب الأول لا يكسب الكلام قهرا ولا حسنا . ٤٧  
 أمثلة له . . . . . ٤٧  
 الضرب الثاني يفسد الكلام . . . . ٤٧  
 أمثلة له . . . . . ٤٧

الصلحة

النوع التاسع عشر

## في الكناية والتعريض (٤٩ - ٧٥)

- ٤٩ . . . . . خلط طلاء البيان بين الكناية والتعريض  
تميز ابن الأثير أحدهما من الآخر  
٥٠ . . . . . تعريفه للكناية - اشتقاقها  
٥٦ . . . . . تعريفه للتعريض . . . . .  
٥٧ . . . . . فروق بينهما

## المكناية

- ٥٨ . . . . . تقسيمها إلى حسن وقبيح  
٥٨ . . . . . تقسيمها إلى تمثيل وإداف ومجاورة  
٥٩ . . . . . لقد ابن الأثير للتقسيم الثاني . . . . .  
٦٢ . . . . . أمثلة من النثر والشعر للكناية  
٧٠ . . . . . ما يجنب ذكره من الكناية  
٧٢ . . . . . أمثلة للتعريض . . . . .

النوع العشرون

## في المغالطات المعنوية (٧٦ - ٨٤)

- ٧٦ . . . . . حقيقة هذا النوع  
(١) المغالطة الثمانية أو الثعوية بماله مثل في الألفاظ المشتركة  
٧٦ . . . . . أمثلة لهذا النوع من الشرو من الحديث النبوي  
٧٩ . . . . . كتاب لابن الأثير في وصف البرد والتلج



- كتاب له في وصف كريم . . . . . ٨٠  
 كتاب إلى بعض إخوانه . . . . . ٨٠  
 كتاب له في وصف شخص بمال الأمور . . . ٨١  
 كتاب إلى بعض إخوانه . . . . . ٨١  
 كتاب له في وصف الحمى . . . . . ٨١  
 (٧) المناظرة القيسية أو التورية بالقيس . . . ٨٢  
 أمثلة لها . . . . . ٨٢  
 كتاب لابن الأثير في وصف قح . . . . . ٨٢

#### النوع الحادى والمشرون

#### في الأحاجى (٨٤ - ٩٦)

- مناها . . . . . ٨٤  
 أمثلة لها . . . . . ٨٤  
 الفرق بين الأحاجى والمناظرة والتمريض والسكناية . ٨٥  
 أنواع الأحاجى : المصنف ، المكوس . . . . ٨٦  
 فائدة الأحاجى والألغاز . . . . . ٨٦  
 أمثلة أخرى من الشعر . . . . . ٨٦  
 مسألة ملتزمة من مقامات الحريرى ، وحل ابن الأثير لها ٨٨  
 الحسن من الأحاجى والألغاز . . . . . ٩٠  
 التبيح منها . . . . . ٩٠  
 أمثلة من الشعر . . . . . ٩٠  
 خبر القرآن الكريم من هذا النوع . . . . ٩١  
 أمثلة أخرى من الشعر . . . . . ٩٣

النوع الثانى والمشرون

فى المبادئ والافتتاحات (١٦-١٢٠)

٩٦	حقيقة هذا النوع
٩٦	فائدته
٩٦	واجب الشاعر فى الافتتاح
٩٨	الاجتهادات فى أوائل السور القرآنية
٩٨	أمثلة من قبيح الاجتهاد
١٠٣	أمثلة للاجتهادات الحسنة من شعر أبى تمام والمقبى
١٠٦	أمثلة من شعر غيرهما
١٠٨	ملامة التعميدات فى أوائل الكتب السلطانية لروضها
١١٠	تمجيد لأبى الأثير فى تولية ولاية
١١٠	تهنئته بفتح
١١٧	تهنئة بمولود
١١٧	كتاب له إلى ديوان الخلافة
١١٣	» » إلى بعض الإخوان
١١٤	كتاب آخر إلى بعض الإخوان
١١٤	» إلى بعض إخوانه
١١٥	مكتاب إلى بعض إخوانه
١١٥	» » » »
١١٦	كتاب من الملك نور الدين إلى الملك الأفضل
١١٧	كتاب إلى بعض إخوانه
١١٧	كتاب إلى بعض إخوانه
١١٧	كتاب له فى التعمية

الصلحة

١١٨	من محاسن هذا الباب الافتتاح بآية أو بحديث أو بشعر
١١٨	كتاب له في البشري بفتح
١١٨	كتاب له في التقليد بالحسبة
١١٩	كتاب له في رجاء
١٢٠	توقيع له

النوع الثالث والمشرون

في التخلص والافتضاب (١٢١ - ١٤٢)

١٢١	التخلص والافتضاب
-----	------------------

التخلص

١٢٢	أمثلة لبراعة المحدثين في التخلص
١٢٦	افتضاب البعثرى
١٢٨	الرد على الثناي في قوله إن القرآن خال من التخلص
١٢٨	أمثلة للتخلص من القرآن الكريم
١٣٢	نماذج لتخلص ابن الأثير في رسائله
١٣٥	أمثلة أخرى من التخلص الحسن في الشعر
١٣٧	أمثلة لتخلص التبيح

الافتضاب

١٣٩	أمثلة له : أما بعد . لفظة هذا
١٤١	أمثلة له من جهد الشعر

الصلة

النوع الرابع والمشرون  
في التناسب بين المعاني (١٤٣ - ١٧٧)

أنسام هذا النوع :

١٤٣	(١) المطابقة أو المقابلة
١٤٣	حقيقة المطابقة والآراء فيها . . . . .
١٤٣	رأى ابن الأثير . . . . .
١٤٤	(١) المقابلة في اللفظ والمعنى . . . . .
١٤٤	أمثلة لها . . . . .
١٤٦	أمثلة من نثر ابن الأثير . . . . .
١٤٦	أمثلة أخرى من الشعر . . . . .
١٥١	(٢) المقابلة في المعنى دون اللفظ . . . . .
١٥١	(٣) مقابلة الشيء بما ليس بنفسه . . . . .
١٥٣	المواخاة بين المعاني . . . . .
١٥٦	المواخاة بين المعاني . . . . .
١٥٩	(٢) مقابلة الشيء بمثله
١٥٩	مقابلة المفرد بالمفرد . . . . .
١٦٢	مقابلة الجملة بالجملة . . . . .
١٦٦	(٣) صحة التقسيم وفساد
١٦٦	أمثلة له . . . . .
١٧٣	ترتيب التفسير . . . . .



الصفحة

النوع الخامس والمشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط (١٧٧-١٩٥)

١٧٧ . . . . . حقيقة كل منها .

١٧٨ التفريط

١٧٩ . . . . . أمثلة من التفريط

١٨٠ . . . . . يجب ذكر اسم الأم في المدح

١٨٣ . . . . . يجب التعليق على شرط لا يليق

١٨٥ . . . . . أغلاظ في المدح .

١٨٦ . . . . . دفاع عن بيت لحيان بن ثابت

١٨٧ . . . . . خطاب المدح بكاف الخطاب جائز

١٨٨ . . . . . أمثلة من القرآن الكريم ، والشمز الجيد

١٨٩ . . . . . تجنب الخطاب بالأمر والنهي في المدح

١٩٠ . . . . . ألفاظ تليق بالمدح وأخرى تليق بالقبح

١٩١ الإفراط

١٩١ . . . . . جواز استعماله

١٩١ . . . . . أمثلة له .

١٩٤ الاقتصاد

١٩٤ . . . . . توسطه بين التفريط والإفراط

١٩٤ . . . . . أمثلة له من القرآن الكريم والشمز

المصنف

النوع السادس والعشرون

في الاشتقاق (١٩٥-١٩٩)

١٩٥	.	.	.	.	.	الفرق بينه وبين التحنيس
١٩٦	.	.	.	.	.	نوعان : صغير وكبير
١٩٦	.	.	.	.	.	أمثلة للصغير
١٩٨	.	.	.	.	.	الاشتقاق الكبير

النوع السابع والعشرون

في التضمين (٢٠٠-٢٠٥)

٢٠٠	.	.	.	.	.	التضمين الحسن
٢٠٠	.	.	.	.	.	نوعان : كلي وجزئي
٢٠٠	.	.	.	.	.	التضمين الكلي
٢٠٠	.	.	.	.	.	جواز التضمين الكلي من القرآن الكريم
٢٠١	.	.	.	.	.	التضمين المذهب عند بعض البلاغيين
٢٠١	.	.	.	.	.	جوازه في رأي ابن الأثير
٢٠١	.	.	.	.	.	أمثلة له
٢٠٣	.	.	.	.	.	تضمين النرض منه تأكيد المعنى
٢٠٣	.	.	.	.	.	أمثلة له

النوع الثامن والعشرون

في الإحصاء (٢٠٦-٢١٦)

٢٠٦	.	.	.	.	.	حقيقته
-----	---	---	---	---	---	--------

المقدمة

- أمثلة له . . . . . ٢٠٦  
 تسمية أبي هلال له بالتوشيح . . . . . ٢٠٧  
 خلط علماء البيان في المصطلحات . . . . . ٢٠٨  
 بعض الأهلبي الحريري ليست من علم البيان . . . . . ٢١٠  
 الرد على ابن صفان في حظر استعمال مصطلحات التصريح  
 والتكلمين والمهندسين ومما لهم . . . . . : ٢١٢  
 أمثلة من جيد الشعر في الرد عليه . . . . . ٢١٤

النوع التاسع والعشرون

(٢١٦-٢١٧) في التوشيح

- حقيقته . . . . . ٢١٦  
 أمثلة له . . . . . ٢١٦

النوع الثلاثون

(٢١٨-٢١٩) في السرقات الشعرية

- فائدة دراسة هذا النوع . . . . . ٢١٨  
 وسيلته . . . . . ٢١٨  
 لا معنى لنفاذ المعاني لأن الإبداع ممكن . . . . . ٢١٩  
 المعاني الشائعة لا إبداع فيها . . . . . ٢١٩  
 لا سرقة في المعاني الشائعة . . . . . ٢٢٠  
 أمثلة لمعان متعددة . . . . . ٢٢٠

الصلة

## أقسام السرقات الشرعية

٢٢٢	النسخ ، والسلب ، والنسخ ، وأخذ المني مع الزيادة عليه ، وعكس المني إلى نفسه . . . . .
٢٢٣	وسيلة الوقوف على السرقات حفظ الأضمار . . . . .
٢٢٣	أمثله مما حدث للمؤلف . . . . .
٢٢٥	اعتاده في هذه الدراسة على شراب عام والبحري والمغربي . . . . .
٢٢٧	رأيه في كل منهم . . . . .

٢٣٠	النسخ
٢٣٠	حققه . . . . .
٢٣٠	نومه . . . . .
٢٣٠	١ - وقوع الحافز على الحافز . . . . .
٢٣٠	بين طرفه وأصمى القيس . . . . .
٢٣٠	بين جرير والفرزدق . . . . .
٢٣٢	بين أبي نواس والحسين بن الضحاك . . . . .
٢٣٣	٢ - أخذ المني وأكثر الغنم . . . . .
٢٣٣	بين أبي عام وبعض التعمدين . . . . .

## ٢٣٤ السلب

### أقسامه

٢٣٤	١ - أخذ المني واستخراج ما يشبهه . . . . .
-----	---

المنحة

٢٣٤	•	•	•	•	•	بين القتيبي والطرميح
٢٣٥	•	•	•	•	•	بين البهتري وأبي عام
٢٣٥	•	•	•	•	•	مثال آخر من شعرها
٢٣٦	•	•	•	•	•	٢ — أخذ للمنى مجرداً من اللفظ
٢٣٦	•	•	•	•	•	بين أبي عام وعمرو بن الورد
٢٣٧	•	•	•	•	•	بين عامر ومهناث بن المنفع
٢٣٨	•	•	•	•	•	بين القتيبي وجريز
٢٣٨	•	•	•	•	•	٣ — أخذ للمنى ويسير من اللفظ
٢٣٨	•	•	•	•	•	بين البهتري وأبي نواس
٢٣٨	•	•	•	•	•	بين البهتري وعلى بن جبلة
٢٣٩	•	•	•	•	•	مثال آخر من شعرها
٢٣٩	•	•	•	•	•	بين أبي عام وعبد السلام بن رغبان
٢٤٠	•	•	•	•	•	بين أبي عام وجسان بن ثابت
٢٤٠	•	•	•	•	•	بين ابن الرومي وأبي عام
٢٤١	•	•	•	•	•	مثال آخر من شعرها
٢٤١	•	•	•	•	•	بين ابن الرومي ومنصور النعمري
٢٤١	•	•	•	•	•	بين القتيبي والفزوقي
٢٤٢	•	•	•	•	•	بين القتيبي وبشار
٢٤٢	•	•	•	•	•	بين القتيبي وابن الرومي
٢٤٣	•	•	•	•	•	من يلق هذا الضرب من الأخذ
٢٤٣	•	•	•	•	•	من يزداد قبسه
٢٤٣	•	•	•	•	•	أمثلة للأخذ القبيح
٢٤٣	•	•	•	•	•	بين القتيبي وأبي عام

الصفحة

- ٢٤٤ • • • • • ٤ — أخذ المني ثم قلبه وعكسه
- ٢٤٤ • • • • • بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
- ٢٤٥ • • • • • بين شاعر وعلي بن جعفر
- ٢٤٥ • • • • • بين المنفي وأبي الشيمس
- ٢٤٥ • • • • • بين ابن الأثير وأبي تمام
- ٢٤٦ • • • • • ٥ — أخذ بعض المني
- ٢٤٦ • • • • • بين أبي تمام وعبد الله بن جديعان
- ٢٤٧ • • • • • بين المنفي وعلي بن جبلة
- ٢٤٧ • • • • • بين البهتري وأبي تمام
- ٢٤٨ • • • • • بين البهتري وشاعر متقدم
- ٢٤٨ • • • • • بين المنفي وابن الرومي
- ٢٤٩ • • • • • ٦ — أخذ المني ثم الزاد عليه
- ٢٤٩ • • • • • بين مسلم بن الوليد والأخفش بن شهاب
- ٢٤٩ • • • • • بين أبي تمام وجبرير
- ٢٥٠ • • • • • بين أبي تمام ووكه مسلمة بن عبد الملك
- ٢٥٠ • • • • • بين أبي تمام وابن المنفل
- ٢٥١ • • • • • بين البهتري وأبي نواس
- ٢٥١ • • • • • بين البهتري ومسلم بن الوليد
- ٢٥٢ • • • • • بين أبي نواس وجبرير
- ٢٥٣ • • • • • بين أبي نواس والغزذقي
- ٢٥٣ • • • • • بين المنفي وأبي نواس
- ٢٥٤ • • • • • بين ابن الأثير والمنفي

المسححة

٧ - أخذ المصنف والتعمير منه بعبارة أحسن من الأولى ٢٥٤

- ٢٥٤ . . . . بين البعثرى وأبي تمام
- ٢٥٥ . . . . مثال آخر لها
- ٢٥٥ . . . . بين القنبي وأبي نواس
- ٢٥٦ . . . . بين ابن نباتة السعدي والقنبي
- ٢٥٦ . . . . بين القيسراني وأبي السلاء
- ٢٥٦ . . . . بين أبي حلال السكري وابن الرومي
- ٢٥٧ . . . . بين أبي تمام وشاعر سابق
- ٢٥٧ . . . . بين البعثرى وأبي تمام

٨ - أخذ المصنف وسبك سبكاً موجزاً ٢٥٧

- ٢٥٨ . . . . بين سلم الخمار وشار
- ٢٥٨ . . . . بين ابن الرومي وأبي تمام
- ٢٥٩ . . . . بين ابن الرومي وأبي نواس
- ٢٥٩ . . . . بين ابن قسيم الحموي وابن الرومي
- ٢٦٠ . . . . بين أبي تمام وأبي القاهية
- ٢٦٠ . . . . بين القنبي وأبي تمام
- ٢٦١ . . . . مثال آخر لها
- ٢٦١ . . . . بين القنبي وشاعر سابق

٩ - خصص المصنف التام وتعميم الخاص ٢٦٢

- ٢٦٢ . . . . بين أبي تمام والأخطل
- ٢٦٣ . . . . بين القنبي وأبي تمام

المسألة

٢٦٣ • • • أخذ المولى وزادته بياناً بمثل يوضحه

٢٦٣ • • • • • بين المتبني وأبي تمام

٢٦٤ • • • • • مثال آخر من شعرها

٢٦٥ • • • • • بين البهتري وأبي تمام

٢٦٥ • • • • • ١١ — اتحاد الطريق واختلاف القصد

٢٦٥ • • • • • المراد بهذا الضرب

٢٦٥ • • • • • موازنة بين قصيدتين في الرثاء لأبي تمام والمتبني

٢٦٧ • • • • • الماتى الى اتفاقاً فيها

٢٦٨ • • • • • الماتى الى اختلاف فيها

استطرد الى الرد على من منعوا المفاضلة بين الماتى

٢٧٠ • • • • • المختلفة

الرد على الذين فضلوا بعض الشعراء بأحكام خطائية

٢٧٠ • • • • • عامة

٢٧٢ • • • • • الرد على بشار في تفضيل نفسه

٢٧٣ • • • • • مثال من التعصب للقدماء

٢٧٤ • • • • • رأى ابن الأثير في المفاضلة بين الشعراء

٢٧٤ • • • • • الفرزدق وجبرير والأخطل أشعر العرب

٢٧٤ • • • • • أبو تمام والبهتري والمتبني أشعر منهم

الرد على دعوى أن جبريراً اقتصر في مجاء الفرزدق على

٢٧٥ • • • • • أربعة معانٍ

٢٧٦ • • • • • أمثلة شتى من مجاءته بمعانٍ أخرى

٢٨٠ • • • • • قدرة جبرير على التصرف في الملقى الواحد



الصلحة

عودة إلى النوع الحادى عشر من الصلخ

- ٢٨١ • • أمثلة من اتحاد الطريق واختلاف المقصد  
٢٨١ بين الثابتة وأبى نواس ومسلم وأبى أم والمغنى  
٢٨٤ • • • • بين المغنى والبغوى  
٢٨٤ • موازنة بين قصيدتهما فى وصف الأسد  
٢٨٨ • • • • بين المغنى والبغوى فى الرثاء  
٢٨٩ • • • بين الشريف الرضى والبغوى

### المسوخ

- ٢٩٠ • • • • • • • • تعريفه  
٢٩٠ • • • • • • • • بين المغنى وأبى تمام  
٢٩١ • • • • • • • • بين المغنى وابن رهمان

قلب الصورة القبيحة إلى حسنة لا يسمى سرقة

- ٢٩٢ • • • • • بين ابن نباتة السعدى والمغنى  
٢٩٢ • • • • • بين المغنى وأبى نواس

[ ثم القسم الثالث من كتاب النمل السائر لابن الأثير ]

يليه القسم الرابع ، محتوي على :

١ - نسكة النمل السائر .

٢ - كتاب النمل السائر على النمل السائر لابن أبي الحديد .

٣ - فهرس الكتاب مقتومة ومفصلة .



طبعاً توفیقاً نصراً







Bibliotheca Alexandrina



0447579